نحو ذاكرة حضرمية (١)

مَزَاعِمُ إِخْفَاءِ التُّرَاثِ الْحَضْرَمِيِّ

لا جَدْوَىٰ مِنَ الاتِّهَامِ..

ورقةٌ علميةٌ.. ونصيحةٌ مجتمعيةٌ..

جمع وترتيب

أحمد بن عمر بن أحمد الكاف

نسخة تحت التعديل

نسخة تحت التعديل



لسان الحال

هل نحن أعداء؟

سؤالٌ كثيراً ما يتبادر إلى ذهني وأنا أطالع المناقشات التي تدور بين الإخوة ،

لغة الانتصار للنفس هي الحاضرة في أغلب المناقشات ،

ألا يمكن أن نتناقش كإخوة تجمعنا أخوة الدم والدين ،

ألا يصح لنا أن نحمل الأقوال على محاملها الحسنة ،

ألا يمكن لنا أن نجعل الملتقى ميدانا نتنافس فيه على إبراز محاسن الأخلاق لدينا ،

لماذا كلما سنحت لنا فرصة للمناقشة نحولها إلى فرصة للتخاصم والتنابز ،

أين ما نكتبه هنا عن سنة نبينا ﷺ وهو يقول: «منْ كانَ يؤمنُ باللهِ و اليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً أو ليصمتْ» ،

عذراً يا رسول الله ، الصمتُ فنٌّ وقليلٌ من يحسنه ،

ولو أحسنّا الصمتَ ما وقعنا في الهفوات..



الملتقى الرسمي للقبائل اليافعية بحضرموت

أبو أسامة محمد بن سالم بن علي جابر

٣ / ١٤ / ٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه .

وبعدُ فقد وقفتُ في شهر رجب عام ١٤٤٠ في الفيسبوك(١) على ملخص ورقة لأحد الباحثين الحضارمة وهو الأستاذ عوض سالم حمدين عام ٢٠١٨ بعنوان «حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي » قدمها للمؤتمر العلمي الثالث للتاريخ والمؤرخين الحضارم في ق١١ – ١٢ الذي دعا له (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)، يتباكى فيها على ضياع مصادر التاريخ الحضرمي ، ويلقي باللائمة فيها على السادة الباعلويين بالتآمر والإخفاء، ثم وقفتُ لأخينا الباحث المحقق د. محمد باذيب تعقبه فيها بما يكفي ، في مقالته «تعليق وتعقيب على مقال بعنوان «حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي» المنشورة بقناته التلجرامية.

هذا التباكي أنقل منه فقرةً من ملخص ورقة الأستاذ عوض حمدين ، ثم ردفها بتعقيب باذيب عليها ، قال الباحث عوض حمدين في ملخص ورقته الآنفة الذكر:

والناظر في هذا الأمر أمام خيارين لا ثالث لهما ، فإما أن يكون هؤلاء العلماء وتلك المصادر والمؤلفات التي ذكرت في المجموع غير حقيقية زعمها من كتب المجموع فلماذا أتى بها؟ وما الغرض والدافع من ذكرها؟ وإما أن تكون حقيقية ولكن تعمد إخفاؤها، وهذا هو الرأي الذي نميل إليه . وهو الراجح من وجهة نظرنا وكما تؤكده النقولات الكثيرة.



منها: ما قاله المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه جني الشماريخ حيث قال : (وكان شيخنا رحمه الله يقول إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف لما رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها).

وكأنه يعني كل كلمة قالها وهذا معناه أن الأخلاف رأوا ما ينكرونه وأخفوا وطمسوا وأفنوا وهنا لازال السؤال مطروحا فمن هم الأخلاف الذين أضاعوا تواريخ حضرموت وآثار علمائها في التاريخ والأنساب والفقه وعلوم العربية وغيرها من المجالات الحضارية والعلمية؟!

تعليق وتعقيب د. محمد باذيب على كلام الباحث عوض حمدين

[١] أما القسم الأول من هذه العبارة، التي تشتمل على لوم متكرر من الكاتب تجاه صاحب «المجموع»، فقد سبق الجواب عنه. وهو بدلاً من أن يشكر آل السقاف على حفظهم لفتاوى فقهاء حضرموت التي لولا تدوينهم وجمعهم لها في هذا الكتاب لضاعت. راح يتهمهم بشتى

(١) وضعت روابط المصادر links آخر البحث.

الاتهامات التي هم برآء منها. وأدنى عاقل سيقول: لو أراد آل السقاف إخفاء مصنفات وفتاوى أولئك الفقهاء لما أبقوا لها ذكراً، ولأعدموها أصلاً. فكيف نصدق أنهم أخفوا أصولها وهم الذين نقلوها لنا؟! هذه مغالطات لا أكثر ولا أقل.

ومن يدري، فقد نجد في مكتبة خاصة يوما مّا ما كنا نبحث عنه. وحتى ذلك الحين، يبقى «المجموع» أعظم مصدر نستقي منه تلك النصوص. فرضي الله عمن جمعه، ومن سطره، ومن حفظه، ومن نشره، ومن استفاد منه فشكر، واستفاد واعتبر. ولا عزاء لمن لا يشكر الناس، ولمن يتهم الأبرياء، ولمن يكيل التهم جزافاً للأموات.





إن هذه الفقرة ومثيلاتها لتمثل مخالفة صارخة لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[الحشر:10] . فماذا نستفيد من اتهامات الكاتب إلا نشر الغل والحقد! وسبق أن أوضحتُ أن أكثر المصادر التي ذكرها وأوردها الحبيب طه موجودة، فلتراجع الصفحات السابقة.

[٢] لقد حمل الناس عبارة السيد علوي بن طاهر الحداد التي في «جنى الشماريخ» أكثر مما تحتمل. وللجواب على تساؤل الكاتب (هم الأخلاف الذين أضاعوا تواريخ حضرموت وآثار علمائها في التاريخ والأنساب، الخ)، أوجهه أن يرجع إلى «جنى الشماريخ» مرة أخرى، ليعرف منه قصة إخفاء كتاب الشيخ الجرو في أنساب كندة. وليعلم كيف كان حرص الحبيب العلامة أحمد بن حسن العطاس على ذلك الكتاب، وأن أشخاصاً حاقدين هم الذين أخفوا الكتاب وأتلفوه. ولو أنه وقع بيد الحبيب أحمد بن حسن، لحفظ لنا، ولوصلنا كما وصلتنا نصوص نادرة عن أنساب أهل حضرموت، لم نجد لها مصدراً سوى مدونات ذلك السيد العلامة الإمام الجليل .. رحمة الله عليه.

تم كلام د. محمد باذيب

ثم أُعلمتُ أنها صارت أسطوانةً مكرورةً يعيد بعض الحضارمة العزف عليها كل فترة، فبقي في ذهني أن أفصّلَ المسألة أكثر في بحث أوسع ، حيث يبدو أن هذه القضية أخذت أكبر من حجمها ، وأتممتُ بحثاً مستعجلاً قبل دخول شهر رمضان، ثم رجعتُ له بعد العيد لإضافة الصور ، ولم أفكر في نشره ، إذ كان هدفي أن تكون فيه الفائدة لي بالبحث.

وقد لاحظتُ في الآونة الأخيرة ظهور أبحاث ومراكز وباحثين يغنون بألحان بحوث

الاستشراق وينسجون على منوالها ، وهي شنشةٌ أعرفها من أخزمِ[1].

هـذه الأبحـاث يلاحظ القارئ فيها الدوران في المصادر الكثيـرة القديمة والحديثة ، ورصف العبـارة خلف العبارة ، وتختم كل جملة منها بعزو وحاشـية لمصدر بشـكل انتقائي ، كل عبارة من مصدر مختلف ، ويتم توجيه القارئ لمعنى محدد يشـكل هدف البحث ، ويتجنب بعضهم التعبير عن آرائه الشخصية حتى لا يستهدف بالنقد.

قلـتُ في نفسـي: ماذا لو كتبتُ خلاصةً ترصد هذه الأبحـاث ، لتصير بعد جيل من الحضارمة ـ وربمـا عام ٢٠٣٠ ـ جزءا من الذاكـرة الحضرمية ، وتكون هذه الخلاصة بنفس هذه الطريقة ، متابعة للمصادر المتاحة من الكتب والانترنت والأبحاث ، دون أن أعبر عن آرائي الشخصية.

وقبل أن أبدأ أحيط القارئ علماً بأنني:

١ - لسـتُ سـاعياً لأكـون المرجع لتاريخ حضرمـوت[2] ، إذ هي مسـؤولية كبيرة تفرض على صاحبها الالتزام بكل معايير السلم الاجتماعي ، ونبذ خطاب الكراهية وتوابعه وما يؤول إليه.

٢ - لا أعرفُ جلَّ من ذكرتُهم في هذا البحث معرفةً شخصيةً ، كل ما أعرفه هو ما وقفتُ عليه من أبحاث كتبوها ، ومن المصادر المتاحة.

٣ - كلامي هنا كله عن الأطروحات والأبحاث ، لا الأشخاص ، وحتى ما انتقدتُه منها استفدتُ منه في موضع آخر ونقلتُ عنها، وأما الكُتّاب فلهم مني كامل التقدير والاحترام.

٤ - لا أمثل السادة ، ولا الصوفية ، وهم كغيرهم من الحضارمة لهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

والثوابت التي بنيتُ عليها هذا البحث هي ما يلي:

١ - كثيرٌ من الحضارمة يتوحدون في المناسـبات العامة / أمام العرب والأجانب ، ويظهرون بمظهر الوحدة الوطنية ، ثم يتفرقون بعد ذلك . وهذا ديدن الجيل القديم.

٢ - لنا في الجيل الجديد أمل في حضرموت الغد ، متمسـكين بما تبقى من الوطنية ، سـاعين إلى النهضة الحضرمية.

٣ - علينا رفع الوعي بنبذ خطاب الكراهية في أبحاثنا ، وكل ما يشير للطائفية والعرقية / إلغاء واستهداف كل فئة من فئات المجتمع الحضرمي.

٤ - يشـمل هذا النبذ كافة النظريات البحثية: الاستشراقية والانثروبولوجية التي تصب في هذا

(١) والشيء بالشيء يذكر، فإن هذا يذكرني بالدراسات الحديثة في مناهج النقد للحديث النبوي والتشكيك في السنة النبوية ، حيث وقعوا في مغبة التقليد للمستشرقين.. وهم لا يزالون لحرية البحث والنقد مدّعين. وللاستزادة راجع «العيوب المنهجية في نقد الحديث لدى الاتجاهات العقلانية المعاصرة» د. نبيل بلهي أستاذ السنة وعلومها في جامعة الأمير عبدالقادر – الجزائر .

(٢) انظر صفحة مركز حضرموت للدراسات التاريخية في الموقع : رؤيتنا : أن يكون المركز هو المرجع الأساس لكل ما يختص بتاريخ حضرموت وذاكرتها الحضارية العريقة.

المصب، مهما تلفعتْ بصنم النقد وأوثان البحث العلمي.

وقد ضمنتُ هذا البحث :

مقدمة عن علوم الأَنْسَنَة (الانثروبولوجيا) ، التي تسعى بعض الأبحاث الحضرمية اليوم للتمسح بها على مضض[1] .

ثم أتبعتها بالكلام على نظرية (الأخلاف) التي ذكرها الباحث عوض حمدين، و(الإخفاء)، وتتبعتُ أسانيد هذه الأطروحة ، واستقراء كل من ذكره قبلها ، إذ قلما تجد أطروحة بلا سند.

ثم بينت في سرد طويل الأسباب الحقيقية لضياع التراث العالمي والحضرمي ،

ثم ختمتُ البحث بالنتائج .

وألحقت به أربع ملاحق:

- المرحلة القادمة من ضياع التراث الحضرمي (الهاردسكات)
- إنقاذ الهاردسكات.. من وحي كلام المؤرخ علوي بن طاهر الحداد
- ملخص ورقة الباحث عوض حمدين ثم تعقيب د. محمد باذيب
- مقالة المدرسة السلفية في تريم من الموسوعة اليافعية ثم تعقيب د. محمد باذيب

هذا البحث سيصبح يوماً ما من الذاكرة الحضرمية ، وكذا كل من ذكر اسمه وصورته وغلاف بحثه هنا ضمن الأرشيف الحضرمي ، ومن المتيقن أنه سيأتي يوم ويذهب كل هذا، وينسى الناس كل هذه الاختلافات ثم ينشغلون بأخرى ، ولذا فلا شيء أفضل من أن يبقى في الذاكرة الوطنية.

وقد جعلت أسماء الكتب باللون الأخضر ، وجعلتُ بعض العبارات التي تحتاج تأملاً باللون الأحمر، ثم طلب مني نشره فلم أجد الوقت لتبييضه .

تنبيه: هذا البحث مسودة ، تحت التعديل ، فإذا وجد فيه القارئ ملاحظة فليتكرم بإرسالها .

أحمد بن عمر بن أحمد الكاف
ahmadalkaff@gmail.com

غرة شعبان ١٤٤١

(١) وأقول : (على مضض) لأنه في أحيان كثيرة يتم إخفاؤها عن الملأ ، وفي أحيان يتم نشرها ، وما ذكرته هنا في البحث إنما هو من الثاني ، أو ما تسرب سهواً من الأول.. شأنها شأن الانثروبولوجيا العربية ، ناهيك عن أنه لا يوجد اليوم تخصص جامعي لها !

نحن والأَنْسَنَة (علوم الأنثروبولوجيا)

هذه الفكرة ـ أي: منطلق الاتهام الذي يسبب التشويش لقبائل محددة (السادة، المشايخ) في أبحاثٍ تَتَلَفَّعُ بالبحث العلمي ـ متَّهِمَةً السعي للهيمنة على عقول وقلوب الناس، وسرقة تاريخ حضرموت وفكرها وهويتها، وهم بكافة أسرهم ومجموعاتهم وقبائلهم جزء من فئات المجتمع الحضرمي اليوم، ونحن جزء منهم ـ ليست جديدة، وسبق بها كثيرون، وهي فرع انبنى على أصل أعم، وهو **علم الأَنْسَنَة / الانثروبولوجيا / الاستشراق الجديد**.

إن هذه الدعوات:

* تجرح ما تبقى من لم للشمل بين الفئات الاجتماعية، بما فيها من خطاب كراهية وعنصرية،



* تهدد الهوية الحضرمية اليوم، **المستمد من ديننا الإسلامي الحنيف ومدرسته الشافعية التي جعلت من الحضارم مثالاً يحتذى به ورسل سلام** [١].

* تمثل المرحلة الاخيرة في مراحل الأنثروبولوجيا القادمة إلى حضرموت، يقول يقول ريتشارد أنطوان الأنثروبولوجي الامريكي: إن تطور أنثروبولوجيا الشرق الاوسط مر بأربع مراحل:

١. مرحلة سيطرة المستشرقين،

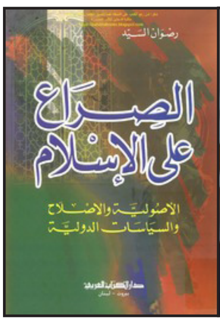
٢. ومرحلة سيطرة الرحالة والاداريين السياسيين في العصر الاستعماري، اي: الأنثروبولوجيين الهواة

٣. ومرحلة سيطرة علماء الانثروبولوجيا المحترفين،

٤. وأخيراً مرحلة سيطرة الانثروبولوجيين المحليين [٢].

هذه الكتابات التي تشهدها حضرموت اليوم في أشباه المؤتمرات العلمية والمراكز البحثية إرهاصاتٌ لكتابات الانثروبولوجيين، التي هي الأصل، وهي مصدر الوحي والإلهام لها، حيث لم تفتتح تخصصات أنثروبولوجية بعد في جامعات حضرموت.





(١) كما ورد في بيان مؤتمر حضرموت الجامع ٢٢ ابريل ٢٠١٧.
https://www.facebook.com/hadhramoutich/

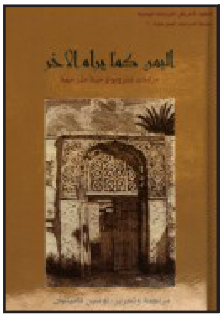
(٢) «الصراع على الإسلام، الأصولية، الإصلاح، والسياسات الدولية» للكاتب اللبناني رضوان السيد، ص ١٠٦ دار الكتاب العربي، بيروت عام ٢٠٠٥

وبعبـارة أخرى.. ما نشـهده اليوم من مسـمى (البحـث العلمي) ، (مراكز البحث) ، (مشـاريع إعادة القراءة للتاريخ) مصدر تفكيرها / أفكارها هو علم استعماري ، وفي تجربة الانثروبولوجيا العربيـة العظـة والعبرة، وحضرموت لا تـزال بكرا على هذا كله ، ولذلـك كلما أعجب أحدهم بشـيء من أدواتها أسـقطها على حضرموت وخرج لنا ببحث مثير للجدل، وأرجو أن يتيسـر لي كتابة بحث مسـتفيض يبين تمرحـل الانثروبولوجيا العالمية ثم العربية ، ويتلمس مسـتقبلها في حضرموت.

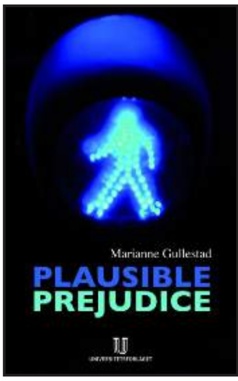
هـذا الأصـل (علوم الانثروبولوجيا)، الشـكل الذي انتهـت إليه علوم الاستشـراق اليوم ، هو أسـاس لما يشـبه هذه الكتابات ، وهي في الحقيقة إنجاز معرفي إنسـاني وعلوم جديدة مفيدة، فتحت لها التخصصات في العالم الأول حتى وصلت إلى بلدان العالم الثالث.

وهي تعد تطويرا لعلم الاجتماع الخلدوني ، وانطلاقاً لآفاق أوسـع ، ويسـتمتع البائع بمطالعة إنتاجها الإنسـاني المتنوع، يشـوب نتائج بعض أبحاثها الميدانية أنها تشبه قواعد البيانات، تعين دوائـر القـرار.. الخارجيـة والداخليـة.. والبعـض الآخـر قنابـل عنصريـة موقوتة تهدّد السِّـلم المجتمعي، حيث تنبني على علاقة (بدائي) بـ(متحضر).

ومعنى الانثروبولوجيا (علم الأَنْسَنَة)، وهو فروع ذات شجون، وليس علماً واحداً ، منها يُعنى بدراسة الشرائح الاجتماعية والاثنيات، وهذا الفرع هو الذي يعنينا هنا ، هذه المعرفة كما يقول المركز الأمريكي للدراسـات اليمنيـة في غـلاف إصداره «اليمـن كما يـراه الآخر» صارت مشروطـة بعلاقـات القـوى القائمـة بـين الباحـث (غربي في الغالب) وموضوع بحثه (غالبا مجتمع غير غربي) .



❋ وقد رصدت الانثروبولوجية النرويجية جوليستاد ٢٠٠٦ في كتابها «تحيز معقول» plausible prejudice التحديات التي تواجه علوم الانثروبولوجيا، وصدرتهـا بقضيـة العنصريـة racism. وكان الملفت في طرحها نقد الانثروبولوجيا من الداخل[١].



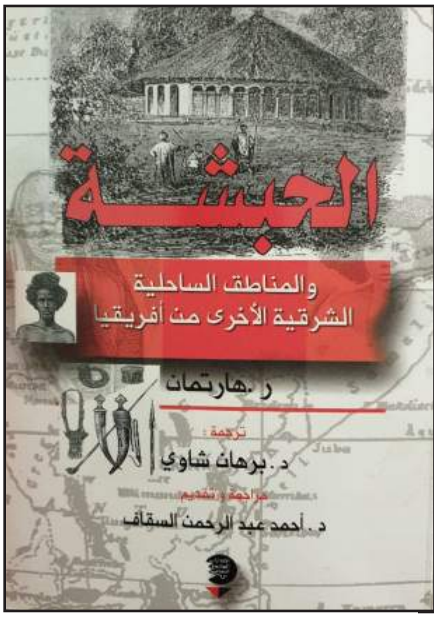


وقـد حـددت في طرحهـا خمسـة تحديـات رئيسـية لعلم الانثروبولوجيا لفهم مشـاكل العالم اليوم ، وشـددت على الحاجة إلى «إنهاء الطابع الاستعماري لعلم الأنثروبولوجيا»، وتؤكد فيه أن الأنثروبولوجيا لا تزال متأثرة بماضيها الاستعماري. كما تتعرض لما سمته بأثربولوجيا

(١) انظر مقالة الانثروبولوجي لورينز Lorenz Khazaleh في موقع اخبار الانثروبولوجيا antropologi.info بعنوان (التحديات الخمسة للانثروبولوجيا) The Five Major Challenges for Anthropology

الانثروبولوجيا ، في نوع من النقد الذاتي للعلم ذاته.

* يقول د. أحمد عبدالرحمن السقاف خريج جامعة هاردفرد في تقديمه لكتاب هارتمان «الحبشة والمناطق الساحلية الشرقية الأخرى من إفريقيا» الذي نشره المجمع الثقافي الإماراتي ص ٣٤: على وجه العموم، فقد حقق الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي إنجازات عدة في ميادين معرفية شتى **ولكن على وفق رؤية غربية خاصة وذاتية قد تختفي فيها الموضوعية وتغيب النظرة الشمولية** خصوصا عندما يتعلق الأمر بالشعوب الأخرى غير الأوروبية. ومؤلف هذا الكتاب كان يمثل أحد التيارات التي كانت تمسك بزمام علم الإثنولوجيا في ألمانيا. تلك التيارات التي يرى البعض أنها أحد العوامل التي تسببت في ظهور الفكر النازي المبني على أسطورة التفوق العرقي. ومعلوم أن فرع الأنثروبولوجيا التطبيقية يعنى بأسس توجيه سلوك البشر **من أجل تحقيق أهداف معينة**.









وقد طبقت الدول الاستعمارية الغربية هذا العلم في إدارتها للمستعمرات وحرصت على تزويد موظفيها هناك بمعرفة أهم مبادئه، وعلى إطلاعهم على نتائج البحوث الأنثروبولوجية التطبيقية التي تجريها على المستعمرات ليستفيدوا منها في أداء عملهم، ومن هذا العلم انبثقت فكرة الحكم غير المباشر للمستعمرات من خلال الرؤساء والحكام المحليين بما يعرف بنظام الحماية الذي يوكل عملية التوجيه والتخطيط ورسم السياسة الخارجية للإدارة الاستعمارية ويترك أمور الإدارة اليومية للرؤساء المحليين من خلال التركيز على دراسة القانون العرفي المحلي وإعطائه الصبغة الرسمية .

ثم يختم المقدمة بقوله: واليوم وفي مطلع الألفية الثالثة وفي علاقة شعوب العالم الثالث بالغرب، نُواجه بخطاب مشابه ، ربما نُمِّقَتْ عباراته لتدغدغ العواطف وتلامس مكامن المعاناة الدى تلك الشعوب ؛ لكن المضمون والغاية واحدة : هي الهيمنة.. فما أشبه الليلة بالبارحة، فهل يا ترى من مدَّكِر؟

مشاريع علمية ذات أثر اجتماعي سيء

وفـي هـذه الأيـام.. تطالعنا فـي كتابات التاريـخ الحضرمي نغمـاتٌ تُهدِّد ما تبقى من السـلام المجتمعي في حضرموت إن كان بقي منه شيءٌ،

ترفـع راية البحـث العلمي بالأسـس الغربية لتقـارن المجتمع الحضرمـي بمجتمعات أوروبا الكَنَسية في العصور المظلمة ؛

فتمارس علينا **الإرهاب التنويري** الذي ساد أوروبا بعد سقوط الإرهاب الكنسي أحياناً.

وتطبق معايير دينية لترحلَ لمجتمعاتنا صراعاً مذهبياً

فتعيد إنتاج وتدوير الصراع العلوي الإرشادي أحياناً أخرى(1) .

فهي وإن كانت صحيحة علمياً عند أصحابها ، لكنها مرفوضةٌ حضرمياً / مجتمعياً .

يتم ترحيلها من مرحلة لمرحلة ، ومن جيل إلى جيل

تارة باسم المنهج العلمي للاستشراق والنثروبولوجيا / الاثنوغرافيا / إعادة قراءة التاريخ

وتارة باسم تقرير العقيدة الصحيحة / إنكار البدع في الدين .

وبدلاً من التفكير في النهوض بحضرموت الغد فإن مثل هذه الكتابات تتجدد كل مرة محاولةً تصوير المجتمع الحضرمي وكأنه في صراعات طبقية / اثنية حتمية لا تتوقف، منذ عهد الصحابة وحتى اليوم ، **والقاسـم المشـترك بينها العنصرية وخطاب الكراهية** ، الذي يجرح مشـاعر فئات المواطنين الحضارمة ، وهذه ومضاتٌ منها ، وكثير منها جاء متزامناً مع الآخر ولن ألتزم ترتيبها الزمني :

(١) فتنة أثيرت بين عرب جنوب شرق آسيا مطلع القرن العشرين ١٩١٥ أثارها السوداني الشيخ السوركتي بمجموعة من الفتاوى النجدية المخالفة للمذهب الشافعي تطورت إلى معارك في الصحافة والإعلام ثم اعتداءات ومواجهات كيدية واشتباكات خلفت آثارا في التنازع والتدابر والتباغض أضعاف نفوذ العرب في أوساط الإندونيسيين الذين كانوا ينظرون إليهم بمثابة القدوة الحسنة التي يمكنها أن تسهم في إصلاح الدين.

مشروع التخويف من السادة

* قال المستشرق و المندوب السامي البريطاني هارولد انجرامز في بحثه «حضرموت ١٩٣٤ – ١٩٣٥» : **وامتد نفوذ السادة حتى وقت قريب ليغطي كل أرجاء حضرموت كما كان حال الكنيسة خلال القرون الوسطى في أوروبا**. وكونت لنفسها طبقة بيروقراطية لا يتدخل في شئونها الحكام المدنيون إلا قليلا[1]. وقد انتهج انجرامز في سياسته محاولات لتغيير مكانة العلماء والصلحاء، لأن من سياسة بلاده تغيير خريطة الولاءات القديمة ، وقد أحسن د. صادق عمر مكنون بجمع سيرة حافلة عنه بعنوان «انجرامز سلطان حضرموت غير المتوج»[2] ص٣٥٧.









* ثم تلاه الأستاذ صلاح البكري اليافعي في كتابه «تاريخ حضرموت السياسي» الذي نشر عام ١٩٣٦ حيث قال: **لقد بذل آل باعلوي كل مستطاع في توطيد مركزهم الروحي ، وتظاهروا بالصلاح والتقوى وعملوا بكل ما عرفوا به من الدهاء لجلب الناس إلى تقديسهم** والتبرك بهم ، ولقد نجحوا في ذلك وفازوا بالسلطة الروحية دون غيرهم ، وتضاءلت سلطة العلماء الدينية أمام سلطتهم الروحية[3] ... ثم إنهم لم يكتفوا بذلك فقد ألف بعضهم كتبا لتضليل عقول الناس وتسميم أفكارهم بما يقصونه عليهم من الحكايات الخرافية والدعاوى الكهنوتية ، وأهم تلك الكتب هو «المشرع الروي»، ولم يقفوا عند ذلك المد ولم يقنعوا بتضليل عقائد الشعب الحضرمي و تسميم أفكاره، ولم يقنعوا بما نالوه من السلطة الروحية بل طمحت نفوسهم واشرأبت أعناقهم إلى أكثر من ذلك ، طمحوا إلى الملك ، فلعبوا في السياسة أدواراً هامةً سنذكرها في غير هذا المكان ، وأيقظوا فتناً وأثاروا حروباً بين يافع وآل كثير توصلاً إلى غرضهم المنشود.





(١) نشره النوبان مترجما من مطبوعات جامعة عدن ٢٠٠١ ، لاحظ إسقاط (البيروقراطية) و (الكنيسة) على حضرموت لترحيل الصراع الأوروبي.

(٢) وهو بالأساس رسالة دكتوراه تقدم بها إلى الجامعة الوطنية بماليزيا بعنوان «أثر هارولد انجرامز في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حضرموت ١٩٣٤-١٩٤٤».

(٣) «تاريخ حضرموت السياسي» لصلاح البكري اليافعي ١/ ٩٨.

* ثم تلاه المستشرق سارجنت في محاضرته التي ألقاها في جامعة لندن عام ١٩٥٦ بعنوان «السادة في حضرموت» وبحثه الآخر «التاريخ والمؤرخون في حضرموت» حيث خصص الكلام عن (غزو السادة لكل نواحي الثقافة الحضرمية) و(النظام التراتبي الذي فرضه العلويون على القبائل لتعزيز مكاسبهم الاقتصادية والاجتماعية)(١).


HISTORIANS AND HISTORIOGRAPHY OF HADRAMAWT

By R. B. SERJEANT



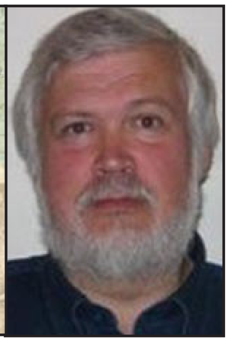
وقال ص١١٧: لكن صديقا لي ضد السادة قال: إن لهذه الجمعية ـ ويقصد هنا جمعية الأخوة والمعاونة بتريم التي أسسها السادة آل الكاف بتعاون مع غيرهم من السادة ـ أهدافا سرية تقضي بأن يتعلم أبناء الفلاحين والضعفاء إلى مستوى معين.

قلتُ: والنقل عن المصادر الشفهية فيما يشبه الصحافة ضارباً عرضَ الحائط بالمنهج العلمي في التثبّت شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَمِ(٢). ويشتد عجبي ممن يعتبر سارجنت أهلًا لفهم الحضارمة مع تخبطه في فهم لهجتهم، بل جاهل مركب، لا يدري.. ولا يدري أنه لا يدري.

(كان سارجنت يعتقد أن إجادته للغة العربية، إضافة إلى طول فترة إقامته في حضرموت واختلاطه بالسكان قد مكنه من استيعاب اللهجة الدارجة العامية الحضرمية، ولما طلب منه شرح بعض أبيات الشعر العامي المحلي شرحها شرحا لا يتوافق ومضمونها، وذلك لعدم إدراكه الرمز والكتابة من مدلول الجمل التي حملها بيت الشعر)(٣).

* وفي عام ١٩٩٢م جاء المستشرق الروسي ميخائيل روديونوف في كتابه «إثنوغرافيا حضرموت الغربية: المكونات العامة والمحلية في الثقافة السلالية» فقال في المقدمة ص١ رابطاً بين الأحداث السياسية ما قبل الثورة وبين تقسيم المجتمع الحضرمي: صاحب الانقسام السياسي لجنوب اليمن قبل الثورة تشتت اجتماعي، إذ انقسم المجتمع إلى عدد من الفئات المرتبة حسب التدرج الاجتماعي في درجة





---

(١) Historians and Historiography of Ḥaḍramawt، وقد ترجمها النوبان فسماها «حول مصادر التاريخ الحضرمي» ونُشرت من مطبوعات جامعة عدن في الثمانينات.

(٢) يقول السيد مصطفى بن عبدالرحمن العطاس على هذه العبارة معلقاً: فتنةٌ أخرى، وتأجيجٌ للبغض، وسعيٌ لإعادة ما كان الخوارج يطلقونه عند هيمنتهم على حضرموت لخمسة قرون مضت، ولا يزال شررها متطايراً كلما خبتْ عادتْ، نسأل الله أن يطفئها ويزيلها. «كتب التراجم والتاريخ الحضرمي بين الفجوات الزمنية وروايات المجهولين» ص٩٢.

(٣) الملاحي، عبد الرحمن عبد الكريم «من مفكرتي: حضرموت في عيون باحثين أجانب» مجلة آفاق ع ١٦ (١٩٩٦م) ص ٦-٧.

المقامات ، الطبقات الاجتماعية التقليدية.

إن المكانة الأكثر تميزا في حضرموت يشغلها السادة (المفرد: سيد) ويطلق على النساء (شريفة). وهذه الفئة **تدعي الانتماء إلى النبي محمد** ﷺ من جهة ابنته فاطمة.

إن أصل السادة كما هو جلي يثير الشكوك، تذكر التقاليد إن علي بن محمد بن جديد بن عبدالله (ابن الابن لحفيد المهاجر) قد اتجه إلى سكان البصرة للاستيضاح والتثبت ، وبفضل شهادتهم عزز النسب.

بين سادة حضرموت : العيدروس، السقاف، الكاف، الحداد، العطاس، الحبشي، بن الشيخ بوبكر، بلفقيه، المحضار، مشهور، شهاب، السري ،الجنيد، بافطيم، مولى الدويلة، الصافي، باعقيل، البيتي، باروم، مديحج، مقيبل، بن حدون ، مطهر، طه ، البار، الهادي، الهندوان، السليله ، طاهر وغيرهم. وقد انقطعت بعض الأسر التي اشتهرت جيداً في الماضي(المساوى ، الشلي ، مولى خيلة)(١).

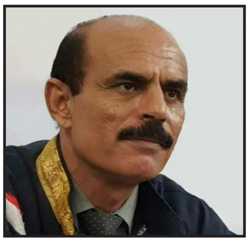
❋ وفي عام ١٩٩٨ ومن ذات المركز نشر بحثٌ للأنثروبولوجي الأمريكي ألكسندر كيش بعنوان





«السادة في التاريخ» مقالة نقدية للتاريخ الحضرمي ، أشار فيها إلى (الجدل اللاهوتي) حول تقديس الأولياء في بداية القرن التاسع عشر والذي انفجر في حرب ١٩٩٤ بين شطري اليمن، وأشار إلى أن **السادة صوروا أنفسهم بصورة التنسك والزهد، وأخفوا تسويقهم لحوط الأولياء على زبائنهم الاقتصاديين والسياسيين ، تحت طبقات سميكة من السير والتراجم المموهة.**

قلت: لا يخفى في كلامه وكلام من سبقه الاستخفاف بعقول القبائل الحضرمية ، وتوجيه الإهانة لرجالها كونها قبلت بفرض كل هذا عليها طيلة الدور الصوفي الذي دام عدة قرون.



❋ وفي عام ٢٠٠٣ جاء د. حسن صالح غلام في أطروحة الدكتوراة «مصادر تاريخ حضرموت في العصر الوسيط» فقال ص٢٩٨ ناقلا عن

(١) ترجمه د. علي صالح الخلاقي وصدر عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام ٢٠٠٢م ، والكتاب كبقية الكتب أعلاه ينتمي إلى علم الاثنوغرافيا وإلى النهج الانثروبولوجي في دراسته للعادات والسلالات ، وهذا الطرح بهذا الشكل سليم علميا و أمر طبيعي عند أصحابه ، ولنا إلى الانثروبولوجيا العالمية والمحلية عودة في بحث مستقل بإذن الله، ولعلها تستحق الرصد واستشراف مستقبلها في حضرموت.

وبالمناسبة فإن المستشرق ميخائيل ضعيف في بحثه الميداني ، الذي هو العمود الفقري لأي بحث انثروبولوجي، وما ذكره عن انقطاع هذه الأسر خطأ محض ، فآل الشلي لهم بقية في مكة ، وآل مولى خيلة وآل المساوى بين أظهرنا في جاوة ووادي عمد وسيؤون والحجاز والهند غيرها .

شاكر مصطفى المتخصص في أدب أمريكا اللاتينية!![1] في كتابه «**التاريخ العربي والمؤرخون**» ضمن فصل يتكلم فيه عن غياب كتب التاريخ الحضرمية:

كل ذلك أدى إلى عدم وجود مؤلفات تاريخية بالمعنى اللفظي للكلمة، وأصبح تاريخ المنطقة هو ما سجله العلماء والمهتمون من أفراد الأسر والعائلات الذين لا يهمهم من تاريخ الفترة السابقة إلا ما يسمح لهم بإبراز تاريخ عائلاتهم القائم على **تعصب أبوي بطريركي** مصحوبا بنفوذ روحي، وذلك في قطيعة مع التاريخ السياسي العام للمنطقة فانعدم الأخير وحل الأول محله. ويظهر ذلك في صور مختلفة مثل كتب التراجم.

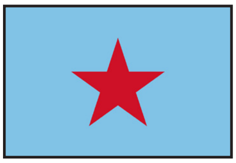
(١) لا أدري ما هو موقع هذا النقل ونحن نتكلم في تاريخ حضرموت ، فهذا الرجل لا علاقة بحضرموت حتى نحكم كلامه على المجتمع الحضرمي.

مشروع التشكيك في أصل الإسلام الحضرمي

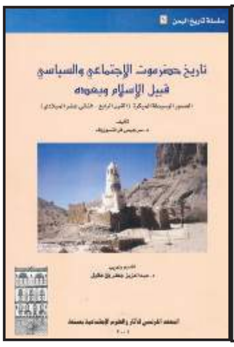




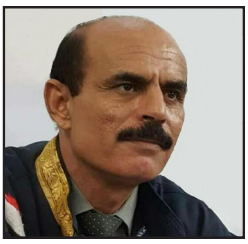
* ثـم جاءت المرحلـة الاشـتراكية ١٩٦٧ – ١٩٩٤ وقامت في بدايتها بذبـح هولاكيٍّ وإبادةٍ ستالينيةٍ لفئات اجتماعية كاملة وتهجير من بقي بعد مصادرة بيوتهـم وممتلكاتهـم، وفرضـت علـى المجتمع مسـميات **الكهنوت** / **البرجوازية** / **الإقطاعيون** علـى المجتمـع الحضرمـي، وفرضـت معهـا أدبيـات لا حصر لهـا ، وممن لخصهـا الأديـب محمـد عبدالقـادر بامطـرف في كتابه «**الإقطاعيون كانـوا هنا!**» مع صورة أكوام الجماجم على الغلاف على أطلال الخرائب.



* ثم جاء المستشرق الروسي سرجيس فرانتسوزوف عام ١٩٩٢ في بحثه «**تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي قبيل الإسلام وبعده**» فقال عن قبيلتي كندة وحضرموت : **وكان الدخول في الإسلام بالنسبة لكثير منهم يعني الدخول في حلف عسـكري وسياسـي شخصي مع الرسـول ﷺ** ، الذي يشـترط عليهـم فقط شـرط قبول الإيمـان بوحدانيـة اللـه سـبحانه وتعالـى / **وكانـت وفـاة الرسـول ﷺ قـد وقفت حجـر عثرة أمام قرابة الأشـعث له عن طريق المصاهـرة / وكان النزاع حول ملكيات مساحات الأراضي مع زعماء كندة هو السبب الرئيسي الذي جعل وائل بن حجر يجد الطلب للبحث عن سـند الرسـول ﷺ له**؛ خاصة أن كندة كانت تحاول السـيطرة على أحد الوديان التابعة لوائل في حضرموت[١].

* ثـم جاء د. حسـن صالح غلام في أطروحة الدكتـوراة «مصادر تاريخ حضرموت في العصر الوسيط» عام ٢٠٠٣ فقال ص١٤٣ أثناء نقله نقولات متعددة عن كتاب «الردة» للواقدي:



وإذا مـا أخذ كل ذلك بعين الاعتبار، فأين لكندة أهدافها الخاصة من حركة المعارضـة تلـك؟ فهي لم تهدف إلى مؤازرة بني هاشـم في حقهم المسـلوب كما تصـوره بعـض المصادر العربية، ولكنها **حركة قبليـة معارضة تطمح للتحرر من سـيادة قريش وممثلهـا أبي بكر**، وتهدف إلى أحياء الملكيـة الكندية الضائعة التـي سـبقت قريـش إلى تكوينهـا، بل **حاولت بعثها في حيـاة النبي محمد غير أنـه أبي عليها ذلك** .

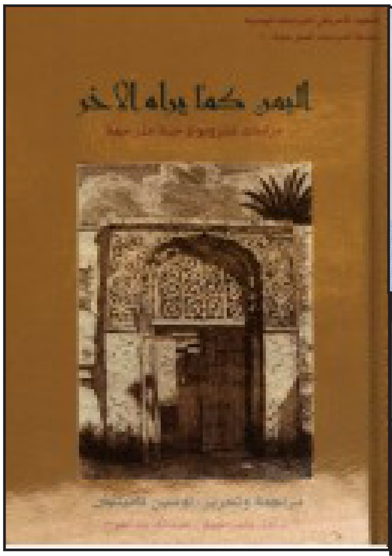
---

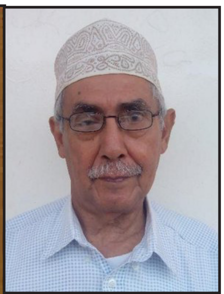
(١) ص٩٩ – ١٠٠ ، نشره المعهد الفرنسي للدراسات والآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء ٢٠٠١ .

ورأت في إنتشـار «ردة» قبائل العرب فرصة مواتية لإحياء مشروعها من جديد، لكن تلك النظرة السطحية الضيقة لم تغش أبصار كل بطون كندة، فحث بعضها الخطى للانخراط والتفاني في دعم أسـس الدولة الإسـلامية، وتجاوز دعوة القبيلة الضيقة التي سـعت الحركة إلى تكريسـها مستغلة بذلك حداثة عهد القبائل بالإسـلام، فضلا عن سياسـة الشدة التي اتبعها زياد في جمع الصدقات. وانعكاسـها في التفـاف أكثـر بطـون كنـدة حول الأشـعث بن قيس الـذي أبي نجدتهـا إلا بتتويجه والاعـتراف بـه ملكا عليها ، مجسـدا شرعية ذلك الاعتراف بوضع تاج جـده يزيد بن معد يكرب على رأسه خائضا به معارك الملك الخاسرة.

مشروع التشكيك في الصوفية (سادة + مشايخ)

* ثم جاء الانثروبولوجي عبدالله بوجرا في كتاب «اليمن كما يراه الآخر.. دراسات انثروبولوجية مترجمة» الذي أصدره المركز الأمريكي للدراسات اليمنية عام ١٩٩٧ بتقديم الانثروبولوجية لوسين تامينيان مقالا بعنوان «الصراع السياسي والتراتب الاجتماعي بحضرموت» فقال ص٣٦ : إن مكانة المشايخ والقبائل متساوية، لكونهم ينحدرون جميعا من نسل الجد الأول قحطان ، ولهذا فهم يشكلون شريحة واحدة. ولكن هناك تمايز ما بين الفئتين داخل هذه الشريحة







؛ فللمشايخ دور ديني شبيه بدور السادة، وهم يشكلون، كما وصفهم أحدهم، (سادة ثانويين) ويملكون عددا من القرى تسمى الحوطة. ولكنهم يختلفون عن السادة ، من حيث إن بيوت المشايخ الكبار منهم تقع في مناطق محددة خاصة بهم. ويسود الاعتقاد بأنهم، هم أيضا، يملكون قوى روحية فطرية وإن كانت أقل شأنا من قوى السادة .

ومن جهة أخرى تشغل القبائل ـ وهم رجال مسلحون ـ الجزء الأكبر من المنطقة. ويعتبرون بدائيين وغير متدينين إلى حد ما. وتشغل كل قبيلة المناطق الخاصة بها والتي تقسم على وحدات القبيلة من أكبر إلى أصغر وحدة. تعتبر القبائل بمثابة محاربي حضرموت ويشكلون مجتمعة حربيا لكونهم مسلحين ومنخرطين في عداءات قبلية دائمة. بالإضافة إلى هذا فإن قيم (الشرف والعار) أقوى بين القبائل منها في أي فئة اجتماعية أخرى»[١].

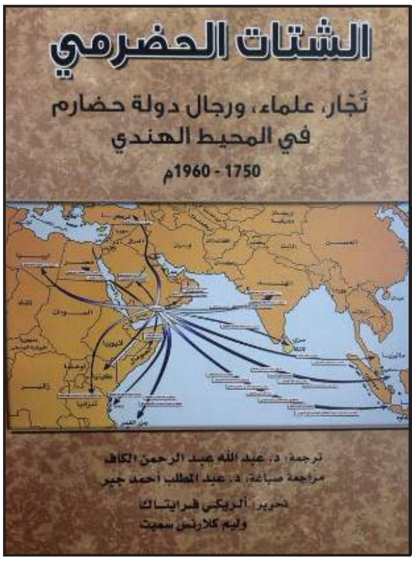
قلتُ: لا أدري ما فائدة تكرار النقل وإعادة كل ما كتبه سارجنت في الخمسينات من التركيز على فترة الصراع العلوي الإشادي، مرةً بعد مرةً كما فعل كل من كتب عن الانثروبولجيا الحضرمية.. ومن مركز في صنعاء يعيش التسعينات بعد أن أعيد تشكيل المجتمع الحضرمي وتفتيت المفتت منه ، وصار السادة والمشايخ والمساكين كلهم ضحايا مرحلة كان فيها جنوب اليمن أكبر مجمع بشري للفقراء والمعوزين . يا لهذا الفقر العلمي ، وكأن الجديد في الاثنوغرافيا الحضرمية حضرموت يستحيل الإتيان به ، فنجتر كتابات قبل أربعة عقود تم استهلاكها وكثر

(١) «اليمن كما يراه الآخر.. دراسات انثروبولوجية مترجمة» مراجعة طلحة فدعق ، جامعة ميتشيغان ، أمريكا .

الناقلون عنها.

إن الإصرار مرة بعد مرة على اختيار هذا الإطار الزمني لدراسة المجتمع الحضرمي (علوي / ارشادي) مطلع القرن العشرين – لعمري ـ هو بقايا المخلفات الاستعمارية الذي قدمنا ضرورة تحرر الانثروبولوجيا منها، كما أسلفنا مع جوليستاد والسقاف في مقدمة البحث.

* ثم جاء هارتلي في أطروحة الدكتوراه التي استندت على البحث الميداني الذي تم بين عامي







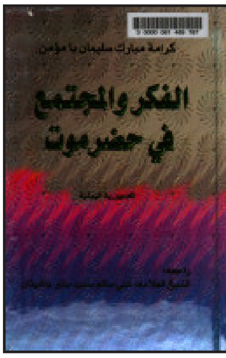




١٩٥٩ – ١٩٦٠م يبحث فيها النظام السياسي لقبيلة نهد مركزاً على استخدام (الزعامة المزدوجة) ،حيث قال : الفئة التي أطلق عليها (رجال الدين) تشمل كلاً من السادة والمشايخ. و(المشايخ) يعتقد أنهم ينحدرون من سلالات الموظفين الدينيين في فترة ما قبل الإسلام ، والفرق بين هاتين الفئتين ضئيل حيث إنهما اعتبرتا من فئة رجال الدين[١].

* ثم جاء الأستاذ كرامة بامؤمن عام ٢٠٠٢ في كتابه «الفكر والمجتمع في حضرموت» وأفرد





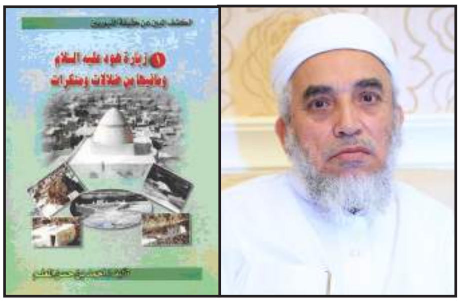
العناوين في كتابه لمواضيع شتى كالاستعلاء ، والسخرة الاجتماعية ، والعنصرية ، والتعالي ، كلها عند السادة ، وتأثرهم بنظرية الاصطفاء اليهودية ، وأن الفكر الصوفي الحضرمي فكرٌ رافضيٌّ اثني عشري ، يسعى للسلطة والهيمنة واستعباد الحضارمة ، ثم راهن في خاتمته على فكر الصحوة.

---

(١) «الشتات الحضرمي تجار، علماء، ورجال دولة ١٧٥٠ – ١٩٦٠ م» ص٢٣٣، نشر عام ١٩٩٠ ، ترجمة د.عبدالله عبدالرحمن الكاف، مراجعة صياغة: د. عبدالمطلب جبر ، تحرير : الريكي فرايتاك، وليم كلارنس سميث.

مشروع القبورية في حضرموت

* ثم جاء الشيخ أحمد بن حسن المعلم عام ٢٠٠٠ في كتابه «الكشف المبين عن حقيقة القبوريين» متحدثا عن زيارة النبي هود عليه السلام وما فيها من شرك وضلالات ردا على كتاب الباحث فهمي عبيدون «الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود»، ومع أن الشيخ يناقش مسألة من التشريع الإسلامي إلا أن النغمة ذاتها تتكرر حيث يقول واصفا بعض مظاهر الزيارة:



من هم أهل تريم المستحقون للعز؟ هل هم القبائل الذين نصيبهم من ذلك العز حمايته والحفاظ عليه لأربابه دون أن يشركوا فيه بأدنى نصيب؟ هل هم المساكين من الفلاحين والعمال وطوائف الحضر المختلفة؟ هل يمكن أن نقول بأنهم المعنيون بالأمر وهم يعاملون معاملة العبيد الأرقاء من أسياد سيئي الملكة يسخرون للخدمة ولإظهار مجد أهل المجد وعز أهل العز بإذلالهم وإهانتهم؟ هل هؤلاء لهم نصيب من العز؟ إن المقصود بالعز الذي تجب المحافظة عليه هم أولئك السادة وحدهم! ومن هنا يمكن أن نفهم كيف لقيت زيارة هود ذلك الاهتمام وتلك العناية وذلك الجهد لتكون من دعائم العز المنشود[1]!

* ثم جاء الشيخ علي بابكر وزملاؤه في كتاب «هذه هي الصوفية في حضرموت»، وقدَّمَ له



الشيخ: علوي بن عبد القادر السقاف، الشيخ: أبو بكر بن هدار الهدار، الشيخ: صالح بن بخيت مولى الدويلة عام ٢٠٠٤، وأفرد فصلا لتجارة القبور والكرامات فقال ص٣٦: إنه مشروع ناجح ويدر رزقاً كثيراً على أصحابه، ولا يكلف كثيراً، إنما هو بناء قبة على قبر الشيخ وتزيينها وزخرفتها وكتابة أوراق في كراماته، لكي يعتقد الناس فيه ويكثر الزوار وأصحاب الحوائج. وهذا ما فعله أصحاب عينات مع فخر الوجود أبي بكر بن سالم، وقد حثوا الناس على زيارته ورتبوا عليها الثواب الجزيل.

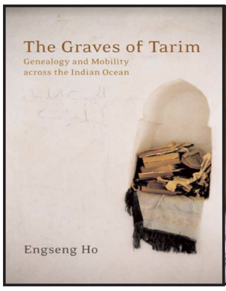
ثم أفرد فصلا لأوجه التشابه بين الهندوس عبدة الأصنام وبين غلاة الصوفية في

(١) ص٤٩، «الكشف المبين عن حقيقة القبوريين» أحمد بن حسن المعلم ١٩٩٠.

حضرموت ص٥٥، ثم قال في الخاتمة ص٥٨ : عرفت أخي القارئ أن الـدافع الأكـبـر لصوفية حضرموت – فيما سبق – هـو أكل أموال الناس بالباطل ، وأما في هذا العصر وبعـد أن تحسنت أحـوال النـاس المالية خاصة بعد تقـدم الصناعات واستغنى الناس ، فـإن الدافع الكبر لهم هـو الكِـبـر والعناد يظن أنه إذا اعترف بالحق وتـرك الباطل أن هذا فيه تحقيراً لآبـائه ومكانتهم.

المشروع العنصري في حضرموت

* ثـم جـاء الانثروبولوجي اينسـينج هو فـي كتابه «أضرحة تريم.. الأنسـاب وقابليـة الحركة» عام ٢٠٠٦ وأسـهـب في دراسـة الظواهر العنصريـة ، كونها من شـؤون تخصصه ، يقول السلطان غالب بن عوض القعيطي فـي نقـده للكتـاب: ولأسباب محيـرة أيضا اختـار المؤلف مصطلـح (Creole) كمرادف لـ(مُوَلَّـد)، وهو الحضرمي المولـود خـارج حضرمـوت، والمصطلح السـالف يطلق عادة على الشـخص من أصل زنجي/ أوروبي على علاقة ما بجزر الهند الغربية ، ولا صلة له – أي: المصطلح المذكور – بالشـتات الحضرمي، وإصرار المؤلف على استخدام هذا المصطلح يعتبر إثارة متكررة ومصدرا للتشويش[1]. ناهيك عن استخدامه للفظ (الاحتلال الأجنبي اليافعي).







* ثم جاء د. أبوبكر باقادر أستاذ الاجتماع والأنثروبولوجيا بجامعة الملك عبد العزيز في جدة فـي بحثه (بعض إسهامـات الحضارمة في الثقافـة العربية ١٧٠٠ – ٢٠٠٠) المنشـور بـ«مجلة المسـار» ص٥٤ عـدد ١ عـام ٢٠٠٨ مجـرداً القعيطـي والكثيـري والواحـدي عـن حضرميتهـم مشـبهاً نظامهم بالنظام الهنـدي المسـتزرع في حضرموت: والشبه واضح جـدا بيـن هذا النظـام الطبقـي التراتبي وبين نظـام الطبقة (caste) المعمـول به ديناً في الهند، ولـم أستطع بعدُ أن أقـف على أدلة تؤكـد أن حضرموت تبنت الهندوسية دينا فـي فترة من فتراتها التاريخية القديمة يمكـن أن يعزى إليه هذا النظام، صحيح أن العلاقات بين الهند وحضرموت قديمة وأصيلة لكن النظام الطبقي هذا بقي في الهند بسبب ديني، والسؤال ما الذي جعله قائما ولفترات طويلة؟ ولعل أصداءه التقليدية بتقسـيماته المقيتة لا تزال باقية، فهل هذا بسبب صلات هندية لكن غير دينية؟





---

(١) قف على قوله : التشويش ، ص٨٢ من كتاب «أضرحة تريم»، وستأتي لاحقا الإشارة إلى الغمز واللمز المزعجين ، وقد تعقب فضيلةُ السلطانِ المؤلفَ بملاحظاتٍ علميةٍ قيمةٍ ، نُشرت في موقع albab.com بالانجليزية ، هذا الاسم «أضرحة تريم» يذكرنا بكتاب «أضرحة حضرموت المقدسة» لمن لقب نفسه أباسعد النشونديلي السلفي ، والذي يشاركه التشابه الغائي في استهداف كرامات الصوفية بالدراسة والتحليل.

ورغـم وجود نظـام الطبقات التراتبيـة، إلا أن الحكومـات المحلية التـي حكمت حضرموت فـي النصـف الأول من القرن العشـرين، إنما كانت **الأسـر تعـود أصولها إلى طبقـة البدو**، ولقد تشـكل النظام الحكومـي في دولة (**القعيطي والكثيري والواحـدي**) وجميعهم من **خارج منطقة حضرموت**[1]، على شكل حكم الراجات الهندي، حيث تحكم أسرة معينة منطقة، ولقد اعترفت السلطات البريطانية لهؤلاء السلاطين بنفس السلطات والنفوذ الذي كان السلاطين الهند. بل إن الملفـت للنظر وجود علاقات عميقة ومتجذرة بين أسر هؤلاء السـلاطين وسلاطين من الهند، **فهل هو نظام هندي استزرع في حضرموت ولا يوجد شبيه له في بقية مناطق الجزيرة العربية**؟

---

(١) سمعت أن بعض المفسبكين يستخدم لفظة (القبائل المتنقلة) أو شيئا من هذا القبيل ويصم السادة بها كونهم من خارج حضرموت، وهذا أعجب كونه لم يدرس الانثروبولوجيا في الغرب حتى نستطيع أن نتعامل مع مدرسة نعرفها.. لقد كثر الكتّاب اليوم في أعمدة الفيسبوك دون منهجية تاريخية محددة .

نظرية (الأنا العلوية)

واليوم في عصر الفيسبوك ومع اضطراب المشهد اليمني بالصراعات والحروب ومعاناة الناس من الغلاء وأنواع البلاء وتطلّع الحضارمة للم شمل أبناء الوطن تطالعنا كل يوم مجموعةٌ من الأوراق والكتابات، ومنها ورقة د. عبدالقادر باعيسى التي حلل فيها كتاب «**المشرع الروي**» في مؤتمر (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين) الذي نظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر (وهو رئيس المركز) في ٣٠ ديسمبر ٢٠١٨م، يقول د. علي صالح الخلاقي في مواقع التواصل مشيدا بالبحث: ومن بين الأبحاث المقدمة تميز بشكل خاص بحث أ.د.عبدالقادر علي باعيسى بمنهجه التحليلي الرصين لمؤلف الشلي «**المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي**»، وهو الكتاب





الذي يتحدث عن الكرامات بوصفها فضاء متعدد القيم والشواهد على فضل العلويين ومنزلتهم، وقام على **إبراز (الأنا) الاجتماعية.. (أنا العائلة العلوية)** التي تبرز نفسها بوصفها عنصراً نموذجيا من خلال هذا التراكم في تراجم الأعلام وإبراز الكرامات الدَّال على شكل خاص من أشكال الوعي المرتبط **بتصور المثالية في العائلة**. وكان أستاذ التاريخ د.محمد سعيد داوود محقا حينما أشاد بالبحث وصاحبه وقال: (إن باعيسى اختطفه الأدب ولو كان مؤرخا لأفاد أكثر)، وهذه سمة لكل أبحاث ومشاركات د.باعيسى، وتنم عن مقدرته في الجمع بين القراءة التحليلية للأدب وللأحداث التاريخية بمنهجية علمية رصينة ولغة أدبية راقية.

وقد نشر مركز حضرموت للدراسات في مواقع التواصل مقطعاً مصوراً له يلخص فيه ورقته، ذكر فيه بعض النقاط: **العلاقة بالقبور وما تحت الأرض، مثالية لا علاقة لها بالواقع، حالة الاستلاب العام، تعميم الاستلاب على تريم وحضرموت**، ثم نشرت الورقة في مجلة حضرموت ع١١.

ومما ذكره فيها: من حيث موضوع الكتاب يعد بالنسبة إلينا **موضوعا مغلقا أو مكتفيا بذاته، ما دمنا لا نعرف خصوصياته**، إذ إن ما يجري فيه مرتبط بتحول غامض تعيشه بعض الذوات البشرية في تنقلها بين الحسي والميتافيزيقي.

ومنها: والكتاب يقوم -من جانب آخر- على شكل من أشكال **إبراز (الأنا) الاجتماعية (أنا العائلة أو القبيلة)**، التي تبرز نفسها بوصفها عنصرا نموذجيا من خلال هذا التراكم في التراجم.

ومنها: وقد يكون الدخول إلى عالم التصوف والكرامات منذ بدء إنشائه المؤسسي في حضرموت على يد الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ناتجا عن إحساس العلويين بالغربة في المجتمع، في

ظل اعتزاز مفرط بالذات،

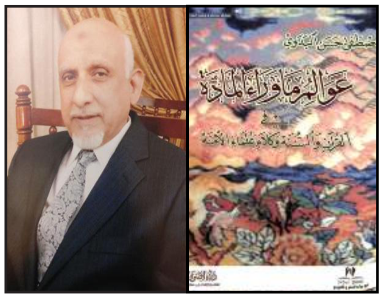
ومنها: الحكايات التي صارت بفضل تكرارها أشبه بآلة كبيرة تفعل سلبيا في المجتمع إذ صارت تكرس الاستعلاء دون جوهر روحي صادق، فبعد أن كانت الحكايات مرتبطة بالصالحين صارت مرتبطة بأولئك الذين يحاولون السيطرة على المجتمع.

قلتُ: قف على :

١- الرمي بالاستعلاء ، وهو إعادة طرح الأستاذ كرامة بامؤمن في كتابه «الفكر والمجتمع في حضرموت» الآنف الذكر.

٢- الحكم على ما في الأرواح والبواطن (دون جوهر روحي صادق) في ورقة علمية!

٣- هذا الموقف التعميمي من عالم المثال الذي طرحه باعيسى ومن يشاطره رأيه من إخواننا الحضارمة يختلف عن النظرة الشمولية ، في طرح الانثروبولجي اينسينج هو الآنف الذكر وكتابه «أضرحة تريم.. الأنساب وقابلية الحركة» الذي حاول جاهدا الربط بين قوة شبكاتهم في الخارج وقبورهم في الداخل، السؤال الذي لا تزال دراسات الشتات الحضرمي تطرحه، و(قدّم في وجهة نظره تحليلاً مفصلاً عن إنشاء وصيانة نظام (شبكات) - اتصالات- استمر إلى ما بعد سقوط الامبراطوريات البحرية ... وأما (تريم) وقبورها حسب العنوان، فهي رمزُ خالد للذهاب والإياب والشهود والغياب لجمعها بين الديني والدنيوي، وبين الرمز والمثال والإلهام والخيال)[1].



وقد سوّدتُ ورقةً ليس هنا محلها، لخصتُ فيه كتاب أ. د. مصطفى بدوي عن عالم المُثُل «عالم ما وراء المادة في القرآن والسنة وكلام علماء الأمة» ، لعلني أتطرق فيها إلى تغطية هذا الجانب أكثر بإذن الله .

وفي هذا الموضوع بالذات ـ عالم المثال عند صوفية حضرموت ـ أعجبني اعتراف باعيسى بغموضه وجهله لخصوصياته، وهذا تواضع علمي يسجل له ، ولي في الطبيب المصري غير الحضرمي مرجعية أكثر من باعيسى، حيث كان شغله الشاغل طول عمره ترجمة كتب التصوف الحضرمي إلى الإنجليزية والفرنسية بعد أن درس في الأزهر وعلى يد علماء الحضارمة، وهذه بعض ما ترجمه للانجليزية من تراث صوفية حضرموت:

Counsels of Religion النصائح الدينية والوصايا الإيمانية

Mutual Reminding رسالة المذاكرة مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين

The Perfect Call on the obligation of da'wah الدعوة التامة والتذكرة العامة

Knowledge and Wisdom الفصول العلمية والأصول الحكمية

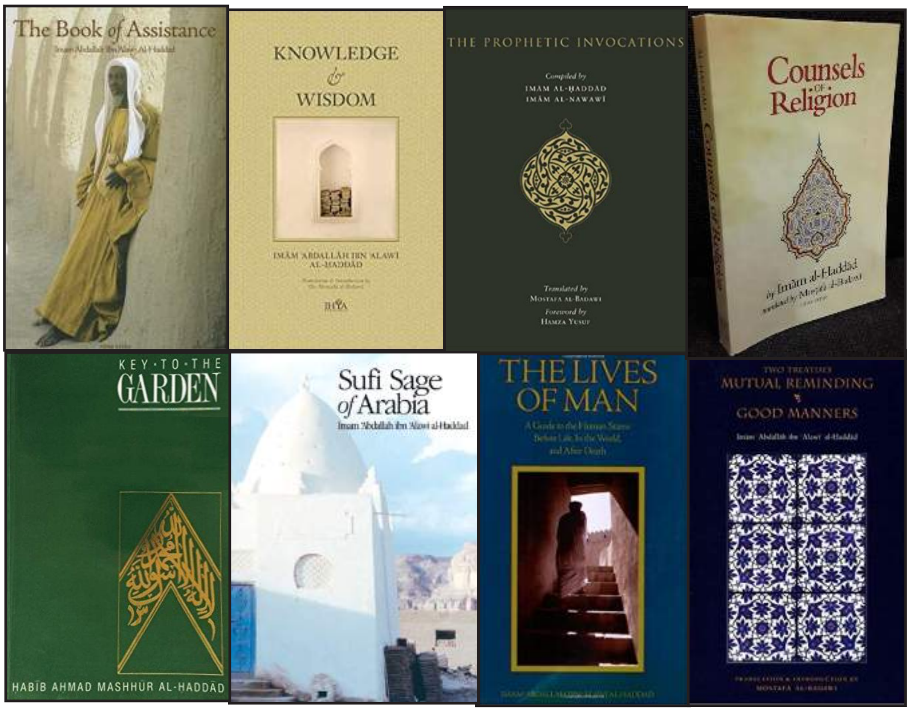
---

(١) فضل النقيب ، جريدة (الحياة) اللندنية ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٦.

The Book of Assistance رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة
Gifts for the Seeker آداب سلوك المريد
The Lives of Man سبيل الادِّكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار
the key to the garden مفتاح الجنة

وهذه الكتب جميعها من تأليف الإمام عبدالله بن علوي الحداد ، ما عدا الكتاب الأخير فهو من تأليف الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد.

وقد أشبع الفصل عن هذه العوالم الغامضة عند باعيسى في كتابه : «عوالم ما وراء المادة» ، وجهود بدوي معروفة لكل غربي مهتم بالشأن الحضرمي [(١)].



---

(١) تخرج في كلية الطب، جامعة القاهرة، عام ١٩٧١، ثم سافر إلى بريطانيا، حيث حصل على زمالة الكلية الملكية للأطباء النفسيين بلندن سنة ١٩٨٣ . ويعمل منذ ذلك الحين استشاريا في الطب النفسي في المدينة المنورة ، أخذ عن جملة من علماء الأزهر الشريف وحضارمة الحجاز، وله اهتمام خاص بعلم النفس الإسلامي، ومظاهر الحضارة الإسلامية، نشر عدة مؤلفات بالعربية ، منها: علامات آخر الزمان بين العولمة والإرهاب، الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر ، يوم الفرقان أسرار غزوة بدر، عوالم ما وراء المادة في القرآن والسنة وكلام علماء الأمة ، المعاني العلوية للعمارة الإسلامية ، وله مؤلفات باللغتين الإنجليزية والفرنسية، إضافة إلى ترجمة كتب تراثية من العربية إلى الإنجليزية والفرنسية.

محصلة ما سبق من الموجات البحثية

تبين من العرض الموجز للموجات البحثية عبر السنوات أن صوفية حضرموت : السادة + المشايخ :

١. بيروقرطية كنسية مثل القرون الوسطى ، بطريركية/ انجرامز ١٩٣٤

٢. متظاهرون بالتقوى لجلب تقديس الناس ، أئمة في الضلال بتاليف كتب المناقب ، يسممون أفكار المجتمع ، يتطلعون للملك ، يوقظون الفتن / البكري ١٩٣٦

٣. غزاة خارجيون للثقافة الحضرمية ، أصحاب مكاسب اقتصادية واجتماعية ، اخترعوا النظام التراتبي وفرضوه على القبائل / سارجنت ١٩٥٦

٤. كهنوت ، اقطاعيون ، برجوازيون / المرحلة الاشتراكية ١٩٦٧ - ١٩٩٤

٥. عزهم بإهانتهم / المعلم ١٩٩٠

٦. يدعون الانتماء الى النبي محمد / روديونوف ١٩٩٢

٧. يسوقون حوطهم وقببهم على زبائنهم الاقتصاديين والسياسيين ، يخترعون التراجم المموهة / كيش ١٩٩٨

٨. قبوريون ، مشركون، ضالون ، يعاملون القبائل والمساكين معاملة الأرقاء ويسلبون منهم تجار القبور والكرامات والقبب ، غلاة ، مثل الهندوس وعبدة الأصنام ، يأكلون أموال الناس بالباطل ، أصحاب كبر وعناد / بابكر ٢٠٠٤

٩. عقدة المثالية ، يعانون من عقدة الأنا الاجتماعية ، استلاب عام عن الواقع ومع القبور ما تحت الأرض / باعيسى ٢٠١٨

١٠. محرفون للتراث ، مخفون للمصادر / حمدين ٢٠١٨

١١. الفكر الصوفي (**سادة + مشايخ**) فكر استعلائي ، السخرة الاجتماعية ، العنصرية ، التعالي، فكر يهودي ، اثني عشري ، يسعى لاستعباد الحضارمة / بامومن ٢٠٠٢

وأما غيرهم :

١٢. قبيلة نهد تسعى للزعامة المزدوجة / هارتلي ١٩٦٠

١٣. الصحابة أسلموا لأجل البحث عن أحلاف عسكرية ، ليكونوا اقطاعيين لأراضي حضرموت، كندة أسلمت للاستيلاء على أراضي وائل / سرجيس فرانتسوزوف ١٩٩٢

١٤. السلاطين (القعيطي + الكثيري) : ذوو أصول زنجية / اينسينغ هو ٢٠٠٦ ، من طبقة البدو ، من خارج حضرموت / باقادر ٢٠٠٨

١٥. يافع حضرموت غزاة محتلون / اينسينغ هو ٢٠٠٦

منهج السلامة الحضرمي

ولا بأس بالخروج عن الكلام الأكاديمي والعلمي إلى فضائنا المجتمعي، قلتُ: هنا وقفاتٌ:

* السيادة في الإسلام لا تقتضي إذلال أحد، وإلغاء فكرة الاجتباء والاصطفاء بفرية الاستعباد والاستعلاء ليست من المنهج العلمي في شيء. وقد رد عليها العلامة ابن عبيدالله السقاف، وستأتي..

* لم يكن البحث عن المصالح الشخصية وإذلال الأتباع عند الحضارمة يوماً من الأيام فكراً ممنهجاً، ولو كان ثمة شيءٌ ـ ولو يسيراً ـ لما كان لهم تأثير الإكسير حيثما حلوا في أرجاء العالم.

* الجميع اليوم تحت ظل المرحلة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والكل تحت المواطنة سواء، وعلينا تجنب خطاب الكراهية، ولا ننزه عنه الصوفية ولا غيرهم، كلنا مقصرون ويحصل منا ذلك على بعضنا البعض، على الجميع الارتقاء عن هذا الخطاب.

* لم يسبق للحضارمة أي صراع فكري تم تدويله عبر تاريخهم حتى جاءت الفتنة العلوية الإرشادية مطلع القرن العشرين، واليوم وحضرموت على مفترق الطرق ومع تحديات المرحلة فإن كل من يحاول إعادة إسقاطها / تدويرها / إنتاجها على الساحة فعليه أن يتحمل المسؤولية التاريخية / المجتمعية.

* لا نعمم هنا فيما نقلناه من نقول، فالتعميم لا يجوز، كما أن آراء كل ما نقلنا مما تقدم كلها ليست كذلك، إنما هي نغمة تظهر بين الفينة والفينة(١)، ورصدنا لها لا يحمل أي ضغينة،



(١) وحتى من يحاول الإنصاف من ذات المتَّهِمين هؤلاء فإنه لا ينفك عن نزعة الاتهام مرة أخرى، ومنها قول المستشرق الأمريكي الكسندر كنيش في الفصل الذي كتبه عن حضرموت ضمن مؤتمر عقد في كلية الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن عام ١٩٩٠م تحت عنوان (**حركات الهجرة من الجنوب العربي إلى المحيط الهندي، المسألة الحضرمية ١٧٥٠ - ١٩٦٧**)، حيث يقول: ويصح لي أن أجادل بأن المشايخ الصوفيين من ذوي الشعبية الواسعة والشخصيات الكارزمية المؤثرة كالسودي وبامخرمة لم يقوموا بنشر التصوف بين أهل عصرهم فحسب؛ بل إنهم، بمعنى من المعاني، أنشؤوا ثقافة ونمط عيش ومنظومة قيم دائمة وقابلة لأن تكون بديلا عن الروح القبلية القتالية التي كانت سائدة لدى النخبة الحاكمة في بلدهم الذين اتسموا بالاحتراب المستمر من أجل السلطة وبالسلوك الجشع تجاه رعاياهم المقهورين حتى أصبحوا خطرا يهدد المجتمع بتمزيق مؤسساته الاقتصادية ونسيجه الاجتماعي الهش. ومهما يكن من أمر حول التفسير الذي يرجع نشاطاتهم واعتقاداتهم إلى **النزعة الهروبية**، اتساقا مع الأطروحة التي تذهب إلى أن للدين وظيفة تعويضية، فإننا لا نستطيع أن ننكر أنهم نجحوا في خلق ثقافة مضادة لسلوكيات الوحشية

فاختلافنا في الرأي مع بعض إخواننا الحضارمة حراكُ علميٌّ مفيدٌ ومثمرٌ إن شاء الله.

❋ ما نشهده اليوم من تسييس في المنطقة، مع اختلاف المكونات السياسية في المشهد اليمني، كل ذلك له تداعيات على العلاقات الاجتماعية والدينية في اليمن بعمومه، وحضرموت ليست معزولة عن ذلك.

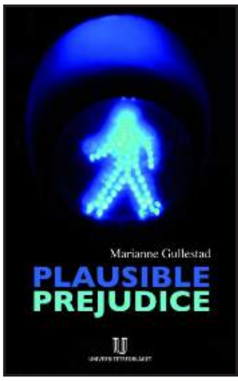
❋ حريةُ التعبير مكفولةٌ للطرح العلمي والأكاديمي ما لم يدعُ إلى إثارةٍ مجتمعيةٍ، أو يُهدد السِّلم الاجتماعي، حتى لو تلفع بالانثروبولوجيا المحلية والاثنوغرافيا العلمية، تشويشٌ تحمله بعض الألفاظ يؤدي إلى جرح مشاعر فئات اجتماعية محددة، ومنطقتنا ليست ببعيدة عن هذه المشاريع... مشاريع خطاب الكراهية، فالتصعيد، فالتحريش، فالصدام.





❋ يقول بعضهم: هذا الإزعاج منكم بإشارات الغمز واللمز للآخرين ليس من العلم الأكاديمي في شيء، اذهبوا إلى أعمالكم ودعونا نمارس البحث الأكاديمي الصرف، لأجل الحقيقة.

قلتُ: حتى الانثروبولوجيين لديهم ضمير اجتماعي، ومنها بحث د. أبوبكر باقادر أستاذ الاجتماع والأنثروبولوجيا بجامعة الملك عبد العزيز في جدة في الذي تقدم كلامه على أن سلاطين حضرموت القعيطي والكثيري من أصول بدوية في «مجلة المسار» حيث قال في ذات المقالة: ورغم وجود مئات الأدلة على أن العرب والحضارمة لم يشتركوا في تجارة الرق أو في استغلال السكان الأفارقة الأصليين، وأن الأفارقة والناس إلى يومنا يذكرونهم بخير، إلا أن الإشارات والغمز واللمز الذي نجده في بعض الدراسات الحديثة حول الموضوع، تجعلنا نتساءل: متى سيقوم باحثونا بتقديم الصورة الصحيحة عن هذه الأوضاع؟





وقد قدمنا في أول البحث كلام الانثروبولوجية النرويجية جوليستاد، عن ضرورة ممارسة انثروبولوجيا الانثروبولوجيا.

قلت: إذا ما اشتغل الانثروبولوجيون بمراقبة عادات المجتمع، فعليهم أن يراقبوا عاداتهم.

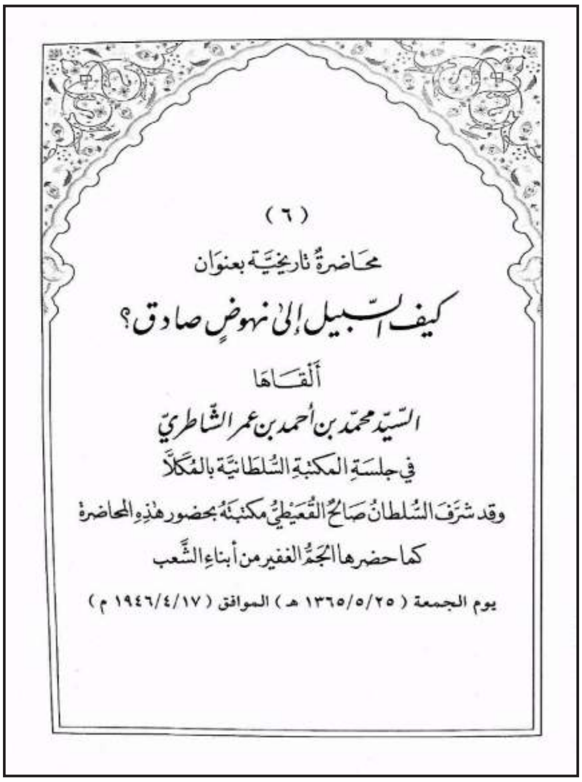
والغدر والجشع والتقليد الفكري والسلوكي التي كانت متفشية في عصورهم تلك.

قلت: قف على اتهامه الصوفية بما سماه (**النزعة الهروبية**)، وهي في الأصل (**فقه السلامة من الفتن المستمد من نصوص الشريعة الإسلامية**)، وهو أمر طبيعي في هكذا دراسات لأنها تنطلق من مقاييس هذا القرن الحادي والعشرين، ولكن التحليل السليم لأية مجموعة فكرية تبدأ بقراءة قاموسهم الخاص في تلك القرون، لا بالمقاييس العصرية، بأن تدرس مقاييسَهم هم لتفهم الظاهرة في سياقها الزماني والمكاني والمعرفي. وهم لا يقومون بذلك ولا يكلفون أنفسهم دراسة قاموس السودي أو باخرمة أصلا، بسبب متلازمة (مجتمعات العالم الأول في مواجهة مجتمعات العالم الثالث)، وهناك من يرى سلامة منهجهم العلمي في القراءة والتحليل، وهذا شأنه.

كلنا سادة.. وكلنا حضارمة..

❋ هل البحث العلمي للحياة ؟ أم الحياة للبحث العلمي ؟

هذه الملاحظات ليست موجهةً لأصحاب الأقلام والدفاتر من الكتّاب والباحثين والجامعيين

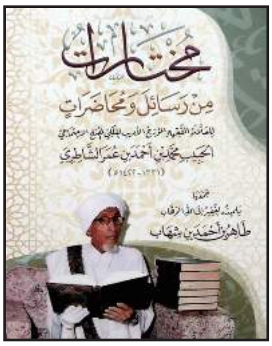

(٦)
محاضرةٌ تاريخيّةٌ بعنوان
كيف السبيل إلى نهوضٍ صادق؟
ألقاها
السيد محمد بن أحمد بن عمر الشاطري
في جلسة المكتبة السلطانية بالمكلا
وقد شرّف السلطان صالح القعيطي مكتبته بحضور هذه المحاضرة
كما حضرها الجمّ الغفير من أبناء الشعب
يوم الجمعة (٢٥/٥/١٣٦٥ هـ) الموافق (١٧/٤/١٩٤٦ م)

أصحاب الشطر الثاني، إنما لأصحاب الشطر الأول: كل من يرفع شعار المسؤولية الاجتماعي ويفكر في حضرموت الغد، وما الذي سنرحله للجيل القادم ، **فهل من سبيل إلى نهوض صادق؟**

❋ تتكرر الأحداث والمراحل ، وتتخلل الفتن الاجتماعية تنفساتٌ زمانيةٌ ولحظاتٌ حضرميةٌ، **الكل فيها سادة حضارمة..** تهمهم نهضة بلادهم.. من هذه اللحظات المرصودة لما دُعي مؤلف «**أدوار التاريخ الحضرمي**» المؤرخ السيد محمد بن أحمد الشاطري ليلقي محاضرةً تاريخيةً هامةً في المكتبة السلطانية بالمكلا، **شرَّفها حضورُ السلطان صالح القعيطي لمكتبته والجم الغفير من أبناء الشعب** عام ١٩٤٦ ، فصدرها بقوله: **أيها السادة** ؛ إني لما هممتُ بكتابة عنوان المحاضرة.. لم أشعر بالقلم إلا وهو يخط هذا العنوان المنظوم في الشطر الأول من مقطوعي التالي:

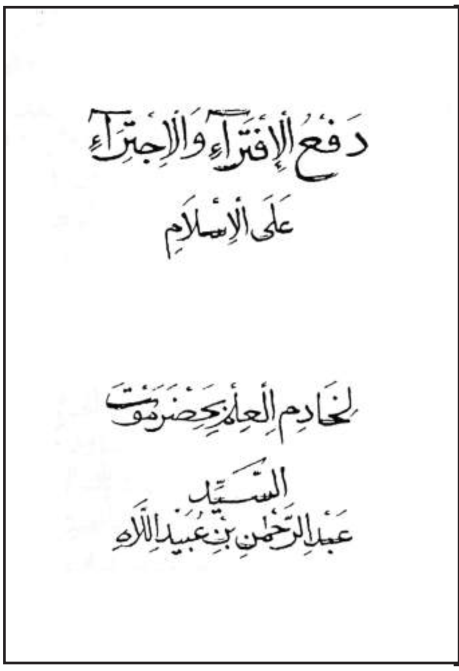
كيف السبيل إلى نهوضٍ صادقٍ	وإلى القضاء على جمود خانقٍ؟
كيف السبيل إلى النهوض ودونه	جبلٌ أشمُّ وعبرَ بحرٍ دافقٍ؟
كيف السبيل إلى نهوض صادقٍ	في ضمنه إنقاذُ شعب غارقٍ ؟
مرَّتْ عليه عصورُ تاريخ بها	شهد السباقَ فكان أول سابقٍ
ودَعَوْهُ في هذا الزمان فلم يُطِقْ	فيه اللحاقَ ولو بآخرٍ لاحقٍ
أنفاسُ نهضتِه بنهضةِ غيره	صدقَ القياسُ وإنما بالفارقِ
لكنْ رجوتُ له التقدمَ مذ بدا	يرنو إلى العَليا بعينيْ وامقٍ[1]





(١) «مختارات من رسائل للعلامة الفقيه المؤرخ الأديب الفلكي المصلح

فكر حضرمي أصيل في الرد على فرية الطبقية





يقول المؤرخ السيد عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف في كتابه «دفع الافتراء والاجتراء على الإسلام» ص٧٢ في معرض الرد على الشيخ محمد الغزالي[١] في الطبعة الأولى من كتابه «الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين» عام ١٩٥٠ م :

وأما قوله في ص١٢٨ : (إن الأخوة التي ينادي بها الإسلام تجعل الأمـةَ أسرةً واحدةً ، ولا تسمح أبداً بوجود سادةٍ متجبِّرين وأتباعٍ مستذَلين)، فجوابه:

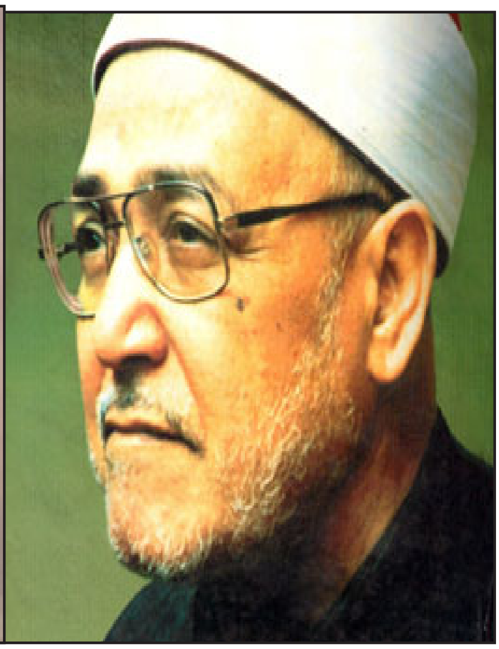
إن قوله: (تجعل الأمةَ أسرةً واحدةً) صحيحٌ، تشهد له الآيات الكثيرة والأحاديث الشهيرة ، وكذلك ما ذكر من براءة الإسلام من التجبر والتذلل ، ولقد ساوى الإسلام بين بنيه في الحقوق حتى جعل الفقراء في مصاف الملوك ، وحرم على المؤمن أن يذل نفسه ... وأما السيادة فلا يتبرأ منها الإسلام ، بل يؤكدها ويقول: «**كلكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**» ، إذ لا يَصلحُ نظامُ الخلق إلا بالمفاضلة والتسخير كما سبق في ص٤٧ ، فلابد من تابعٍ ومتبوعٍ، وسيدٍ ومُسَوَّدٍ، ورئيسٍ ومرؤوسٍ ، وخادمٍ ومخدومٍ ، يُصَرِّفُ بعضُهم ـ كما قال المفسرون في آية الزخرف[٢] ـ

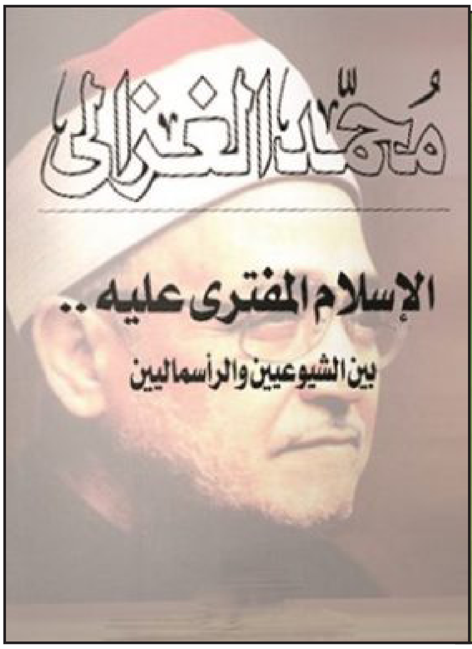
الاجتماعي الحبيب محمد بن أحمد بن عمر الشاطري» (ت ١٤٢٢)، جمع طاهر بن شهاب دار المنهاج ٢٠١٩ .

(١) يغلب على ظني أنه أول من كتب في مواضيع العدالة الاجتماعية في هذا الزمان ، وقد اعترف بعد مرور تلك المراحل بعقود بأنه كان شديد الحماس وقت الكتابة لحوالي عشرة من مؤلفاته في الخمسينات يحاول فيها ربط الأفكار الشرقية والغربية في تلك السنوات بالإسلام، وأن ذلك منعه من تشخيص المرحلة بشكل سليم، وفي هذا بحث ليس هنا مجاله.

(٢) ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ

بعضاً في الحوائج ، ويستخدمونهم ويتَسَخَّرون في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا إلى منافعهم، فالمفاضلة ضرورية، كما لابد للإنسان من قلب ودماغ ولحم ودم وسمع وبصر وعظم وعصب وعروق وكبد ورئة وشرايين وجوارح وأشعار وأظفار، وهل يمكن لعاقل أن يقول بتساويها إلا في ذرات التكوين ، وكذلك الحرف والصنائع من الخلافة والإمارة والتجارة





والزراعة والحياكة والحدادة والصياغة والنجارة والفلاحة والزبالة وغيرها، فإنها بمثابة الجسم الحي، وكل واحدة بمنزلة عضو منه ولا تتمُّ إلا بكلها المعيشةُ، ولا شك في تفاوتها، أولا ترى إلى الحجامة فإنها من فروض الكفاية يأثم المتماثلون على تركها ويقاتَلون ، ومع ذلك فقد نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام .

قلتُ: هذا هو شأن مجتمعاتنا الحضرمية ، فإننا اليوم في حاجة ماسة إلى أن ننظر للفئات الاجتماعية في حضرموت على أنها جسد واحد، وإذا فكرنا في مستقبل أبنائنا فإن توريث هذه الفكرة أولى من توريث الصراع.

وجدير بالذكر أن كتاب الأستاذ كرامة بامومن «**الفكر والمجتمع في حضرموت**» الآنف ذكره مكرسٌ تماماً لهذه الفرية، التي تبين بطلانها.

بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢] .

إخفاء المصادر.. ونظرية (الأخلاف)

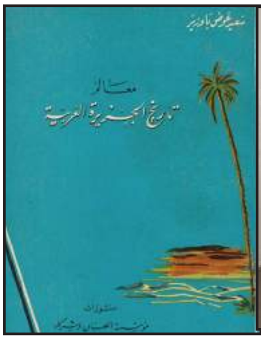
كانت إحدى ثمار هذا الصراع المتجدد تهمة جددها بعض الإخوة الحضارم، فرفع عقير العتاب واللوم، وبعضهم زاد بكيل الاتهامات بإخفاء التراث، منها ما هو إيجابي ومنها سلبي،

تارة باسم البحث عن الحقيقة والبحث العلمي،

وتارة باسم المذهب والعقيدة،

وقد يمتزج أحياناً بشيء من العاطفة / التباكي على المصادر / بعض المظلومية،

ونرصدها هنا جميعا من باب الاستقراء ولو خلت من الاتهام، إذ إن بعضها حراك علمي مطلوب.



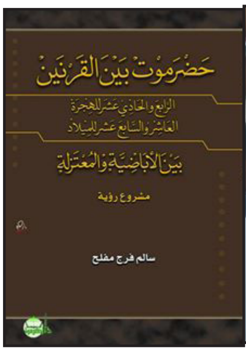


* كان أسبقهم المؤرخ سعيد بن عوض باوزير (ت ١٩٦٥) في كتابه «**معالم تاريخ الجزيرة العربية**» حيث قال ص ٢٦١: **ثم لا يذكر السيد علوي شيئا عن هؤلاء الأخلاف المدهشين وماذا كانوا ينكرونه على الأسلاف**؟

* والأستاذ سالم فرج مفلح في كتابه « **تريم بين الإباضية والمعتزلة.. مشروع رؤية**» وكان ذلك عام ٢٠٠٦ وقال في المقدمة ص ١٠ ـ مقرراً أن السادة «الصوفية» أخفوا عقيدة أسلافهم «الإباضية / المعتزلة» :



وعندما نحاول أن نبحث في الأقوال حول سر تلك الشحة في المعلومات وندرة أو انعدام مصادر ذلك التاريخ، نجد أنّ المؤرخ علوي بن طاهر الحداد قد وضع أصبعه على الجرح وحدد حجمه وعمقه المذهبي، فقد كان لديه القول الفصل المقبول عقلا في هذه القضية عندما أطلق مقولته المشهورة: إن الأخلاف وجدوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها، أي: إن المؤرخ الحداد يرى أن سبب تلك الشحة في المصادر لا يعود إلى عدم كتابة الأسلاف عن حياتهم وعصرهم وطبيعته، بل **يعود إلى (عقدة) الأخلاف من مذهب الأسلاف** نظرا لاختلاف مذهب الخلف وهم سنة أشاعرة عن مذهب أسلافهم وهم أهلهم في العصر الوسيط، وأن هؤلاء الأخلاف عندما سجلوا في العصر الحديث مذهب الأسلاف العقائدي فإنهم سجلوه بما يخالف حقيقته وفرضوا اعتقادهم السني





على الأسلاف الذين كانوا على خلافه [١].

* «الصوفية في حضرموت.. نشأتها ، أصولها ، آثارها.. عرض ونقد» كتبه د. أمين السعدي عام ٢٠٠٨ ومما قاله فيه: (مقرراً أن «الصوفية» أخفوا عقائد أسلافهم «السلفية»): ولهذا الغموض أسباب ذكرها المؤرخون، منها ما ذكره علوي بن طاهر الحداد عن شيخه أحمد بن حسن العطاس حيث قال: وكان شيخنا –رحمه الله – يقول: إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها، أن الأخلاف رأوا في سيرة أسلافهم ما ينكرونه اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها ، ومن هذا النص لعلوي بن طاهر الحداد الذي نقله عن شيخه أحمد بن حسن العطاس؛ الذي يعد من كبار علماء العلويين في حضرموت **يتضح لنا دور الصوفية في إخفاء كثير من الحقائق** التي رأى المتأخرون أنها تضر أسلافهم، مع أن أسلافهم يعتبرون ذلك دينا يتدينون لله به، وعقيدة لا يُفرِّطون فيها، لذا يذكر المؤرخون أخبارا مختصرة عن بعض تاريخ تلك القرون لندرة المصادر التي توضح حقائق تلك الحقبة من تاريخ حضرموت. **هكذا كان التصوف سببا رئيسا في الغموض** الذي شهدته حضرموت في مختلف الأزمنة التي مرت بها.

* والأستاذ عبدالكريم ميزان في مقالته «مصادر تاريخ إباضية حضرموت بين الغياب والتغييب» المنشور بمجلة نزوى العدد ٩١ عام ٢٠١٧ حيث قال: ما من شك أن هناك صواباً عند من قال: (إن الأخلاف رأوا في سيرة أسلافهم ما ينكرونه منهم ، فعمدوا إلى إخفاء تراثهم وآثارهم في محاولة منهم لطمس الحقيقة)، ويبدو لنا أن ذلك **تم بصورة انتقائية شملت تراث الإباضيين وغير الإباضيين، وإلا ماذا يعني اختفاء كتاب تاريخ ابن حسان برغم العثور على نسخة منه في القرن الرابع عشر للهجرة**، وماذا يعني وصول مصادر تاريخية إباضية حضرمية تعود إلى فترة القرن الخامس الهجري قادمة إلينا من خارج حضرموت، بعد انعدامها وتغييبها في موطنها الأصلي ، **أليس ذلك التغييب والإخفاء كان انتقائياً متعمداً؟**[٢].



---

(١) ويزدادا العجب عندما تجد أن جمعيات خيرية تتولى إعادة هذه النغمات، ففي نشرة الأمل الصادرة عن جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية الثقافية ع٧٠ ، مايو ٢٠٠٧م ، المكلا، بقلم عمر عبدالله حمدون كتب:
وقد وضع باوزير ذلك الاستشهاد بصيغة تساؤل وتعجب حين كتب: هل صحيح ما ذكره السيد علوي في رسالته «جني الشماريخ» من أن الأخلاف رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها؟!.. هكذا تأتي دراسة الباحث الأستاذ مفلح بعد مرور حوالي ربع قرن منذ أن وضع المؤرخ باوزير تساؤلاته تلك.

(٢) وقال في موضع آخر: (وقد أمضى أحمد بن حسن العطاس ٢٠ عاما من عمره يبحث عنه). وهو معدود من المصادر المفقودة عند جملة الباحثين ، وكان آخر من أشار لفقدانه الباحث محمد يسلم عبدالنور ، رئيس

* والأستاذ عوض سالم حمدين عام ٢٠١٨ في ملخص بحث بعنوان «حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي» المقدم للمؤتمر العلمي الثالث للتاريخ والمؤرخين الحضارم في ق١١ – ١٢ الذي دعا له مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، حيث قال: (مدعيا أن «مؤرخي الصوفية المتآمرين» أخفوا المصنفات الفقهية لمن قبلهم ومتباكيا عليها) :



(والناظر في هذا الأمر أمام خيارين لا ثالث لهما فإما أن يكون هؤلاء العلماء وتلك المصادر والمؤلفات التي ذكرت في المجموع غير حقيقية زعمها من كتب المجموع فلماذا أتي بها ؟ وما الغرض والدافع من نكرها ؟ وإما أن تكون حقيقية ولكن تعمد إخفاؤها وهذا هو الرأي الذي نميل إليه وهو الراجح من وجهة نظرنا وكما تؤكده النقولات الكثيرة ، منها ما قاله المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه «جني الشماريخ»[1] حيث قال : (وكان شيخنا رحمه الله يقول إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف لما رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها). وكأنه يعني كل كلمة قالها وهذا معناه أن الأخلاف رأوا ما ينكرونه وأخفوا وطمسوا وأفنوا وهنا لازال السؤال مطروحا فمن هم الأخلاف الذين أضاعوا تواريخ حضرموت وآثار علمائها في التاريخ والأنساب والفقه و علوم العربية وغيرها من المجالات الحضارية والعلمية؟!





وهنا نتساءل كما تساءل الدكتور محمد يسلم عبدالنور في كتابه «الفرق والمذاهب في حضرموت في القرنين السابع والثامن» : (أين التراث الخاص بأهل السنة باعتبارهم هم من طمسوا تراث من سبق، فإن الأعداد الهائلة التي تذكر كما بينت لم تخلف شيئا لا فقهيا ولا

قسم التاريخ بمركز النور للدراسات والأبحاث في ورقته (مصادر تاريخ حضرموت حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي) ص٤ ، المقدمة لمركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، الحلقة العلمية السادسة للإمام أحمد بن عيسى المهاجر ١٤ محرم ١٤٢٧ ، ثم أعيد نشر البحث في مجلة حضرموت الثقافية ع٧ رجب ١٤٣٧ ص٢٢ .

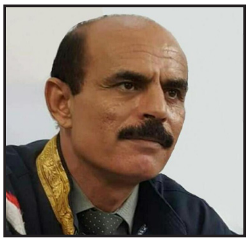
قلتُ: قام البحاثة السيد عبدالله الحبشي مشكوراً بتحقيق تاريخ ابن حسان النادر وهو في طريقه للطباعة لدى دار الفتح بعمان الأردن التي أخرجت عيون التراث، كما أخبرني الزميل الفاضل د. إياد الغوج مدير الدار حفظه الله ، ثم علمت بعد أن أتممت هذه الورقة أنه قد طبع فلله الحمد والمنة ، و(أحمد بن حسن العطاس) هذا المذكور عالم من السادة الحضارمة وحرصه على إنقاذ التراث واضح من النقل.

(١) سررتُ كثيراً لما وقفتُ عليه منشوراً عام ٢٠١٣ بتحقيق ودراسة د. محمد يسلم عبدالنور ، طبعة تريم للدراسات والنشر ومركز النور للدراسات والأبحاث ، جزاه الله خيرا.

فكريا، أليس من باب النصر والهزيمة أن يحتفظ علماء السنة والشيعة الذي ناظروا الإباضية بتلك المناظرات والاعتناء بها لأنها أخرجت الناس من الخطأ إلى الصواب).



* وقد سبق لمنتدى المعلم بالمكلا أن أقام في ٢٠ مايو ٢٠١٤ جلسة ثقافية بقاعة فندق موج لمناقشة ورقة بعنوان « كتب التاريخ الحضرمي بين الإخفاء والإهمال»[1]. والملفت للنظر أن تقام جلسة وتناقش بحثاً دون حضور صاحبه، بل دون علمه أصلًا!



(١) لم أقف عليها، ووجدتُ في بعض مواقع الأخبار المحلية أن الجلسة بدأت بقراءة الورقة وعرضها، وهي للباحث عمر العطاس، ثم ترك المجال للنقاش فتحدث د. حسن الغلام العمودي وذكر أن من الأسباب غياب المنهجية في كتابة التاريخ الحضرمي، وكذلك التعميم في تلك الكتب في ذكر بعض الحوادث.

وذكر أنه يجب علينا أن نبحث عن المصادر الدفينة من التاريخ **ونتطلب ذلك التاريخ من الشعر الشعبي والأمثلة والفتاوى**، ولا ينبغي أن نأخذ المعلومات في التاريخ كمسلمات وإنما لا بد من الرجوع إلى المصادر، ثم تحدث الشيخ عوض حمدين عن أن فقدان المصادر يؤرق كل باحث حضرمي وأن من أكبر أسباب إخفاء كتب تاريخنا هو الاستبداد الفكري. وقد خرجوا في الملتقى بأن يكون هناك لقاء قادم يقدم فيه د. حسن الغلام ورقة عن مصادر التاريخ الحضرمي.

قلت: لاحظ **(١) تسطيح المصادر الموجودة للتاريخ الحضرمي، فهو عبارة عن مستويين، كما تقدم عند الكسندر كنيش، وسيأتي عند عصبان (٢) اعتبار الشعر الشعبي والأمثلة والفتاوى (مصادر دفينة لابد من استنطاقها وتحكيمها على المصادر الأصيلة) (٣) تعميم التشكيك في عموم منهجيات المؤرخين وعموم المصادر واتهامهم بالاستبداد الفكري**، وفي الحقيقة فإنهم إن كانوا يقصدون الغربلة التي سيأتي ذكرها والتي رواها الشيخ علي سالم بكيّر نقلاً عن شيخه المؤرخ عبداللاه بن حسن بلفقيه فبها ونعمتْ، وأما إن كانوا يقصدون التشكيك فلنا معها هذه وقفة لاحقة عند الكلام على عامل **الاستيعاب**،

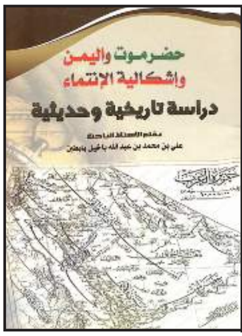
* إذ إنه من المعلوم أن غالب تراثنا في الفتاوى من احتكار الصوفية (المتهَمين)،

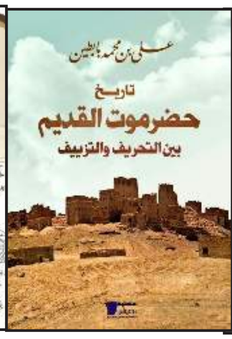
* كما أن مطالعة بسيطة للبحث والتوثيق الذي قام به المؤرخ عبدالقادر الصبان «**الشعر الشعبي في حضرموت بحث وتوثيق**» وما فيه من رصد لمئات المصادر والتواريخ وإحصائيات للدواوين والأبيات يوقف الدارس على النسب المئوية العالية (للصوفية المتهَمين). وقف على قوله ص٧٢: إن ما جمعه فرع المركز اليمني بمحافظة حضرموت مديرية سيؤون ١٤٠٠٠ بيت من الشعر الشعبي. تأمل القوائم التي ذكرها لأسماء الشعراء وأسماء دواوينهم. وقد أخبرني بعض الإخوة أنه توفي وهذه الوثائق بيده حيث كان يعمل بجهد كبير لأرشفتها أيام ترؤسه للمركز، ونرجو أن تكون هذه الوثائق محفوظة لدى أولاده، رحمه الله وغفر له.

* وأما الأمثلة الشعبية فلم تحظ بتلك الدراسات الكافية بعد، ولا زالت الكتابات فيها شحيحة.

كل هذه العوامل تجعل مهمتهم في تطلب حقيقتهم حلقةً مفرغةً.

* «تاريخ حضرموت القديم بين التحريف والتزييف»، مكتبة مدبولي -القاهرة، ٢٠١٩ للأستاذ علي محمد بابطين القيادي في العصبة الحضرمية، انتهج فيه التشكيك في مصادر التراث







واعتبرها (ركاما تاريخيا قائما على الكذب والاختلاقات والخرافة تحول إلى حقيقة زائفة) كما في الغلاف الخلفي، وقد توهمتُ أنه خاص بمصادر التراث الحضرمي، ثم تبين أنها لا تشطب مصادر التاريخ الحضرمية فحسب، بل وتتجاوز ذلك إلى إلغاء مفهوم (اليمن كأرض) الذي ورد في عشرات النصوص النبوية، وكافة المصادر العربية، واتهام المؤرخين العرب المسلمين وكذا الجغرافيين بعدم الأمانة، و له كتيب آخر يؤيد هذا المنحى بعنوان «حضرموت واليمن وإشكالية الانتماء.. دراسة تاريخية حديثية» تناول فيه بعض الأحاديث، وغفل عن العشرات[١].

* بقيت دراسة بعنوان «إشكالية فقدان مصادر التاريخ الحضرمي في العصر الإسلامي الوسيط»، حسن الغلام العمودي، مجلة آفاق، العدد (٢١)، المكلا ٢٠٠٥م، ولم أقف عليها بعد، وأرجو ذلك.

---

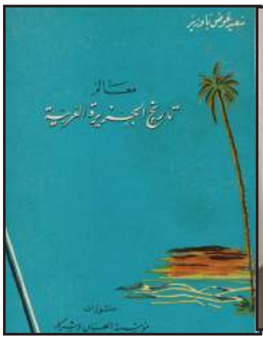
(١) من الطريف في هذا البحث أنه يلغي انتماء حضرموت لليمن، وأنساب القبائل اليمنية بما فيها قبيلتا كندة وحضرموت، ويعتبر قحطان وعدنان جدينِ وهميينِ خرافيينِ، بعكس ما ذكره الشيخ المهندس عبدالله بن مرعي بن محفوظ في كتابه «كندة»، وفي هذا بحث ليس هنا مكانه.

وقد وقفتُ في الفيسبوك على مجموعة ردود على مقالته هذه منها مقالة للشيخ صالح باكرمان، وأخرى للكاتب ياسر بن دحيم، وثالثها ـ وهو أوسعها ـ مليء بالأدلة والمناقشات العلمية لم نعرف كاتبه.

حفظ التراث الحضرمي في ظروف عصيبة

قلتُ :

أولاً: مع أن المؤرخ باوزير ـ وهو أول من ذكر هذا التساؤل ـ عندما ذكر الشبهة هذه أجاب





عليها إجابة متزنة في كتابه «**معالم تاريخ الجزيرة العربية**» حيث قال: **وبصرف النظر عن صحة هذه الرواية أو عدم صحتها فإنه قد مرت بحضرموت محن عصيبة ونشبت فيها حروب وفتن كثيرة** وتعرضت لنكبات من الداخل والخارج ، فلا يبعد أن تفقد كثير من المصادر التاريخية أثناء ذلك العراك الدموي الذي أناخ بكلكله على حضرموت قرونا طويلة .

ثانياً: مع أن **مؤلفات الباعلويين أنفسهم لم تظهر وتعرف إلا في القرن التاسع الهجري**، فكان أول من وصلنا تأليفه منهم: السيد العيدروس الأكبر عبدالله بن أبي بكر، المتوفى ٨٦٥، في كتابه «**الكبريت الأحمر**»، وغيره، ثم العلامة السيد علي بن أبي بكر المتوفى ٨٩٥ مؤلف «**البرقة المشيقة**».



ثالثاً: ومع أن **أقدم نص وصلنا من فقه الحضارمة هو رسالة في المعاملات للشيخ علي بامروان المتوفى سنة ٦٢٤هـ شيخ الفقيه المقدم من القرن السابع**، وهي مطبوعة بتحقيق أخينا المحقق د. محمد باذيب. وأقدم مؤلفات الفتاوى كباشكيل والسبتي وباحميش وبافضل العدني وبامخرمة كانت كلها لغير الباعلويين، فلو كانوا يضمرون شراً تجاه مؤلفيها لما وصلتْنا رأساً.

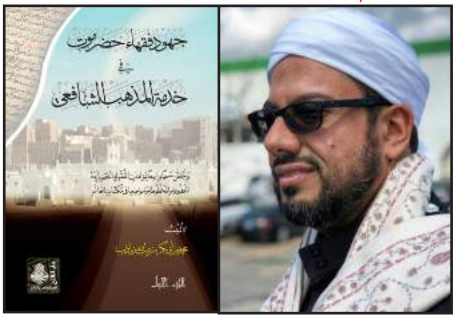
رابعاً: ومع أن السيد علوي بن طاهر الحداد نفسه بحث في كتابه «**الشامل**»



ضياع المصادر النادرة ، وضرب أمثلةً لذلك ، **ومنها كيف عمد الأخلاف من القبائل بإخفائها لأنهم لا يرضون ما فيها من تحقيق الأنساب على غير المشهور** ، وضرب لهذا مثلا كتاباً نادراً ومفقوداً من أهم مصادر التاريخ الكِنْدَوِي «**الفرج والشدة في إثبات فروع كِندة**» للشيخ عوض بن أحمد بن عوض بن عبدالله بن عمر الجرُو، وهي رسالة نادرة، أخفاها أبناء القبائل لما فيها من معلومات.. فلا مذهبية ولا سلالية. وسيأتي تفصيل ذلك..

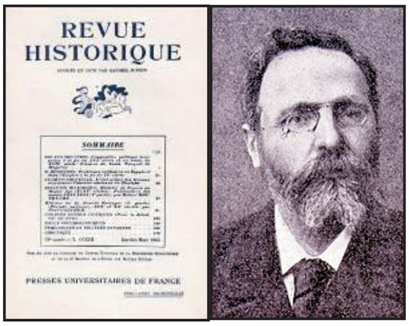
خامساً: ومع أن مسحاً بسيطاً لدراسة ببليوغرافية / مكتباتية مثل «**جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي**» لأخينا المحقق د. محمد باذيب ـ والذي يتضمن مسحا واسعا لمؤلفات الفقهاء الحضارمة المطبوعة والمخطوطة ومواضعها في مكتبات العالم ـ يظهر

للقارئ عدد تراجم فقهاء حضرموت ـ على شرطه في الكتاب (كونهم أصحاب مصنفات فقهية) ـ أن عددهم ٣٠٥ فقيها: ٣٢٪ هم من السادة فقط، والبقية ٧٦٪ من غير السادة، ومسحه تناول مدة طويلة (٥٠٠ هـ - ١٤٢٧ هـ).. هذا لو سلمنا جدلاً وخضنا في البحث العلمي بهذه النغمة العنصرية التي لا تمت إلى قيم الإنسان الحضرمي بصلة.



سادساً: ومع النظرة العابرة على فهرس البحاثة التراثي الأستاذ عبدالله الحبشي لمخطوطات مكتبات المحافظة الخامسة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، قام فيه بجهد كبير في مرحلة مبكرة (عام ١٩٧٠) مسح فيه مكتبات وادي حضرموت من تريم وحتى دوعن والمكلا، والتي تكشف للقارئ أنه لولا مكتبات صوفية حضرموت (السادة والمشايخ) لما بقي لنا من تراث حضرموت إلا النزر اليسير، وسيأتي تفصيل ذلك.

سابعاً: قال لي بعض الإخوة الفضلاء: إن مؤرخي الصوفية أصحاب فكر سطحي، يعتمد المنهجية التاريخية السردية التقليدية، وهناك اتجاه نقدي صاعد في الجامعات الغربية يعتمد المنهجية الوضعية في التاريخ، فالتاريخ عند هؤلاء الصوفية وثائق لا غير، وهو عند هؤلاء (المُرَاجِعِيِّين) إذا صحت تسميتهم لمحبتهم إعادة القراءة والمراجعة ـ أكبر من مجرد السرد، إذ هو فَرَضيات ومناقشات، ولذلك يبحثون عن الدافع خلف كل ظاهرة وربما يفترضون التهمة، وهو منهج علمي رصين اتبعته أرقى الجامعات الأوروبية.



والجواب على هذا الكلام: بأن رائد المدرسة الوضعية بفرنسا المؤرخ مونود أفصح في البيان الذي نشره في ١٨٧٦م بمناسبة صدور العدد الأول من «المجلة التاريخية» عن مبادئ المدرسة المتمثلة فيما يلي:

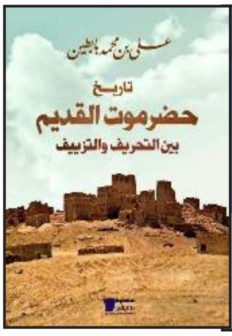
- فرض بحث علمي في التاريخ بعيد عن كل المزايدات الفلسفية.
- بلوغ الموضوعية المطلقة في مجال التاريخ.
- تطبيق تقنيات صارمة في جرد الوثائق ونقدها.

لقد قدَّست المدرسةُ الوضعيةُ الوثائقَ الرسميةَ، واعتبرتها المصدر الوحيد للتاريخ، وألغت كل ما سواها..

وأي جرد عندنا معاشر الحضارمة إذا افترضنا الموضوعية المطلقة؟ وأين وثائقنا الرسمية القريبة فضلا عن البعيدة؟ ناهيك عن أن اهتمامنا بالحفريات والآثار تحت الصفر، وستبقى كذلك، منذ ٥٠ عاما وإلى أجل غير مسمى..

جهل جمهور الحضارمة لتراثهم

يقول الباحث علي محمد بابطين في بحثه «**تاريخ حضرموت القديم بين التحريف والتزييف**» وقد أصاب كبد الحقيقة فيما يقول: والفضل الكبير في الاستفادة من النقوش الأثرية هو لعلماء الآثار الأوربيين، الذين قاموا بالكشف عن هذه الآثار واستخراجها وشرح محتواها، كما شاركهم في العهود التالية مجموعة من علماء الآثار العرب، وأكثر هذه المكتشفات الأثرية هي





فيما نسميه بخط المالك، وهو الخط الذي تقع عليه المالك القديمة وتلتقي فيه بدها بمملكة أوسان جنوبا ثم قتبان ومملكة ذي ريدان التي ورثتها ثم مملكة سبا ومملكة معين، وكلها ممالك تحاذي مملكة حضرموت غربا. ومن المؤسف أن المنطقة لم تنعم خلال الخمسين عاما المنصرمة لا بالاستقرار ولا بالتنمية الاقتصادية، التي تخلق الجو المناسب لمثل هذه الأبحاث الأثرية المركزة، فضلت غالب المعلومات الأثرية وليدة محاولات المستشرقين الأوائل، أما البعثات الروسية المتأخرة والتي كانت تعمل ضمن ما كان يسمى باليمن الجنوبي مع التركيز على التنقيب في منطقة حضرموت، فلم تؤد الغرض المنشود منها، وربما يعود ذلك إلى ضعف الإمكانات المادية والعلمية لدى هذه البعثات الروسية، ولعل الدكتور عبدالعزيز بن جعفر الذي رافق هذه البعثات أقدر بلا شك على تقييم درجة الفائدة المرجوة التي قدمتها هذه البعثات.

قلتُ: **لا يجرؤ الواحد منا اليوم على طلب وثيقة من جاره أو ابن عمه**، ووثائقنا الحكومية في أكياس في مستودعات حكومية مهملة .. وسيأتي كلام أهل يافع حضرموت على هذه الجزئية..

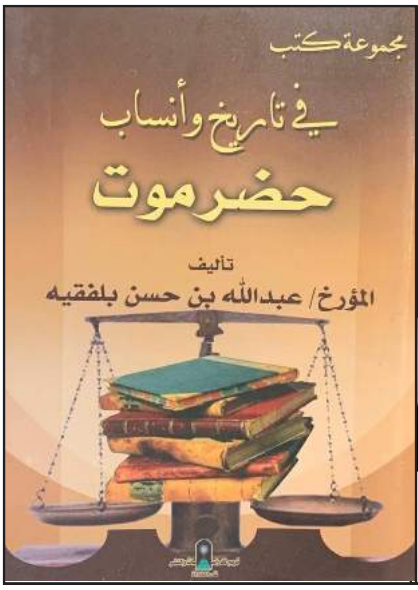
نحن جميعا مقصرون، **وأول العلاج التشخيص**، **وأول التشخيص الاعتراف بالمرض**، وحضرموت ليست أوروبا التي تعاقبت الأقلام فيها والمراكز التوثيقية على الأرشفة قروناً عدة، وعلينا أن نقف وقفة مع أنفسنا، الفرنسيون عندهم أرشيف صارم، ونحن لا شيء عندنا، وهذا ليس عيبا، إنما العيب ألا يكون عندنا القدرة الكافية للتعايش العلمي والتراكم المعرفي.

هذا مع التسليم بأن بعض إخوتنا الحضارمة ينتهجون هذا المنهج الفرنسي، وإلا ففي الحقيقة فلا يوجد مؤرخ وضعي في حضرموت، وإنما شيء من التشكيك، مع الإشارة بالأصابع للصوفية كونهم المهيمنين، مع أنهم ليسوا بدولة ولم يشكلوا نظاماً لحكومة مركزية يوماً ما.

نظرية الغربلة القادمة للتراث الحضرمي

كـل مـا مـر ليس الغرض منـه الدفـاع، فالتبريـر ليس غرضنـا، بل إننا بيـن ونقرر ريـادة بعض (مؤرخـي الصوفيـة) في سـاحـات المنهج النقـدي واهتمامهم وسبقهم .. هـؤلاء الذين أودعوا قفـص الاتهـام.. وفي هذا البـاب علينا أن نتوقف قليـلا عند الأبحاث المتنوعة للمؤرخ السـيد عبدالله بن حسن بلفقيه التي بدأها في فترة مبكرة عام ١٩١١، وقد جاء في ترجمته التي حبرها يـراع الشـيخ علي سالم بكيـر في صدر أعماله الكاملة التي نُشـرت بعنـوان «**مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت**» طبعت بدار تريم للدراسات والنشر عام ٢٠٠٩ [١]، ومن عناوينها :

١. **المدخل إلى التاريخ الحضرمي ،**
٢. **استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت ،**
٣. **الحياة الثقافية والمذهبية والمذهبية بحضرموت منذ وقبل قدوم الإمام المهاجر،**
٤. **تذكرة الباحث المحتاط في شئون وتاريخ الرباط .**
٥. **جلاء الحقائق وتمحيص النقل حول ما أورده مؤلف صلة الأهل في الترجمة لفضل بن محمد والد الإمام سالم بافضل ،**
٦. **لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي ،**
٧. **نقاش وتمحيص وتنقيب عن حقيقة الملقب ب(النفاط) ،**
٨. **الشواهد الجلية في نقض القاعدة الخلدونية ،**
٩. **تعليقة مفكّر متحير**







وقد اعتبر المحقق الشيخ علي سالم بكيّر في المقدمة مؤلف الأبحاث ص١٢ (**نعم الحارس الأمين الـذي وقـف لكـل مـن أراد أن يعـرف حقائـق التاريـخ أو يحاول تشـويهها والجنوح بها مع الهوى ، كما أنه كان المشجع لأكثر من كتبوا في التاريـخ الحضرمي وبدأت مؤلفاتهم تطبع وتنشـر**) وروى عنه أنه قال : (من شاء أن يكتب فـي خدمة التاريـخ الحضرمي فليفعل ،

---

(١) وقد اعتنى بتحقيق النص مركز النور ومركز تريم للدراسات ، ثم نقلا ترجمة الشيخ علي للمؤلف المنشورة في التحقيق الذي قام به المؤرخ السيد سقاف بن علي الكاف لرسالة بلفقيه «**الشواهد الجلية في نقض القاعدة الخلدونية**».

وهو بلا ريب مشكور الصنيع علمياً وقومياً، ولكن علينا أن ندرك فوق ذلك أن **الغربلة مقبلة**).

وقد استشهد بها الباحث عوض حمدين في خاتمة تباكيه على ضياع التراث فقال: وأوصي بإعادة غربلة وتحقيق التاريخ الحضرمي مما علق به من عبث والإشارة بأصبع الاتهام لكل من تعمد ذلك . وأطلب من المركز أن يكون المؤتمر القادم حول غربلة وتصحيح تاريخ حضرموت **تحقيقا لما طلبه السيد عبدالله بن حسن بلفقيه عندما قال : (من أراد أن يؤلف أو يكتب في تاريخ حضرموت فليكتب وهو بذلك مشكور الصنيع لكن علينا أن ندرك أن الغربلة مقبلة**).

وهذا الهدف إيجابي لو انتفت عنه أساليب المظلومية والتباكي وكيل التهم لفئات اجتماعية حضرمية.

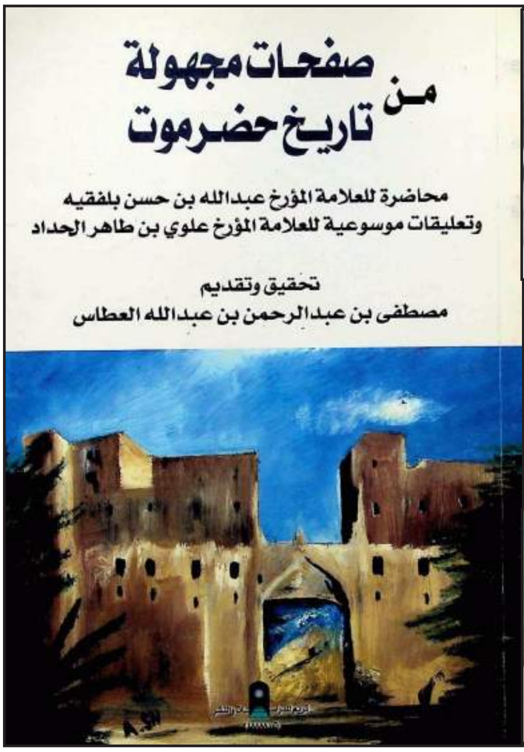
واستشهاد بكير وحمدين بالعبارة ليس في محله وليس على كتب التراث، فالمقصود بالغربلة فيها غربلة ما يكتبه المعاصرون لا كتب التراث ، والأمانة تقتضي ذكر موطن الاستشهاد بها.

يقول المؤرخ السيد عبداللاه بن حسن بلفقيه في مجموع أعماله الكاملة الآنف الذكر ص٥٤:

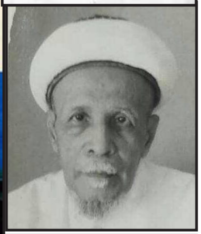
وهل لي أن أشير في آخر هذه التتمة إلى ما وقع لي عند زيارة البعثة المصرية التاريخية التي استقدمتها جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية لوضع أسس إنشاء المكتبة القومية وتجميع التراث الوطني، وكانت هذه الزيارة في سنة ١٩٧٠ م، فكنت قد شممتُ من سؤال أحد رجال هذه البعثة، ولمحتُ من فحوي السؤال أنه يحمل شكوكاً حول مؤرخينا المعاصرين، فقد قال في سؤاله: كيف رأيك في المؤرخين المعاصرين من الحضرميين ممن ألفوا في التاريخ الحضرمي؟ بقصد أن أبدي ما عندي من توثيق أو تعليق على ما كتبوا .

فقلت للسائل: إنني منذ ما يقرب من بضعة عشر عاما تلقيت رسالة من بعض الإخوان النجباء ذكر فيها أن فلانا قد ألف تاريخا للقطر الحضرمي ساحلاً وداخلاً يشتمل حتى على حقبه المجهولة ، أي :فيما بعد منتصف القرن الثاني الهجري، فقلت له في جوابٍ ما يأتي: (**من أراد أن يؤلف أو يكتب في تاريخ حضرموت فليكتب ، وهو بذلك مشكور الصنيع ، لكن علينا أن ندرك أن الغربلة مقبلة**) .

ثامناً : لسنا مختلفين على أصل الظاهرة ، فالغربلة مطلب، والفجوات الزمنية موجودة ، وإنما الخلاف على الأسلوب والتراشق بالتهم بالتقصير وعدم الأمانة ، والواقع أننا جميعا ـ وحتى اليوم ـ مقصرون في التنقيب عن الآثار، يقول السيد مصطفى بن عبدالرحمن العطاس في مقدمته لتحقيق «صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت.. محاضرة للعلامة المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه وتعليقات موسوعية للعلامة المؤرخ علوي بن طاهر الحداد»: وتاريخ حضرموت بوجه عام لا زال يعاني من فجوات زمنية كبيرة لم يعثر الباحثون والمؤرخون عن أي معلومات مفصلة وموثقة حولها، وخصوصا فيما يتعلق بفترة ما قبل الإسلام. وكذلك فترة ما بعد النصف الأول من المائة الهجرية الثانية وبالتحديد من بعد مقتل طالب الحق عبد الله بن يحي الكندي وحتى نهاية القرن السادس الهجري. وكان معظم ما كتبه المؤرخون في هذا الجانب مبنياً على التكهن والتخمين والاستنتاج، دون الاستناد إلى وثائق مفصلة أو اكتشافات أثرية متصلة.









ونعتقد أن العلة في ذلك مصدرها يد الإهمال والضياع التي طالت الكثير مما سجله السابقون في هذا المجال ، وليس خلو الساحة التاريخية والعلمية طوال تلك الفترات من الأقلام الأمينة التي سجلت الكثير عن تاريخ تريم خاصة وحضرموت بوجه عام.

كما أن **قلة التنقيب عن الآثار من قبل المختصين الحضارمة الذين لم تمكنهم الظروف، من ذلك، كان له دور أيضا في الجهل التاريخي** الذي نشر ظله على تلك الفترات الزمنية. وحتى جهود المستشرقين في هذا المجال لم تتواصل وخصوصا في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.

التفنيد المنطقي لشبهة (الإخفاء).. (من الأخلاف)..

قلـتُ: ومع كل هذه الأسباب الثمانية المتقدمة إلا أن هذه المغالطة المنطقية التي تقدمت عند الجميـع ووضحها الباحث عـوض حمدين بجلاء استوقفتْني ، وملخصهـا أن أمامنا خياران لا ثالث لهما:

سور منطقي (حصر)

- إما أن الصوفية **كاذبون** اخترعوا هذه الكتب من بنات أفكارهم،

الاحتمال الأول

- وإما أن الصوفية **صادقون** كانت لديهم هذه الكتب فخبؤوها ،

الاحتمال الثاني

والنتيجة :

تهمة التآمر توجه للصوفية (سادة / مشايخ) بإضاعة التراث

وكنـتُ كلمـا أناقش بعض الباحثين من الاخوة في حضرموت في هذه المواضيع أشـعر بفخر موهوم يطغى على الجلسة بأننا بلغنا في هذا العصر الرقمي غاية في المحافظة على التراث فطفقنا نعاتب الأموات الذين عاشوا في الأزمان الغابرة مسرورين بمـا فـي أيدينا من كمبيوترات وجـوالات ، ولي في هذا الوهـم التقني ملحق علـى هـذا البحـث، وكيف أثـر ويؤثـر حتى هـذه اللحظة علـى كافـة باحثينا وجهودهم وأرشيفهم الخاص، وقد عاصرتُ كافة مراحل التكنولوجيا منذ أن ظهرت قبل ٢٥ عاما وحتى اليوم، ولن نلدغ من جحر مرتين.



تعـال معـي أيها القارئ الكريـم ، إلى عرض كافة أسباب ضياع التـراث واختفاء المصادر في عموم العالم الانساني ، فضياع التراث ليس خاصا بالحضارم وتراث حضرموت ، بل هي مشكلة انسـانية ، وسأتكلـم على دائرتيـن عامة وخاصـة ، فالعامة العالم ، والخاصـة حضرموت، وفي خاتمـة البحـث سأطرق موضوعا يهم كل قارئ اليوم ، وهو ضيـاع التراث الرقمي (الديجيتال) اي: ملفاتنا وكمبيوتراتنا وهاردسكاتنا اليوم.

دوائر ضياع التراث

إن مسألة ضياع التراث قُتلتْ بحثاً ودراسةً ، وسأحاول هنا أن ألخص ما تيسر لئلا يطول الكلام على القارئ .

وسأتكلم على دائرتين : عامة ، وخاصة ، فالعامة العالم الإسلامي، والخاصة حضرموت ، فأقول:

الدائرة العامة للضياع

تعرض التراث العربي الإسلامي المخطوط خلال رحلته الطويلة التي امتدت منذ القرون الهجرية الأولى وحتى عصرنا الحاضر - للكثير من الخطوب والمصائب والملمات والنكبات الجسام، التي أدت إلى ضياع ملايين الكتب في مختلف فنون المعرفة ، وغدا الجزء المتبقي منه موزعة بين قارات العالم، فلا تكاد تجد دولة أو مدينة من مدن العالم في مختلف أنحاء المعمورة إلا وفيها مكتبات تحتوي على مخطوطات عربية وإسلامية .

ويمكن حصر الأسباب التي أدت إلى ضياع التراث في قسمين : العوامل البشرية ، و العوامل الطبيعية

العوامل البشرية

حين بدأت حركة الكشف عن كنوز التراث الإسلامي في القرن التاسع عشر، كان معظمها في عداد التراث المفقود والضائع. وكان الرأي العلمي السائد في مجال الدراسات الإسلامية حينها : أنّه لا يمكن تكوين تصوّرات وأحكام عامّة لتراث حضارة الإسلام إلا حين يتم الكشف عن غالبية مخطوطات هذا التراث على الأقل. وفي الحقيقة، فإن الكشف عن كثير من الأعمال المهمة والمحورية التي كانت في عداد المفقودات، ساهم فعلا في تعديل وإعادة تقويم تصورات كاملة في موضوعات سادها الغموض والجدل والاختلاف قبل اكتشاف المخطوطات ذات العلاقة بها.

ويحضرني هنا مثال علم الكلام الإسلامي الذي ساهمت في تكوينه فرق إسلامية متعددة منذ نشأته. ولكن، وعلى رغم دور المعتزلة المحوري في بناء علم الكلام، إلا أن أعمالهم كانت في عداد المفقودات، حتى اكتشفت مخطوطات موسوعة المغني للقاضي عبدالجبار المعتزلي (ت٤١٥هـ) في اليمن عام ١٩٤٥، ثم كُشف بعدها عن مخطوطة **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبار كذلك. وساهم هذا الكشف عن أمّهات أعمال الكلام الاعتزالي، في تعديل التصورات السائدة في حقل الدراسات الإسلامية عن علم الكلام المعتزلي.

ومع استمرار جهود التحقيق الكبيرة في الأكاديميات العربية والغربية والفارسية في القرن العشرين، فإن الكثير من هذا التراث أصبح بين أيدينا بالفعل، وأصبح بالإمكان دراسته والحكم عليه. ولكن يظل بعض الدارسين في حقل الدراسات الإسلامية، في انتظار الكشف عن هذا التراث بكامله مدفوعين بالدافع الأول نفسه، أي: تعليق تكوين أحكام وتصورات أقرب إلى الصحة عن هذا التراث حتى يُكشف عنه كاملا. ولكن، **هل الكشف عن هذا التراث بكامله من دون أن تفوت منه فائتة، مهم حقا لتحقيق الهدف : الفهم الأصوب للتراث؟ فإذا لم يتحقق هذا الهدف (ولا أظنه يتحقق) فهل نظل متوقفين كالمرضى بالإسهال الشّكّي!**



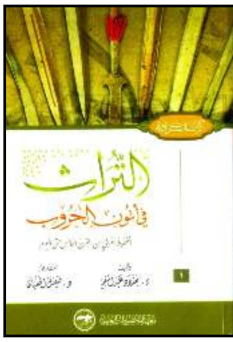
إنّ المتصفّح لكتب الفهارس والتراجم، مثل «**الفهرست**» للنديم (ت ٣٨٠ هـ) ، و«**طبقات الأمم**» لصاعد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ) ، و«**تاريخ الحكماء**» للقفطي (ت ٦٤٦هـ) ، و«**صوان الحكمة**» للسجستاني (ت٣٧٧هـ)، على سبيل المثال لا الحصر ؛ يدرك أن كثيرا من الأعمال المثبتة عناوينها لم تصل إلينا. بل هي في عداد الضائع أو المفقود حتى الآن. ويعزو الدارسون في حقل الدراسات الإسلامية أسباب فقدان أعمال التراث الإسلامي، إلى عدة عوامل بشرية.

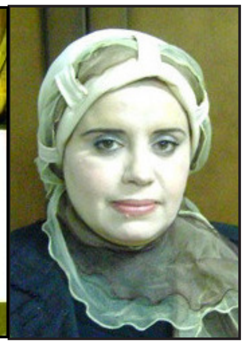
العامل الأول

الحروب

فمنها الحروب ، مثل اقتحام المغول لبغداد وإتلافهم الكثير من الكتب ، وضياع ممالك الأندلس في محاكم التفتيش التي طالت أثمن ذخائر التراث الإسلامي بالحرق والإتلاف الإرهابي الكنسي .

فإن الحرب على الإنسان لا تنفك أبدا عن تراثه، والقتل كما يتوجه إلى الحياة يتوجه أيضا بالدرجة نفسها من القصد والعنف إلى عقله وتحديدا إلى ذاكرته الحضارية / تراثه . هذا هو موضوع تبناه كتاب «التراث في أتون الحروب... المخطوط العربي من القرن الخامس حتى اليوم»، للباحثة السورية بغداد عبدالمنعم، والصادر حديثا عن معهد المخطوطات العربية في القاهرة ضمن سلسلة «كراسات تراثية» ،

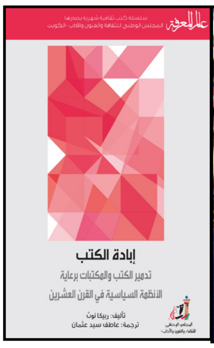




تقول الباحثة: في نهايات القرن الخامس الهجري هاجمت الحملة الصليبية الأولى (٥٠٣ هـ) (مخطوطات مكتبة بني عمار) في طرابلس الشام، فأحرقتها، ثم أغرقتها في النهر (نهر أبي علي)، وكان ذلك أول وأضخم إعدام علمي للتراث المخطوط في المشرق العربي، وكان من بين أهم الخزائن التي دمرتها الحروب الصليبية خزانة أسامة بن المنقذ، صاحب قلعة شيزر قرب حماة في سورية.

وتضيف: ما فترة منتصف القرن السابع الهجري فقد اجتاح المغول بغداد وأغرقوا مخطوطاتها في دجلة، ومع نهاية القرن التاسع شهدت أوروبا في جزئها الجنوبي إعداما هائلا جرى فيه إحراق مليون مخطوطة عربية وغير عربية من خزائن قرطبة وغرناطة أمام الملكين المنتصرين فرديناند وإيزابيلا.

وعبر فصول الكتاب ترصد عبد المنعم المكتبات التي فقدت في فلسطين بعد الاحتلال الإسرائيلي، وتخصص فصلا تعرض فيه ما فعله الجيش الأميركي عندما احتل العراق وما ترتب على ذلك من ضياع ثروات من المخطوطات النفيسة والمهمة.





ومن ذلك كتاب «إبادة الكتب.. تدمير الكتب والمكتبات برعاية الأنظمة السياسية في القرن العشرين» تأليف ربيكا نوث ، ترجمة عاطف عثمان .

وكان من نتائج الإرهاب الفكري قديما وحديثا أن اضطر مالكو المخطوطات إلى دفنها في التراب، أو حرقها سرا لأنها

تخالف فكريا السلطة. حدث ذلك على مستوى الأفراد وعلى المستوى الاجتماعي التاريخي العريض ويستمر في الحدوث حتى هذا العصر نتيجة وقوع صراعات من أنواع مختلفة.

وقد نالت حضرموت القسط الأوفى من هذا **الإرهاب الفكري**، تارة باسم تقرير العقيدة الصحيحة / إنكار البدع في الدين، وتارة باسم الأيديولوجيا، وإن من أشد أنواع الحروب تلك التي تعلن الجهاد ضد المكتبات، ومنها ما قاله المؤرخ محمد الشاطري في كتابه «**أدوار التاريخ الحضرمي**» (٢ / ٢٥٧): ومع الأسف أن **المكتبتين العيدروسية والهندوانية أتلفها فيما بعد النجديون الذين غزوا حضرموت**، ويعرفون بآل قملة، ثم قال في الهامش: قوم من بادية نجد هاجموا حضرموت هجمات خاطفة ثلاث أو أربع مرات في أوائل القرن الثالث عشر وأعظمها سنة ١٢٢٤هـ وهي الهجمة الثانية، وعمت معظم حضرموت وفيها وقع التخريب والتحريق والتغريم، ولم تدم أكثر من شهر ونصف.





وفي توضيح عبارة الشاطري هذه وبيان مصدرها الأسبق فقد ذكر السيد العلامة علي بن عبدالرحمن بن سهل (ت ١٣٣٩) في تقديمه لكتاب «**البرقة المشيقة**» للسيد العلامة علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف (ت.٨٩٥هجرية) «أن تآليف السادات العلويين والكتب المؤلفة في مناقبهم قبل هذا العصر تخرج عن الحد والحصر ولم يبق منها بين هذا الجيل إلا القليل كهذا الكتاب الجليل النفع وغيره مما لم ينتشر بالطبع. ومما تواتر عن الثقات أن الوهابي النجدي لما طرق بلاد العلويين ومساكنهم عمد إلى خزائن الكتب بتريم ورماها في آبار الماء **فمن بيت السادة آل العيدروس اثنتا عشرة خزانة ومن بيت السادة آل الهندوان ست خزائن** وقس على هذه البيوت غيرها من مراكز العلم ومعاهده وزواياه»[1].



ذكر السيد مصطفى بن عبدالرحمن العطاس في كتابه «**كتب التراجم والتاريخ الحضرمي.. بين الفجوات الزمنية وروايات المجهولين**» (ص ٧٥):





أما العلامة السيد محمد بن عبدالرحمن بن شهاب فيرى كما في مقالته التي نشرها الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على كتاب «**حاضر العالم الإسلامي**» للمؤرخ الأمريكي لوثروب والذي نقله إلى

---

(١) وانظر كذلك كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للأمير شكيب أرسلان (٣ / ١٦٤).

العربية الأستاذ «عجاج نويهض» أن سبب ضياع مراجع تاريخ حضرموت يعود إلى أن الوهابيين

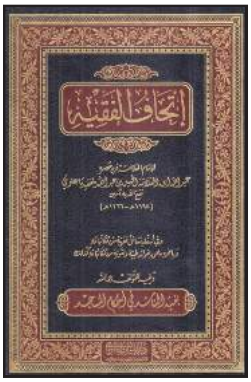




دخلوا تريم سنة ١٢٢٢ ، وطموا الآبار في تريم بما وجدوا من الكتب في خزائنها ، جفاءً وغلظةً وبداوةً وغباوةً، وكانت هذه الخزائن مشحونة بكتب السنة والتفسير والفقه والتاريخ. ولقد أتلفوا من بيت واحد ١٢ خزانة ومن آخر ست خزائن .

يقول السيد مصطفى بن عبدالرحمن العطاس بعدها : ولم يبق من كتب الحضارمة التي اهتمت بتراجم وأخبار الصالحين وقضايا التصوف والكرامات والشطحات ـ كما يقول الأستاذ صالح الحامد ـ إلا كتاب «الجوهر الشفاف» للشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب المتوفي سنة ٨٥٥ ، وهو على أي حال من رجال القرن التاسع الهجري ،

ويقول المفتي الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه (ت ١٢٦٦) وهو ممن عاصر تلك الحملة في



مجموع فتاواه المنشور باسم «إتحاف الفقيه» ص٣٩٥ من مكاتبة برقم (١٦٣) أثناء كلامه على مؤلفات أشياخه ومنهم الحبيب عبدالرحمن بن الفقيه : وكنا في أيام ريعان الشباب وعنفوان الكهولة ومؤاتاة بعض الأسباب ابتدأنا فيها هو كالشرح له فوقف عليه بعض الأئمة من مشايخنا فاستصعب عبارته فاستبسطها وأشار علينا بالإيجاز والتسهيل فحصل التوقف عنه لحتى دخل جنود الوهابي ابن قملا ومن معه إلى تريم وأخذوا جملة كتب البلاد وخلطوها وكان ذلك من جملة المأخوذ.

يقول الباحث صالح مبارك عصبان في مقالته **(المرجعية الفكرية للتدخل الخارجي في**





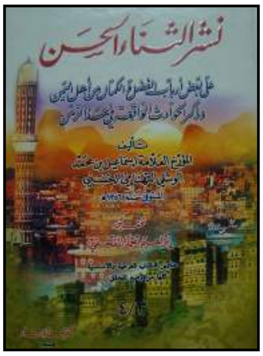
حضرموت.. حملة الإمام الزيدي المتوكل على الله إسماعيل في القرن الحادي عشر الهجري) التي نشرت في «مجلة حضرموت الثقافية» ع١١ ص٤٢ :

وأما ما قيل في قضية خروج الوهابية إلى حضرموت سنة ١٢٢٤ فالمؤرخ عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف يقول: وفي أيامه -أي عبدالله عوض غرامة- كان وصول الوهابية إلى تريم بقيادة الأمير علي بن قملا، فطوى بهم حضرموت ولم يفسد حرثا ولم يهلك نسلا، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب آل عينات وآل تاربة وأهانهم، وأتلف

قليلا من الكتب كثره بعض العلويين، ولنقرأ ماذا يقول المؤرخ باحنان عن الحدث نفسه: وفي سنة ١٢٢٤ وصل إلى حضرموت ناجي بن قملا النجدي بجيش عرمرم من قبائل الدرعية فاكتسحوا القطر الحضرمي..... ودخلوا تريم وكسروا قبابها، وحرقوا بعض كتبها -كما قيل- وتوابيتها، وكسروا ألواح قبورها، وحبسوا بعض مناصب الجهة، ومنعوا الأذكار والتذكير والحضرات والطرق»، وبمثله قال المؤرخ الأستاذ محمد بن هاشم في «تاريخ الدولة الكثيرية».

لقد رأينا -فيما تقدم- كيف جاءت الحملات وهي تحمل مرجعيات فكرية، ورأينا أيضا اختلاف المؤرخين الحضارمة حولها، يقول الأستاذ عبدالقادر الصبان: «إن الكتاب التاريخ الحضرميين المعاصرين، اتجاهات مختلفة وتكاد تكون متضاربة نابعة عن المذاهب المتصارعة في حضرموت، والتي بقيت ردود فعلها إلى تاريخ قريب[1].

قلتُ: وما فعله ابن قملا في حضرموت لا يعدو ما فعله معاصره ابن نقطة في تهامة وزبيد عام ١٢١٧ من الإحراق والإتلاف، ولا أدل على ذلك من مقدمة المخطوط «الدرة الخطيرة في سادات المنيرة» الذي ألفه العلامة السيد عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى مقبول الأهدل (ت ١٢٥٠ هـ) وذكر فيها الباعث على التأليف بسبب ما حصل له من تحريق لمكتبته لئلا تضيع تراجم أعلام أهل زبيد، وقد امتلأ تاريخ الوشلي «نشر الثناء الحسن» بأخبار ابن نقطة وغزواته التهامية لنشر مذهب الوهابية.



ومنها ما حدث في العهد الاشتراكي، حينما اعتبر الدين كهنوتية ورجعية، وقامت عساكر الجبهة القومية بإحراق وإتلاف مئات الكتب والوثائق، وسيأتي لاحقا.



---

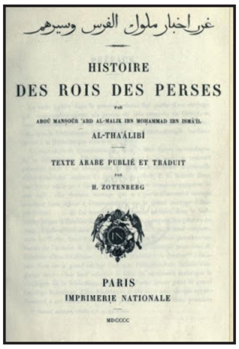
(١) لم يكن ابن قملا نجديا، ولم يكن جيشه نجديا، وإنما كان دهميا من قبائل الجوف، ولم يكن معه أحد من الدرعية، ولآل قملا نسل إلى اليوم من آل سيف شيوخ آل حزم من دهم، وقد وقع في بعض المصادر الحضرمية خلطٌ بينه وبين ابن قرملة الذي جاء فيما بعدُ بسنوات انظر كتاب «العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير»، وكذلك عبد الرحمن آل حامد ١٤٢٦هـ، وتاريخ الدولة السعودية الأولى لفليكس مانجان ص ٣٢٠، أحداث عام ١٨١٠ / ١٢١٥.

العامل الثاني

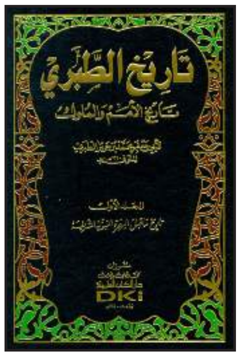
الصناعة العلمية

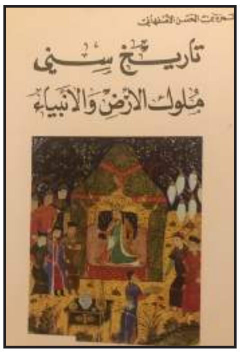
يمكننا فهم أسباب ضياع كثير من التراث، من خلال العلاقة بين النصوص المفقودة وبين ما تلاها من نصوص تبنى عليها، والتي يمكن وصفها بعلاقة الاستيعاب واستنفاد الأغراض. والمقصود، هو استيعاب مادة العمل المفقود في عمل آخر يتلوه في الزمن، نتيجة الاهتمام بدراسته في الأزمنة التي تلت تأليفه مباشرة. وبالتالي، لا يعود للعمل الأصلي المفقود أهمية كبيرة. وبعبارة أخرى، يستنفد الأغراض التي كُتب من أجلها. وبالتالي، يقل الاهتمام به ويقل الطلب عليه، وبالتالي يقل الاحتياج الى نسخه وتداوله. مثال ذلك، يذكر النديم أعمالا عدة منسوبة إلى ابن المقفع (ت ١٤٣ هـ) تعرّضت للضياع في وقت مبكر من تاريخ الإسلام.

غالبية هذه الأعمال الضائعة هي الأعمال التي ترجمها ابن المقفع من تراث الفرس، أمثال «خداينامه» في سير ملوك الفرس في آدابهم وقوانينهم، تُرى، لماذا فقدت هذه الأعمال تحديدا في حين وصلتنا أعمال أخرى لابن المقفع مثل «**الأدب الكبير**»، وكتابه ذائع الشهرة «**كليلة ودمنة**»؟



إنّ السبب من وجهة نظرنا، هو استيعاب الأعمال المفقودة في أعمال تالية. فعلى سبيل المثال، ظل (خداينامه) مصدرا أساسيا لجميع سير الملوك التي ألفت بالعربية في العصر الإسلامي. فقد وردت منه فصول وقطع في «**عيون الأخبار**» لابن قتيبة (٢٧٦ هـ)، وكتاب «**تاريخ الملوك والأمم**» للطبري (٣١٠ هـ)، كما كان مصدرا أساسيا لكتاب «**تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء**» لحمزة الأصفهاني (٣٦٠ هـ)، وكتاب «**غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم**» للثعالبي (٤٩٢ هـ).

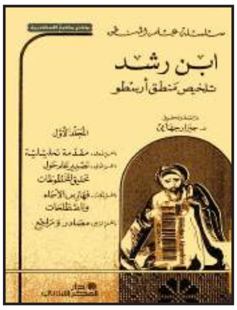




وهنا، نستطيع القول إن مادة عمل (خداينامه) استُوعِبتْ تماما في هذه الأعمال اللاحقة، بحيث لم تعد هناك حاجة إلى تداولها في القرون التي تلت الثعالبي. وبهذا، يكون (خداينامه) استنفد أغراضه. وفي هذا الحالة، سيكون مفهوما لماذا اندثر (خداينامه) ولم يعد سوى عنوان عمل من أعمال ابن المقفع يدرج في قائمة أعماله في كتب التراجم والفهارس.

ومثال آخر، هو شروح الفارابي على الأعمال المنطقية لأرسطو. فقد ضاعت هذه الشروح

ولـم يبـق منها سوى شـرح العبـارة وشـرح القياس. ولكـن، إذا حاولنـا تتبّع سبب فقـدان هذه الأعمال، فسـنجد أن ابن رشد هضم شـروح الفارابي هذه، ثم شرح أرسطو بأفضل مما شرح الفارابي. هل جَبَّتْ شروحُ ابن رشد شروحَ الفارابي إذاً؟ نعم يمكننا ادعاء هذا.. وفي هذه الحالة، ستكون شـروح ابن رشـد هي ما أفقد شروح الفارابي أهميتها النصّية.



إن المصنفيـن يتناولون المادة العلمية بالبحـث والنقل ، ويأتي هذا العامل على صور:

الصورة الأولى (الاستيعاب)

إن من اشتغل بدراسة الفقه من خلال القراءات النصية للعبارات الفقهية في المتون والشروح والحواشـي يعلـم علم اليقين أن هـذه (المنهجية الاستيعابية من اللاحق للسـابق) منطبقة تماما على التراث الفقهي بشـكل عام ، ولنضرب مثالا على تراث الإمام الشـافعي وهو من أشـهر من دون في علم الفقه عبر التاريخ، فمن المعلوم أن الإمام الشـافعي صنف كتبا كثيرة ، منها ما كان بالعـراق ومنهـا ما كان بمصر فيما يعرف بمذهبه الجديد والذي تناقله عنه الرواة عنه واهتموا به عبر قرون عديدة .

يذكـر المترجمـون للشـافعي مولفات كثيرة أشـهرها كتـاب «الأم» وهو برواية تلميـذه الربيع المرادي ، وكتاب مختصر المزني ، وكتاب مختصر البويطي، وتجدر الإشـارة إلى وجود كتب للشافعي نقل عنها العلماء فُقدت بعد القرن الثامن الهجري ولم يعد لها ذكر ولا وجود ، وعلى سبيل المثال:

* كتاب «الأمالي»، يقول الإسنويُّ عنه: وهو أجزاء قلائل صنفها الشافعي بمصر [١] .

* كتـاب «الإمـلاء» بروايةِ موسى ابن أبي الجارودِ ، قال عنه الإسنوي: وهو أيضا من الجديد، كمـا صرح بـه الرافعي في مواضع من «الشـرح الكبير»، وهـو نحو «الأمالي» فـي الحجم، وقد يتوهـم بعـض من لا اطلاع له أن «الإمـلاء» هو «الأمالي» وليس كذلك فتفطـن له، ولهذا صرح النووي فى «تهذيب الأسماء واللغات» بالمغايرة [٢].

* كتـاب «نهايـة الاختصار» ، قـال عنه الإسنوي : مجلد واحد عزيز الوجـود رواه المزني عن الشافعي بلفظ مختصر قريب من لفظ «محرر» الرافعي، والنسخة التي نقلت منها مؤرخة بالسنة

---

(١) الإسنوي «المهمات» (١/ ١١٤) ، والكتاب منشور بحمد الله، وهو كتاب مهم جدا لمن يريد أن يفهم المذهب الشافعي فهماً سليماً.

(٢) الإسنوي «المهمات» (١/ ١١٤).

الثامنة بعد أربعمائة[١].

قال الإسنوي عن هذه الكتب الثلاثة: (وهذه الكتب [الثلاث] منها نسخ صحيحة موقوفة بالمدرسة الشريفية من القاهرة ومنها نقلتُ[٢])، وهذا يدل على وجود هذه الكتب إلى القرن الثامن الهجري، ثم فقدت.

والإسنوي (ت٧٧٢) من أئمة الشافعية الأجلاء الذين تجمعت لديهم مكتبة بالقاهرة قل نظيرها في عصره، وفي مقدمة كتابه الكبير «المهمات على الرافعي والروضة» وصف كثيرا من كتب المذهب التي تحتويها مكتبته، وكان يقول: إن النووي والرافعي شيخي المذهب الشافعي لم يطلعا عليها. وللمزيد في هذا الباب انظر أطروحة شقيقي د. محمد عمر الكاف «المعتمد عند الشافعية»، في مبحث كامل ص١٢١.





قلتُ: سبق رصد منهجية التشكيك لدى بعض الباحثين من الإخوة في حضرموت، ولو صحت لظهر لنا خط بحثي يفترض أن أصحاب الشافعي حرفوا كتبه وأخفوها، ثم يبحثون عن الأمثلة والفتاوى والشعر الشعبي وأية «مصادر دفينة» للبحث عن سبب التهمة المفترضة، مع عدم اعتماد المصادر الموجودة كونها مصادر سطحية[٣]، وهذا الخط البحثي غير موجود، مما يدلل على أن أسلوب التفكير هذا إنما

---

(١) «المهمات» ١/ ١٠٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ١١٤.

(٣) وقد تقدم كلام د. حسن الغلام العمودي في منتدى المعلم عن المصادر الدفينة، وكتاب الأستاذ محمد بابطين عن الركام التاريخي.





ومن استوفى شرح هذين المستويين – السطحي والدفين– الباحث أكرم عصبان في مقالته (القول القويم في عاصمة الثقافة الإسلامية تريم) المنشورة في موقع (صوفية حضرموت) حيث قال تحت عنوان (تريم بين مدرستين):

ودعونا نعرج على مدرستينِ متضادتينِ شهدتها تريم، يُبدون إحداهما ويخفون كثيراً من معالم الثانية، وهما جديرتان بالوقوف عندهما:

الأولى: مدرسة الفقهاء القراء الذين عاشوا في أكناف تريم في منتصف القرن السادس الهجري، وورثوا الإباضية بحضرموت، وهي مدرسة رفع القواعد منها الفقيه يحي بن سالم أكدر، وآزره العلامة محمد بن علي القلعي، وكانت علومها فقه الشافعية، وجمع الأحاديث النبوية، والعناية بالقراءات القرآنية، والمسائل اللغوية ... ثم يكمل بقوله:

والثانية: مدرسة التصوف التي استلمت مقاليد الحياة الفكرية بعد الفقهاء القراء، وفاحت منذ النشأة مجاراة الغلاة في دعاوى المعراج والخوارق والقطبية بعد لبس لباس الصوفية، وعدم الانصياع للواقع ولا الذوبان فيه.

قلتُ: قف على إيماءة التشبيه بيهود بني إسرائيل في تحريف كتابهم ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام:٩١]..

هو ظاهرةٌ صوتيةٌ لا سند له في الأوساط العلمية.

يقول شقيقي د. محمد عمر الكاف في أطروحته «**المعتمد عند الشافعية**» عن محاولة غير موفقة للتفكير بهذه الأداة الانثروبولوجية (الاتهام بالتآمر):



وتجدر الإشارَةُ إلى أنه لا اعتبارَ بما هوَّل به الدكتور زكي مبارك (ت١٩٥٢م) في رسالته «**إصلاحُ أشنَعُ خطأٍ في تاريخ التشريع الإسلاميِّ: كتابُ «الأمِّ» لم يؤلِّفه الشافعيُّ وإنما ألَّفَهُ البويطيُّ وتصرَّفَ فيه الربيعُ بنُ سليمانَ**» مُعتَمِداً على روايةِ أبي طالبٍ المكيِّ (ت٣٨٦هـ) في «**قوتِ القلوبِ**» بقوله: (وأخملَ البويطي ذكرَ نفسه واعتزلَ عن الناسِ بالبويطةِ من سوادِ مصرَ، وصنَّفَ كتابَ «**الأم**» الذي يُنسَبُ الآن إلى الربيعِ بن سليمانَ ويُعرَفُ به، وإنما هو جمعُ البويطيِّ لم يَذْكُر نفسه فيه، وأخرجَه إلى الربيعِ، فزاد فيه وأظهرَهُ وسَمِعَه منه)[1] والتي تابعها عليه الغزاليَّ في «**الإحياء**»[2].

يقول الإسنويُّ عن «**الأمِّ**»: (صنفه الشافعيُّ بمصر - كما قاله صاحبُ الاستقصاءِ شارحُ المهذَّبِ- من روايةِ المُزنيِّ، وراويه هو البويطيُّ، ونقله عنه الربيعُ المراديُّ وبوَّبَه وإن كانت أبوابه متكرِّرةً ومسائِلُه غيرُ مرتَّبَةٍ)[3].

فيكون الربيع قد نقله عن الإمام والبويطيِّ معاً، يشهد لذلك قوله يقولُ في أول «**الأمِّ**»: (أخبرنا الشافعيُّ)، بل كان كثير التوثُّقِ في نقله فهو يقول: (فاتني هذا الموضِعُ من كلامِ الإمامِ وسمعتُه من البويطيِّ وأعرفُه من كلامِ الشافعيِّ)[4]، ويقول: (إلى هنا انتهى سماعي من البويطي)، **وهذا التشكيكُ لو اعتبرناهُ لارتفعت الثِّقَةُ بِكُلِّ كُتُبِ العلماءِ، بل ارتفعت الثِّقَةُ بهؤلاءِ العلماء أنفُسِهم**[5].

قلتُ: ولسنا بصدد المناقشة الشرعية فضلا عن التاريخية، إذ تتعذر مناقشة فترة لم يصلنا من أدبياتها شيءٌ.

ولمن أراد الاستزادة في هذه المسألة فإن التركيز في حضرموت كما يفعل الباقون مطلب، ولكن **عليه أن ينظر إلى المشهد اليمني ككل**، ومن ذلك ما كتاب البحاثة السيد عبدالله الحبشي «**الصراع بين الصوفية والفقهاء في اليمن**» ففيه تفصيل هام لهذه المسألة، ومقارنات موثقةٌ تاريخياً للصراع في طرفي اليمن الشمالي والجنوبي: الزيدي والشافعي، وكيف أن الصراع كان في الشمال على أشده، بعكس الجنوب.

(١) أبو طالب المكي، «**قوت القلوب**» (المطبعة الميمنية، مصر، ١٣٠٦هـ) (٢/ ٢٢٧).

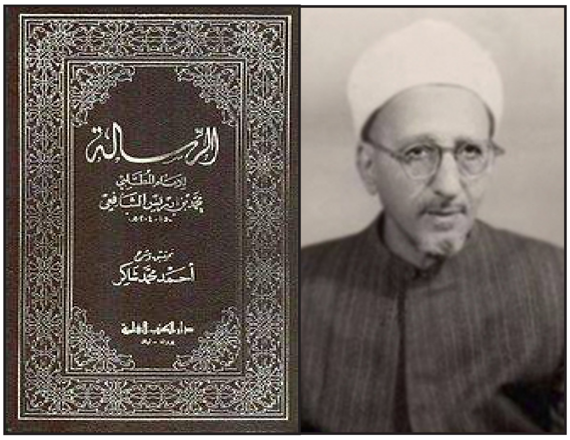
(٢) الغزالي، «**إحياء علوم الدين**» (٢/ ٤٣٩).

(٣) الإسنوي «**المهمات**» ١/ ١١٣.

(٤) الشافعي «**الأم**» (٢/ ٢٥٢).

(٥) وقد رد على زكي مبارك مجموعة من الكُتاب وأنهوا معاناته وتباكيه بالإضافة إلى الشيخ أحمد شاكر، منهم د. رفعت فوزي في مقدمة تحقيقه «**للأم**» ص١٤، والسيد أحمد صقر في مقدمته لتحقيق «**مناقب الشافعي**» ص٣١-٤٠

قلتُ: العبارة الأخيرة منقولة عن الشيخ أحمد شاكر راداً على أحمد زكي في مقدمة تحقيقه لكتاب «الرسالة» للإمام الشافعي ص٩: **وهذا التشكيكُ لو اعتبرناهُ لارتفعت الثِّقَةُ بِكُلِّ كُتُبِ العلماءِ ، بل ارتفعت الثِّقَةُ بهؤلاءِ العلماء أنفُسِهم ،** لاحظ كيف اعتمد أحمد زكي على نص في كتاب في الأخلاق «قوتِ القلوبِ» وحكَّمه على كافة مصادر الفقه الشافعي! هذا النهج التشكيكي هو ما انتهجه إخواننا في ما قدمناه من نقول ، وهو ظاهرة صوتية خاصة بهم في حضرموت في السنوات الأخيرة. والذي يبقى أن الدكتور أحمد زكي لم ينطلق من منطلقات عرقية أو طائفية أو مذهبية، ولكن فاته قراءة كتب المذهب والتعمق فيها وفي عبارات الإمام الشافعي وأصحابه، فتأمل وقارن بين الحالتين وأوجه الشبه بينهما.



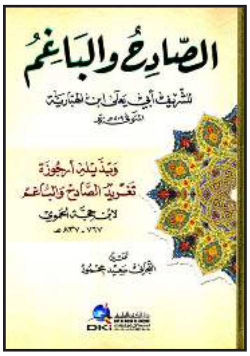
هذا كان ما يخص الدائرة العامة ، وأما الدائرة الخاصة فقد عني فقهاء حضرموت بتتبع الفتاوى القديمة في الكتب السابقة ونقلها كما هي بعباراتها مع نسبتها لأصحابها ، وبذلك ساهموا في إنقاذ كثير من مصادر الفتاوى المفقودة ، وقد سبق لأخينا الباحث عوض حمدين في ملخص ورقته «حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي» في الفيسبوك الكلام في هذا الباب باعتبارها **تآمراً وإخفاءً** ، ثم عقب عليه أخونا المحقق د. محمد باذيب في مقالته «**تعليق وتعقيب على مقال بعنوان «حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي»**» المنشورة بقناته التلجرامية ، وبين أن ما فعله السقاف في كتابه المجموع عملٌ علميٌّ : **استيعابٌ وإنقاذٌ** .

والشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «الإمام الشافعي» ص١٤٣-١٤٩ وغيرهم.

وهنا تجدر الإشارة إلى محاضرة دة. ناجية الوريمي بعنوان: (محاكمة الشافعي) السبت ٢٠ أبريل ٢٠١٩، بمقر مؤسسة مؤمنون بلا حدود وجمعيّة الدّراسات الفكريّة والاجتماعيّة، بتونس العاصمة ، والتي انتهجت فيها منهجية التشكيك مع التباكي والمظلومية ، وكيف أن الشافعي قام بتغييب وتغيير العقل العربي ١٢ قرنا ولا يزال، وكبله بأغلال تمنعه من التفكير ، وأنه كان معتزليا في توجهه ولذلك أخفى رسالته الأولى وقام بإتلافها ثم نشر رسالته الثانية ، وباع مبادئه للسلطان هارون الرشيد مقابل حفنة من المال. وإذا لم يكن للشافعي حضور في المغرب العربي كونهم مالكية فإنه صار جزءاً من الهوية الحضرمية في بلادنا ، وعنصراً في النسيج المجتمعي.

والصورة الثانية هي (المحاكاة)

فإننا نجد أن هناك نوعا آخر من العلاقات بين النصوص تفسُّر: لِمَ حُفظتْ بعض النصوص

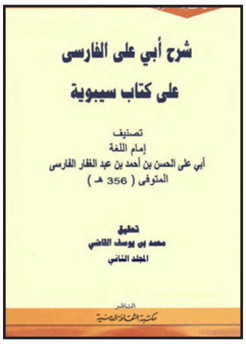


ووجدتْ طريقها الى الانتشار والذيوع أكثر من غيرها، وهي علاقة المحاكاة. فعلى سبيل المثال، إن الأعمال المحاكية لـ«كليلة ودمنة» حفظت لهذا العمل وجوده وتأثيره. فقد نُظِم شعرا على يد أبان اللاحقي وبشر بن المعتمر وأسعد بن المهذب المماتي، وابن الهبّارية في عمله «الصادح والباغم»، والمعري في رسالة «الصاهل والشاحج» و«الأسد والغواص» ذي المؤلف المجهول.



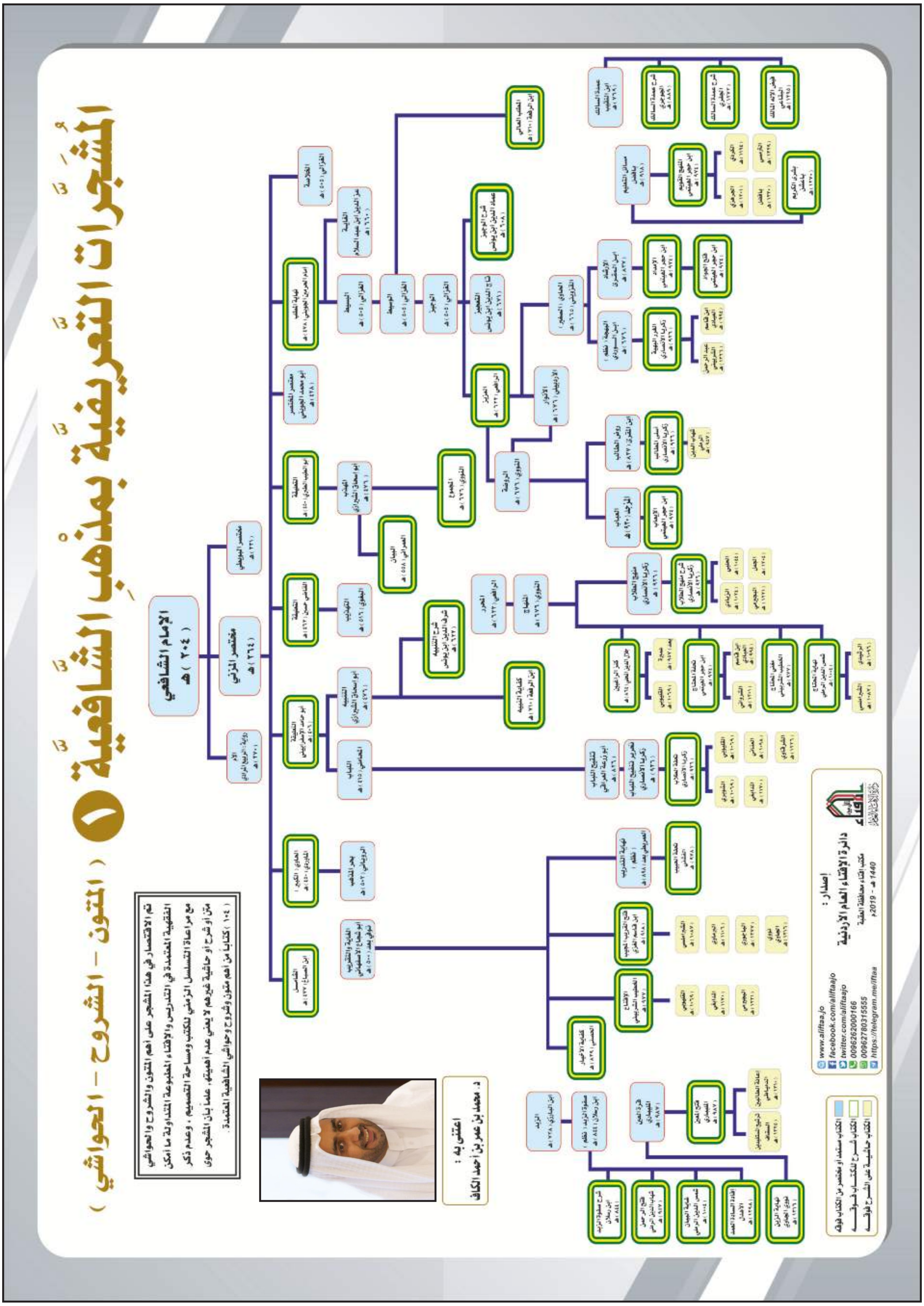
والصورة الثالثة هي (إشباع الخدمة)

إن كثرة الشروح على عمل ما يحفظ العمل نفسه، فنجد أن غالبية الأعمال التي كثرت عليها الشروح والتعليقات والحواشي، قد حفظت. ومن الغني عن الذكر أن كثرة الشروح تدل على أهمية العمل والاحتياج إليه. ومن أمثلة الأعمال التي كثرت عليها الشروح، كتاب «الكتاب» لسيبويه والذي شرحه الكثيرون، منهم أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) ، والرماني (٣٨٤ هـ) ، وابن السيرافي (٣٨٥هـ).



والخلاصة، أنّ حفظ بعض التراث وضياع بعضه قد يكونا عائدين إلى علاقة بعض أعمال التراث بعضها ببعض، فهو سبب ديناميكي داخلي ، ولذا، فربما نستطيع الحكم على الضائع في أزمنة التراث بعد أن تم استيعاب محتواه في أعمال لاحقة واستنفد أغراضه.

ثم أقول: هذا العامل ينسحب على تراثنا الحضرمي الفقهي كذلك ، فلا تكاد تجد في تراثنا الحضرمي كتابا إلا أن يكون أشبع الخدمة لما قبله شرحاً وتحشيةً ، واستوعب ما قبله ، ومن أحب الاستزادة فعليه بأطروحة أخينا المحقق د. محمد بن أبي بكر باذيب «جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي» الآنف ذكرها، ويتضمن مسحا واسعا لمؤلفات الفقهاء الحضارمة المطبوعة والمخطوطة ومواضعها في مكتبات العالم ، بما فيها من شروح وحواش أشبعت الخدمة لمتونها .



شجرة عائلة المصنفات الشافعية تعطي نماذج إشباع الخدمة والاستيعاب، وقد طبعتها دائرة الأوقاف الأردنية في لوحة جدارية هذا العام، وانظر أطروحة شقيقي د. محمد عمر الكاف «**المعتمد عند الشافعية**»

العامل الثالث

التسرب

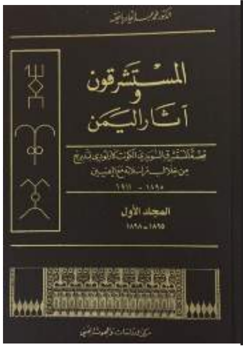
وذلك بسرقة المخطوطات، وتهريبها للخارج، وهي الظاهرة التي يسميها د. محمد عيسى صالحية (تغريب التراث العربي) في كتابه: «**تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة: الحقبة اليمانية**»، دار الحداثة، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٥م.

لقد كان مؤلما جدا أن يغيب عن الوعي الثقافي العربي أن كثيرا من الدوائر الدبلوماسية الغربية عرفت قيمة تراثنا، في الوقت الذي تتنامى فيه في بلادنا صور توحش الاستهانة به، وتأخير رتبته وقيمته، يقول محمد عيسى صالحية ص٥: (هان التراث، فضاعت الأرض، ورخص الإنسان، بكلمات بسيطة هذه هي مأساتنا في عصرنا، جاءوا مستعمرين مبشرين بنهضة بدعوى النهوض والارتقاء، فمارسوا على أمتنا سادية (تعذيبا مؤلما) تربو على إذلال عبيد روما، فأعملوا في تراثنا نهبا وسرقة).

وسيأتي الكلام على هذا التسرب في حضرموت ضمن عرض مآسي المكتبات من كلام البحاثة الأستاذ عبدالله الحبشي في بحثه عن مخطوطات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

يقول الانثروبولوجي د. محمد عبدالقادر بافقيه في كتابه «**المستشرقون وآثار اليمن قصة المستشرق السويدي كارلو لندبرج من خلال مراسلاته مع اليمنيين ١٨٩٥ - ١٩١١**» في مجلدين نشرها مركز الدراسات والبحوث اليمني:





وتصدمنا الرسائل بعنف حين تظهر أن تجارة الآثار في اليمن قد اتخذت عند التقاء القرنين التاسع عشر والعشرين أبعادا خطيرة إذ كادت تشمل اليمن كله رغم وعورة الطرق وصعوبة التنقل من جراء اهتزاز الأمن المرافق لحالة التوق التي أضعفت البلاد وقتها وخلقت فيها حالة القابلية للاستعمار. لقد قامت في تلك الفترة شبكة تخريب و تسريب للآثار كانت الحلقة العدنية - كما يظهر من رسائل الملف - أبرز حلقاتها، وذلك لأن حركة السفن التي تربط الميناء اليمني بالموانيء الهامة في أوروبا والهند قد سهلت في ظل الوجود البريطاني عملية التسريب. ونحن عندما نقول: (تسريب) فليس ذلك تهوينا منا من خطورة ما كان يحدث، وإنما على العكس هو حرص منا على إبراز تلك الخطورة.

فالتهريب يقتضي حدوثه السرية ويتطلب إثبات الاتهام به وجود قانون أو حتى عرف يمنع

تحريك الشيء الذي يعمل المهربون على تهريبه .

ولـم يكـن هناك في السـلطنات أو المشـيخات أو المعقلات (نسـبة إلى عاقـل القبيلة) وعي حقيقي بما تعنيه تلك (الأصنام) و(الأحجار المكتوبة) خط لم يعد معروفاً منذ قرون .

وكـان القانـون في عـدن هو إرادة المسـتعمر ، ولـم تكـن إرادته تتعارض مع تشـجيع الاتجار في الآثار رغم علمه بأنها مسـروقة ، بل كان الضباط البريطانيون أنفسـهم من عسـكريين وأشباه مدنيين لايتورعون عن الاستحواذ على ما تصل إليه أيديهم من قطع أثرية ، بعضها يتهافتون عليه لقيمتـه الماديـة ، وبعضها يحتفظ به الأفـراد منهم على سبيل التذكار ، وبعـض آخر يجد طريقه إلى متاحفهم والمتاحف الأوروبية الأخرى بيعاً وإهداءً ، ويحمل عند قيده في سجلاتها أسماء مورديها الأشاوس .

ولقد ترددنا طويلا في اختيار اسم للكتاب ، وكان مما خطر ببالنا أن نسـميه (عمر السـويدي ومرزق الحجّار) لأنهما أهم وأمتع شخصيتين وأقربهما صلة بالموضوع الأساسي في الرسائل موضوع الآثار ، ولأنهما خير من يرمز إلى ذلك اللقاء سيء الطالع بين العقليتين النقيضتين :

عقلية الكونت الأوروبي الثري من عصر تفجر العلوم الحديثة هناك ،

وعقلية الريفي الأمي اليمني الفقير من عصر التمزق هنا .

الأول كلـه اعتـداد يتجانف الغرور إذ كل شـيء عنده ممكن ، والدراهـم إقليد كل باب ، وهو قادر على أن يؤدب من يخونه تأديباً فاحشاً ،

والثاني كله مَسْكَنَةٌ ، يحس أنه منقطع ما بيده شيء (وما عنده ولا بيسة)، ولهذا فهو لا يستطيع أن يكسر حكم الكونت.

العوامل الطبيعية

والمقصود بالعوامل الطبيعية تلك الأمور والأحداث التي لا دخل للإنسان فيها، حيث يتعرض كوكبنا الأرضي لمخاطر وأحداث طبيعية مختلفة، لا يخلو منها مكان من سطح الكرة الأرضية، وتختلف الكوارث والحوادث الطبيعية في حجمها وقوتها وخطورتها والخسائر البشرية والمادية التي تنتج عنها، فمنها اليسير المحدود التأثير ، ومنها العنيف والقوى المدمر.

العامل الأول

الأمطار والسيول والفيضانات

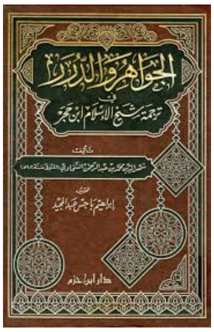


أدت الأمطار والسيول والفيضانات إلى ضياع كثير من تراثنا العربي الإسلامي المخطوط . من ذلك ما أورده الأزرقي في «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»(١): من أن سيل عام ٤١٧ هجرية دخل المسجد الحرام، ووصل إلى خزائن الكتب، وأتلف منها الشيء الكثير.



وقد ذكر ياقوت الحموي في « معجم الأدباء» حوادث من هذا القبيل منها : شكوى محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق، المعروف بابن الخاضبة من وقوع داره على كتبه نتيجة غرق حدث سنة ٤٦٦ هجرية(٢).

وأورد كذلك في ترجمة أبي عمرو الهروي المتوفى سنة ٢٥٠ أنه (اتصل بيعقوب بن الليث الأمير، فخرج معه إلى نواحي فارس، وحمل معه كتاب الجيم، فطغى الماء من النهروان على معسكر يعقوب، فغرق الكتاب فيما غرق من المتاع)(٣).



ومما يلحق بأمر السيول والفيضانات .. الغرق، كأن تغرق كتب أحد العلماء في الماء (البحر أو النهر) كما حدث مع الحافظ ابن حجر العسقلاني أثناء سفره في البحر إلى عدن سنة ٨٠٦كما ذكر السخاوي(٤).

كما أتلفت كتب الإمام الحافظ أبي إسحاق بن إبراهيم الحبال بسبب المطر

---

(١) «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» ٢/ ٣١٢ تحقيق رشدي الصالح ملحس ، ط٣ دار الأندلس ١٤٠٣ .

(٢) «معجم الأدباء» ، بيروت ، دار إحياء التراث ١٧/ ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(٣) المصدر السابق ١١/ ٢٧٥ .

(٤) «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» ١/ ١٥١ بيروت ، دار ابن حزم ، ١٤١٩ .

. قال : تلف بالمطر من كتبي بأكثر من خمسمائة دينار، فقيل له : إن ابن مندة عمل خزانة الكتبه ، فقال : لو عملت خزانة لاحتجت إلى جامع عمرو بن العاص، كما ذكر الذهبي[١].

العامل الثاني

الرطوبة

إن وضع المخطوطات في أماكن رطبة يعرضها للإصابة بالعفن الفطري الذي يؤدي إلى فساد الورق وإتلافه في نهاية الأمر ، فالميكروبات التي كانت خاملة تنشط وتهاجم الألياف السليولوزية، وتهضم المواد المقوية، فتصبح الورقة رخوة ومهترئة ومعرضة للتحلل والتساقط ، بالإضافة إلى تحلل الأحبار وفقدان لونها الأصلي، وكل ذلك يعرض الكتابة للزوال أو عدم الوضوح.

وإن ارتفاع الرطوبة النسبية في خزائن حفظ المخطوطات يتسبب في زيادة قدرة المواد العضوية المكونة للورق على امتصاص الماء من الجو وهذا يؤدي بدوره إلى ضعف متانة الورق، وتأكسد الأحبار مما يترتب عليه طمس معالم الكتابة وظهور بقع بنية اللون على الورق.

وإن الرطوبة الزائدة عن (٧٥٪) مع ارتفاع الحرارة يؤدي إلى نمو سريع للعفن أو الفطريات في المخطوطات، ونمو العفن يؤدي إلى تحطيم قدرات الربط في ألياف الورق، ومن ثم إلى إيجاد ورق على درجة كبيرة من الضعف، والتسبب في ظهور بقع لا يمكن إيقافها[٢].

وعن تأثير الرطوبة على المخطوطات وتلافي مخاطرها يقول عبد المعز شاهين[٣] : إن التحكم في كمية الرطوبة في الأجواء المحيطة بالورق سواء في الكتب أو المخطوطات أو خلافه يكون ذا أهمية كبيرة إذ إن الورق من المواد القابلة لامتصاص الرطوبة وإذا زادت كمية الرطوبة النسبية على الحد المسموح به وهو في حدود (٧٦٨) تحت درجة حرارة ١٦ مئوية فإنها تتسبب في إضعاف ألياف الورق وتعفنه وتؤدي كذلك إلى نمو الفطريات والكائنات الدقيقة التي تصيب الورق بدرجة كبيرة



(١) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٤٩٩ ، ت الأرناؤوط والعرقسوسي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣ .

(٢) اتجاهات جديدة في الصيانة الوقائية ، تأليف أن سبيرت ص٣٠٠ ، لندن ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤١٨. نقلا عن المشوخي «أثر العوامل الطبيعية على التراث العربي الإسلامي المخطوط» ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب : مجلة علمية فصلية. يصدرها مركز الأمير نايف للدراسات الاستيراتيجية بالرياض ، مج ٢٢ ، ع ٤٣ (محرم ١٤٢٨ ، يناير / فبراير ٢٠٠٧)، ص ١٥٩-١٩٧.

(٣) «طرق صيانة وترميم الآثار والمقتنيات الفنية»، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ، نقلا عن المشوخي المصدر السابق.

من الإتلاف وبخاصة في وجود المواد المستخدمة في تجليد الكتب والمخطوطات وهي النشا أو الغراء. وإن إصابة الورق بالفطريات أو الكائنات الدقيقة تؤدي فضلا على تأكله وإضعافه إلى تكون بقع صفراء أو بنية اللون تنتج من المواد الملونة التي تفرزها هذه الكائنات أثناء نموها.

العامل الثالث

الحرائق

ففي سنة ٥١٥ احترقت دار السلطان بأصبهان فلم يبق فيها شيء من الآثار. ومن جملة ما احترق خمسمائة مصحف من بينها مصحف بخط أبي بن كعب.

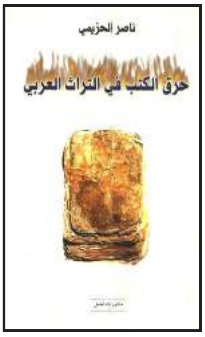
وفي عام ٦٨١ احترق في رمضان سوق اللبادين وسوق جيرون بدمشق إلى حيطان الجامع، واتصل الحريق إلى حمام الصحن ودار الخشب . واستمر ثلاثة أيام. واحترق سوق الكتبيين. فكان مما احترق فيه لشمس الدين إبراهيم الجزري الكتبي خمسة عشر ألف مجلد غير الكراريس والأوراق.

وقد ذكر السمهودي حريق المسجد النبوي بقوله: «استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف ... وقال أيضا: «.. وكنت تركت كتبي بالخلوة التي كنت أقيم بها في مؤخر المسجد، فكتب علي احتراقها ومنها أصل هذا التأليف وغيره من التأليف والكتب النفيسة نحو ثلاثمئة مجلد.





وللاستزادة نحيل القارئ إلى كتاب «حرق الكتب في التراث العربي» لناصر الحزيمي ، وكتاب «حرق الكتب.. تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات» للباحث خالد السعيد، وهذا يذكر بيوم الثالث من المحرم عام ١٤٣٠ ، يوم أن خسرت مدينة جدة مكتبة الشيخ عبدالرحمن عمر نصيف التي تضم أندر الطبعات من الكتب العربية والدوريات في حريق كبير نال المبنى الأثري الأهم في المنطقة التاريخية ، بسبب التماس كهربائي ، هذا ونحن في عصر التقدم.







العامل الرابع

التلوث البيئي

يعتبر الهواء الجوي بما يحتويه من غازات وأتربة من أكثر العوامل المتلفة للمخطوطات . فالهواء المحيط بنا يحتوي على نسبة ٢١٪ من الأوكسجين الذي يؤدي إلى أكسدة المواد الداخلة في تركيب المخطوطات، وهو المسؤول عن اصفرار ورق المخطوطات وتقصفه وبهتان الأحبار . ومن أهم الملوثات التي تؤثر في المخطوطات : غاز ثاني أكسيد الكبريت ، كبريتيد الهيدروجين ، الأكاسيد النيتروجنية، غاز الأوزون ، النشادر . ومن الآفات الأخرى التي تؤثر في المخطوطات الحرائق المنبعثة من المصانع وعوادم السيارات وغيرها حيث تؤدي إلى تلوث الجو بالإضافة إلى جزئيات الأتربة والغبار التي تذروها الرياح وإذا ما تعرضت المخطوطات لمثل هذا التلوث إنها تتأثر بذلك(١) .

العامل الخامس

الحرارة

تعد الحرارة من العوامل الطبيعية ذات التأثير الضار في المخطوطات والوثائق سواء أكانت مرتفعة أم منخفضة فالحرارة بوجه عام تؤثر في المخطوطات وتؤدي إلى اصفرار الورق وهشاشته و قابليته للكسر .

وتعد تقلبات درجات الحرارة من أشد ما يتلف المخطوطات وقد تأثر كثير من المخطوطات العربية الإسلامية بفعل الحرارة، خصوصا في المناطق الحارة والجافة، حيث لم تكن أجهزة التكييف معروفة في القرون السابقة لعصر الطباعة، وقد أدت الحرارة الشديدة إلى هشاشة أوراق المخطوطات وتغير لون الحبر وجفاف كثير من أوراقها وتكسرها، وتساقط أجزاء منها . وبعض المخطوطات لا تحتمل تصفح أوراقها، إذ سرعان ما تتكسر وتتفتت بفعل حرارة الجو. كما أثرت الحرارة على جلود المخطوطات، فأفقدتها في كثير من الأحيان طراوتها ولينها وسهولة تصفح أوراقها . وتؤدي الحرارة إلى إحداث تشققات في المخطوطات، وأحيانا تؤدي هذه التشققات إلى فقدان كلمات و عبارات من النص، وهذا ما نراه واضحا في كثير من مخطوطاتنا المحفوظة الآن في الخزائن المختلفة .

---

(١) المشوخي «أثر العوامل الطبيعية على التراث العربي الإسلامي المخطوط» ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب : مجلة علمية فصلية. مج ٢٢ ، ع ٤٣ (محرم ١٤٢٨ ، يناير / فبراير ٢٠٠٧)، ص ١٥٩-١٩٧.

العامل السادس

الحشرات

وتتكاثر الحشرات في المناخ الحار على وجه الخصوص وعادة ما تفتك بالمواد المكتبية الورقية وخصوصا المخطوطات التي تعد بالنسبة لها وجبة دسمة ، لذلك تعد الحشرات من أهم أسباب تلف محتويات المكتبة، ويمكن تقسيم الحشرات من حيث خطورتها على الكتب والمخطوطات إلى قسمين، هما:

١. **حشرات سطحية الضرر** ، وهي الحشرات التي تتغذى بسطح الورق واللاصق التشوي في أغلفة وكعوب الكتب والمخطوطات ، ومنها: السمك الفضي، والصراصير ، وقمل الكتب .

٢. **حشرات حفارة الأنفاق** ، وهي الحشرات التي تحفر أنفاقا عميقة تتجاوز أكثر من كراسة ، وتكون هذه الأنفاق على شكل ثقوب مستديرة كالأَرَضَة ، انظر الصورة في الغلاف.

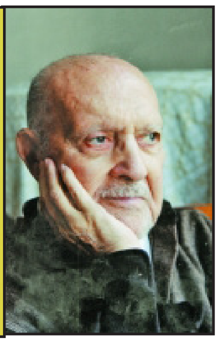
ومن أهم الأضرار التي تصيب المخطوطات عن طريق الحشرات الضارة : قرض حواف الأوراق وكعوب المخطوطات ، انتشار الثقوب داخل أوراق المخطوطات . وبين الصفحات وعلى الهوامش والنصوص بصورة قد تؤدي إلى ضياع النص ، وهذه الثقوب مختلفة الأشكال منها ما هو دائري، أو مستطيل، ويعود هذا الاختلاف إلى تنوع الحشرات المسببة لذلك.

وعن تأثير الأرضة على المخطوطات يقول ابن حجر العسقلاني : إنه رأى قطعة من مخطوطة «منح الباري بالسبح المجاري » كتبت في حياة مؤلفها محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى سنة ٨١٧ هجرية، وقد أكلتها الأرضة بكاملها بحيث لا يقدر على قراءة شيء منها[١].

وفي تقرير عن مكتبة الأزهر سنة ١٩٣٥ ذكر الشيخ أبو الوفا المراغي بأن مخطوطات المكتبة وكتبها أتلفت أوراقها و بليت و مزقت و خرمت و قطعت جلودها وأصبح لا يوجد منها كتاب سليم مستقيم إلا ما ندر [٢].

وفي تقرير آخر لبعثة معهد المخطوطات العربية التي زارت تونس في عام ١٣٧٩ ذكر صلاح الدين المنجد بأن معظم مخطوطات المكتبة العبدلية والمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة، مهملة وبحالة سيئة لكثرة ما عاثت الأرضة فيها[٣].





(١) حاجي خليفة، «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ١/ ٥٥٠ ، دار الفكر، ١٤٠٢.

(٢) أبو الوفا المراغي، «كلمة تاريخية عن المكتبة الأزهرية» ١٤/ ٢٧٥ ، مجلة الأزهر ١٩٩٣ .

(٣) صلاح الدين المنجد، «بعثة معهد المخطوطات إلى تونس »

وهناك عوامل أرى صرف النظر عن ذكرها لعدم وجودها في حضرموت كالزلازل والضوء ونحو ذلك.

وبعد أن مررنا على عوامل التلف بقيت الإشارة إلى الجهود الدولية في مجال الحفاظ على التراث ، المفهوم الأشمل الذي يشمل الكتب والآثار بعمومها ، وفي ذلك دراسات ومؤتمرات تقام سنويا في كافة البلدان ، ومنها ورش عمل ، وتخصصات مثل (الصيانة الوقائية) ، ومنها دليل «**إدارة المخاطر للتراث الثقافي المركز الدولي لحفظ وترميم الممتلكات الثقافية**»، وهو عبارة عن نسخة مختصرة عن كتيب «**منهجية العام ٢٠١٦ لإدارة المخاطر التي تواجه التراث الثقافي**» وهو إصدار مشترك بين المعهد الكندي لحفظ التراث CCI وبين إيكروم ICCROM، كتبه ستيفان ميكالسكي وخوسيه جونيور .





وفي صورة الغلاف صفحة داخلية من مجموع مكاتبات السيد عمر بن عبد الرحمن بن عمر البار (ت ١١٥٨) ، ويرى فيه أثر حشرة الأَرَضَة في حفر الأنفاق في الصفحات حتى وصلت إلى قلب الكتاب ،



ومن هذا النموذج لعامل الإتلاف عشرات المخطوطات في حضرموت ومنها ما حفظ بمكتبة الأحقاف في تريم، جزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

٢/ ٢٩٣ ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، (نوفمبر ١٩٥٦م).

وفـي سجل الأبحاث لملتقـى التراث العمراني الرابع بأبها الذي أقامته الهيئة العامة للسـياحة والآثـار بالمملكة العربية السـعودية يلخص الباحث حسـن عيديـد مدير عـام الهيئـة العامـة للمافظة على المـدن التاريخيـة ، فرع شـبام ووادي حضرموت في ورقته **(التـراث العمراني فـي وادي حضرموت ، بين مشـاريع الحفاظ ومخاطر الآثار)** المخاطر التي تهدد التراث العمراني فيما يلي:



١- مخاطر الأمطار والسيول
٢- غياب الدور المجتمعي، مما سبب هدم المباني التراثية.
٣- بيع القصور التاريخية
٤- عدم تفعيل القوانين والتشريعات

هذا ما يخص البنيان.. فما بالك بأوراق قديمة لمخطوط بالٍ في بيت طينيٍّ هجره أصحابه؟

الدائرة الخاصة للضياع (التراث الحضرمي)

بعد أن قدمنا العوامل العامة للتراث الإسلامي بالعموم يحسن بنا أن نشير إلى بعض العوامل الحضرمية في ضياع التراث، فمنها ما يشترك معها كالحروب والحرارة والحشرات، ومنها ما لا يوجد إلا في حضرموت وهو من مزاياها الإتلافية للتراث كالفئران والبخل بالمكتبات والجهل في تعمد الحضارمة إخفاء وثائقهم .

وسنعرضها من خلال عرض علمي لثلاثة باحثين بثلاثة مراحل :

١- كلام المؤرخ علوي بن طاهر الحداد قبل ٨٠ عاما ، أيام السلطنات ،

٢- كلام البحاثة عبداللاه الحبشي قبل ٤٠ عاما ، أيام الحزب الاشتراكي ،

٣- كلام المحقق د. محمد باذيب في وقتنا الحالي،

فالأول : كلام المؤرخ علوي بن طاهر الحداد قبل ٨٠ عاما أيام السلطنات ،

وهنا رأينا أن ندرج كلام المؤرخ المحقق علوي بن طاهر الحداد من «**الشامل**» بحذافيره، كما ذكره المحقق باذيب في مقدمة تحقيقه للشامل ، كونه **ممن وضع اليد على الجرح في فهم ما حصل للتراث** كما تقدم في نقل الباحث عوض مفلح.

تحدث صاحب الشامل في عدة مواضع من الكتاب عن مآسي المكتبات والخزائن في حضرموت، وذكر بعض المواقف التي جرت معه شخصيا في سبيل الاطلاع على بعض ذخائرها، وما آلت إليه تلك المكتبات من تشتت وضياع.

فمن المكتبات القديمة:

١- مكتبة الشيخ عبدالله العمودي الذماري (ت ٩٤٠هـ):

وكانت في قيدون، قال عنها: «وترك آل العمودي، أهلُ قيدون، خزانة الشيخ عبدالله بن محمد الذَّماري العمودي عشراتِ السنين، لا يدخلُها منهم داخل، حتى أكلتها الأرضَةُ والفيران، واتخذتها مسكنا، وبالت وذرقَتْ عليها، فلبّدتْ ما بقي من الكراريس، ولصق بعضُها ببعض، من تراكم أبوالها عليها».

٢- مكتبة آل العمودي في الشعبة:



والشعبة بلدة في وادي عمد، قال عنها رحمه الله: «وترك آل العمودي، أهل الشُّعْبة، خزائن الشيخ عمر بن أحمد العمودي حتى أكلتها الأرضة، وعاثَتْ فيها الفيران، ولم يبق منها إلا كراريسُ، وبعض مجلدات من كتب ناقصة».

وقال في موضع آخر: «وأما كتبهم؛ فبقيت في الشُّعْبة، في موضع يسمى الخزانة. ولهم تنافس مبني على التسامي بينهم، وعلى اعتقاد غير صحيح. وقد عاثَتْ الأرضَةُ في تلك الكتب حتى أتلفتها. ولما جئتُ إلى الشُّعْبة سنة ١٣٢٦، أو ١٣٢٧: فتحُوها لي، وقام منهم ثلاثة متقاطرون، يأخذ أحدهم الكتابَ فيناوله الآخر، ثمّ يناولنيه الثالثُ. ومما رأيتُه: «حُسن النجوى فيما لأهل اليمن من الفتوى»، جمعه الشيخ عبدالرحمن، الآتية ترجمته. و: كتاب في الأذكار. و«شرح البهجة»، بخط جميل، وعليه تقريراتُ الشيخ عبدالله بن الحاج بافضل. و«شرح الدميري على المنهاج»، ولعل الأرضة قد أتلفتْ بعض أجزائه، وهو الذي يقال: إن الشيخَة العالمة الفقيهة، خديجة، بنته، قد نسخته، وقالت في آخره: «ليعذُرْني من وجد فيه سقطا أو غلطا، فإني نسخته وأنا مرضع»، أو كما قالت».

٣- مكتبة الشيخ أحمد بن عبدالرحيم العمودي:



كانت في بلدة الدوفة، في مسجدقديم، ينسب للشيخ سعيد بن عيسى العمودي، بموضع يقال له (غيل المسمَّرة)، وكانت الى جانب المسجد غرفة للشيخ أحمد المذكور، بها مكتبته.

تحدث عنها قائلا: «وكان به الشيخ العلامة، الصوفي العابد الزاهد، أحمد بن عبدالرحيم العمودي. كان متجردا للتعليم، والاشتغال بالعبادة، مع تلامذته، فيه، وفي غرفة بجانبه. ولم أقف على سلسلة نسبه. وكان ذا جدّ وإقبال تام، وتحصيل للكتبِ، وكان ينسخُها بيده، وقد وقفتُ على بعضها، وقلما ينقطُ كتابه، ولكنه واضح لمن كان متمرِّنا على قراءة الكتابِ الغير منقوط، وقد استولت الأرَضةُ على كتبه، وتفرق الأكثر منها بأيدي الناس. ورأيتُ بقلمه: «الإحياء» المختصر، في أربعة أجزاء بقلمه، فلا أدري أهو اختصَره، أم هو لغيره نسخه؟

ولم نقف على ترجمة مطولة للشيخ أحمد بن عبدالرحيم، ولا شيوخه، ولا للآخذين عنه، مع كثرتهم، وربما كان في كتُبه التي تقاسمتها الأيدي ما يفيدُ ذلكَ، وعسى الله أن يأذن بنشرها، وكشف سرِّها، إلا أنه مشهور عنه كثرة ما نسخَ من الكتب، وكلما نسخَ كتابا قرأه مع تلامذته،

حتى لقد قيلَ: إنه نسخَ من «التحفة» أربعين نسخة، وقرأها مع تلامذته أربعين مرة».

٤- مكتبة الشيخ عبدالله بن عثمان العمودي (ت ١١٤٣هـ):

كانت في بلدة الدوفة، بوادي دوعن الأيسر، قال في ترجمة صاحبها: «كان متصدرا للتدريس في بلده الدوفة، ويختلف إلى قيدون، وكان حسنَ الخط، قليل الغلط، نسخ كتبا عدة، وعندي بعض الرسائل بخطه. وكان متفنِّنا في العلوم، وقد نسخ «التحفة» ثم ذهب إلى قيدون فقرأها هناك، وقابلها، مما يدل على أنه كان في زمَنه من يعتني بذلك فيها. «**ورأيتُ** بقلمه في آخر بعض الرسائل ما لفظه: «فرغ من خط هذه النبذة المباركة يوم الثلاثاء، سادس عشر رجب الحرام، أحد شهور العام الثامن وثمانين بعد الألف، من هجرة الحبيب ﷺ، وكان ذلك بمسجد الشيخ عبد الله بن طاهر بالدُّوفة، عمر الله ربوعها بالإسلام».

٥- مكتبة الشيخ سعيد بن عبدالله العمودي:

وهو من علماء قيدون أيضا، قال في ترجمته: «.. نسخ من الرسائل والمنظوماتِ مختلفَ الفنون، من نحو، وصرف، ومعان، وبيان، وبديع، وتاريخ، ومنطق، ومساحة، وحساب، وجبر ومقابلة، وذلك ما لا يعرف الناس اليوم حتى اسمها. وكان عندي مجموع له ضخم بقلمه، وكنت ضنينا به، ثم عاثت فيه الأرَضة لغفلة من القيِّم الذي وضعناه على كتب الرباط، حتى لقد أكلت جزأ من «الإمداد شرح الإرشاد»، والجزء الثاني من «الروضة»، وهما من الكتب الضنينة، التي تكاد أن تكون معدومة. **وعندي** الآن: «مجموع مؤلفات الحبيب عبدالله الحداد»، أكثره بقلمه، وقلم والده. **ووقفتُ** إبان الصّغَر على «مجموع» له آخر، ذكر فيه بعضَ ما قرأه على الحبيب عبدالله الحداد.

تلك كانت مجموعة من المكتبات القديمة، التي سمع عنها المؤلف، أو اطلع على بعض محفوظاتها من الكتب القيمة، كما مر.

أما ما وقف عليه بنفسه من المكتبات لمعاصريه، فمنها:

٦- مكتبة القاضي الشيخ عبدالرحمن باشيخ:

وهو من علماء بلدة هدون، في وادي دوعن. قال عنها في سياق ترجمته لصاحبها: «وعنده مجموعة من الكتب القلمية، عديمة النظير، فيها عدد من فتاوَى فقهاء حضرموت واليمن، كـ«فتاوى بامخرمة»، و«باشراحيل»، و«بايزيد»، و«الحبّاني»، وغيرهم.

وقد استعارها بعضُهم من ابنه الفاضل الشيخ أحمد، ثم أنكرَه فيها، وكتب إليَّ وأنا بجاوة، يشكو إليَّ عملَه، وبلغني بعد ذلك أنه وقعَتْ بينهما دعوَى عند والي دوعن، ولم أدر هل ردَّها إليه أم لا؟ وكان من الصّدَف الغريبة: أن ذلك المستعيرَ، أو المغير، **أخبرني**، وقد اجتمعتُ به في جاوة: أن لديه ثمانيا وعشرين مجلدا من فتاوى العلماء، فعجبتُ كيف وصلتْ إليه؟ ثم لم يطُلِ الزمنُ حتى وصل إليَّ كتابُ الشيخ أحمد يشكُوه، ويطلب مني مراجعته!. والزمانُ أبو

العجائب».

٧- مكتبة الشيخ أحمد بن قاسم العمودي:

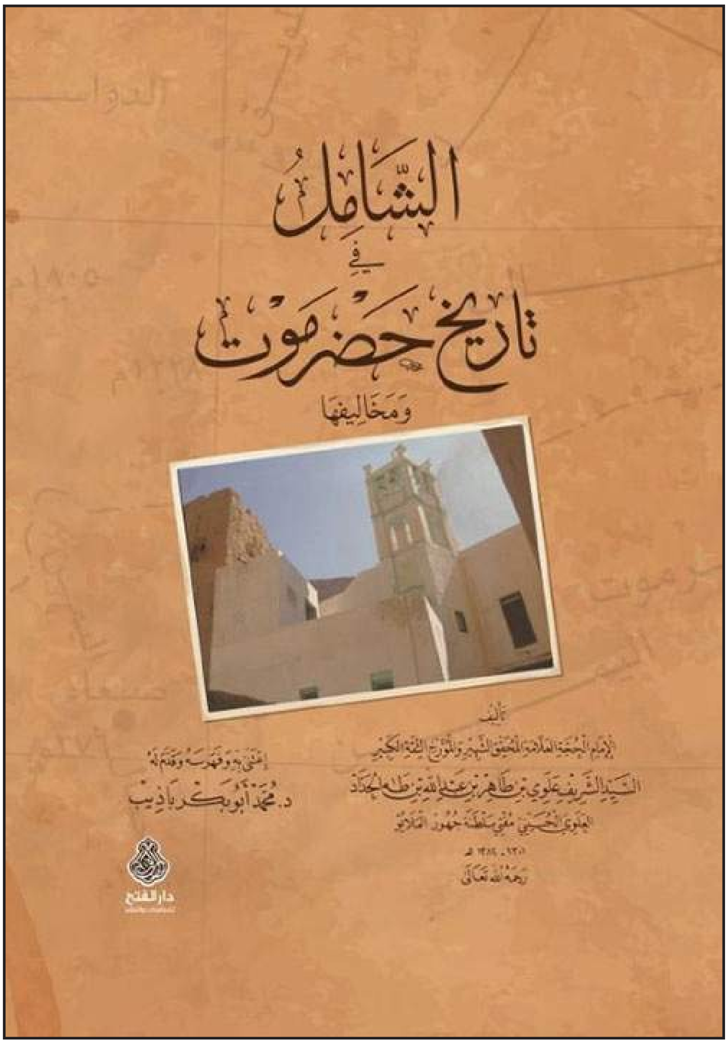
وهو من علماء بلدة صبيخ، بوادي دوعن الأيسر، قال في ترجمته: «وأوصى بكتبه لرباط العلم الشريف، الذي أنشأناه ببلد قيدون، فعبث الوصي بها، وأخذ يبيعها، ثم علمنا وتداركنا ما بقيَ، فحملناه إلى خزائن الرباط، نفع الله به المستفيدين، وأجرى أجره له دائما إلى يوم الدين».

٨- مكتبات بلدة الدوفة:

تحدث عنها إجمالا في سياق حديثه عن تاريخ الدوفة، وذكر مأساتها، فقال: «وقد بلغَنا أن بعض أهل الدُّوفة كان يخرج في الحين بعد الحينِ، الزنبيلَ بعد الزنبيل، من أوراق الكتب الخطية، التي قد عاثَتْ فيها الأرضَةُ والفأر، فيضعها فوق كومِ الزبْل، وهم يسمونها: عَدانة الدَّمان، حتى فنيت الخزائنُ التي صارت إليه. وقد تداركنا من عند بعض العجائز بها جزءا من «شرح التنبيه» لأبي بكر الأزْرَق، وكراريس أخرى».

٩- مكتبة السادة آل بن يحيى بالمسيلة:

وهي مسيلة آل شيخ، منطقة قريبة من مدينة تريم، شرقي وادي حضرموت الكبير، ذكرها في معرض حديثه عن مآسي المكتبات في حضرموت، قائلا: «وترك السادة الأشراف آل يحيى مكتبتهم بالمسيلة، مدة غير طويلة، ولكنها كانت كافية لعبَث الأرَضة فيها، وفُقِدت منها كتب جليلة. وقد كنت كتبتُ للمرحوم، السيد الشريف، محمد بن عقيل بن يحيى: أن يُعنَى بها، ويوصي من عشيرته من يقوم بحفظها. وأخبرتُه: أن الأرضة ابتدأت تعيثُ فيها، فكتب إليَّ ينكر إضاعتها، ثم بعد أشهر، بعدَما تحقق لديه الأمر، كتب إليَّ يصدقّني، ويظهر أسفه لما جرَى».



١٠- مكتبة السيد عبدالله بن علوي العطاس بحريضة:

والسيد العطاس توفي سنة ١٣٣٤هـ، قال عنها، في معرض حديثه عن مآسي المكتبات: «وترك أوصياءُ الحبيب عبدالله بن علوي بن حسن العطاس،

السيد الشريف، صاحب حريضة، كتبه، حتى عاثتْ فيها الأرضَة. جئنا مرة إلى حريضة للزيارة ومعاهَدة الإخوان، وزرنا مدرسَته في بعض العشَايا، وفي أثناء المجلس قمتُ، **فأخذتُ بعض الكتب من الرفّ، فلما فتحته تناثر عليَّ دوداً**».

١١- مكتبة رباط قيدون:

وهي المكتبة التي أسسها المؤلف وأخوه رحمهما الله، تحدث عما جرى لها، قائلا: «وتركْنا مرة بعض المراقبين على رباط العلم الشريف، فغفِلَ عن تفقّد بعض الكتب، فلم يشعر إلا بعد ما أتَتْ الأَرَضة على بعض الكتُب الخطية المهمة».

وهنا نضيف سبباً لم يتنبه له الكثيرون ، يندرج ضمن ما يسمى بعامل (**الجهل**)، وهو **خشية بعض الفئات الاجتماعية الحضرمية من التعيير بالنسب** ، مما حداهم لإخفاء أهم مصادر تاريخنا ، يقول الحداد في حديثه عن ضياع الكتب النادرة[1]:

علاوة على ما تقدم ذكره من مآسي المكتبات، ومآل كثير منها، لم يفت المؤلف رحمه الله أن يلفت النظر إلى بعض المصادر المهمة النادرة. التي نقل عنها في كتابه هذا، أو سمع بها، منها ما وصفه بالواسطة، ومنها ما وقف عليه بنفسه.

*** فمن الكتب النادرة المفقودة التي نقل عنها بالواسطة:**

١- **الدلائل والأخبار في خصائص ظفار**: تأليف «العالم الصوفي، عبدالله بن عمر بن جعفر المرهون الكثيري». نقل عنه بواسطة كتاب «تاريخ حضرموت» للشيخ سالم بن حميد. كما في مقدمة «**الشامل**».

٢- **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد عباس باعباد**: نقل عنه أيضا بواسطة «**تاريخ حضرموت**» لابن حميد، كما في المقدمة.

٣- **الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة**: رسالة جمعها الشيخ عوض بن أحمد بن عوض بن عبدالله بن عمر الجرُو، ساكن غرفة الشيخ باعباد. كان أديبا، صاحب فضيلة، وله شعر حسَن. وأمّه بنت الشيخ محمد بن عمر بحرق.

وهي رسالةٌ نادرةٌ، فُقدتْ، قال في وصفها: .. هذه الرسالة لم تصل إلينا بتمامها، وإنما وقَفْنا على مقتطفات منها». ذكر ذلك في المقدمة. ثم أدرج عنوانها ضمن قائمة مصادره، ولولا أنه نبه أن نقله عنها إنما كان بواسطة خط الشيخ ابن حميد التريسي، لجزمنا أنها كانت من مصادره المباشرة.

---

(١) من مقدمة التحقيق ص١٢٢ .

ثـم قال عقب ذكر الشـيخ الجرو، مؤلـف الرسالة المذكورة: ورسالته هـذه ذاتُ فوائد يرحل إليها، إلا أنا لم نقف عليهَا، وإنما وقفنا على نتف منها، منقولة من خطّ المؤرخ الشيخ الفاضل، سالـم بن محمد بن سالـم بن حميد، نقله من خطّ الفقيه العلامة شـهاب الدين أحمد بن محمد مـؤذّن باجمّـال الأصبحـي، وهو نقله مـن (تأليف عوض بن أحمـد الجرو)، وقد تـرك في نقله مواضع مهمة.

وقد أخبرني من أثق به: أن هذه الرسـالة موجودة عند بعض أهل شـبام، وقرئت على سـيدي وشـيخي أحمد بن حسـن العطاس، الإمام الجامع، العارف بالله، العلوي الحسـيني، وكان فيها أنسـاب عدد من قبائلِ المشـايخ وغيرهم، على غير المشـهور بين الناس، فكأنّ ذلك هو الداعي إلى إخفائها، فكأن الناقل ترك نقلَ ما أشرنا إليه، والله أعلم بالحقيقة.

قلـت: «**الدلائل والآثار في تاريخ ظفار**» حققه المؤرخ الظفاري سعيد بن مسـعود المعشـني رحمـه الله ، وطبـع بمطابع ظفار عـام ١٤٢٧، وقد تحصلت على الكتاب من أرشيف المطبعة بعد لأي وجهد من أحد الزملاء العمانيين شـكر الله له سعيه، وراسلتُ به أخي المحقق د. محمد باذيـب شـكر الله له جهده ، فللـه الحمد والمنة علـى ظهـور هـذا التـراث الضائـع مـن الوادي بجهود الإخوة في ظفار . وهو دليل واضح على





أن **الجـزم بالفقـدان والضيـاع على كتـاب غير وارد، إنما يخضـع لعامل الزمن** ، **وشـاهـد لعامل التسرب الذي سيأتي الكلام عليه ، فلا ينبغي الاستعجال فيه.**

والشاهد هنا: كلامه على الكتاب الثالث «الفرج بعد الشدة في تاريخ كندة» وأهميته في أنساب بعض القبائل الحضرمية،

وكيف أنها منقولة من خطّ المؤرخ الشيخ الفاضل سالم بن محمد بن سالم بن حميد،

وهو نقله من خطّ الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد مؤذّن باجمّال الأصبحي،

وهو نقله عن المؤلف الجرو،

وأنه قرئ على شيخه السيد أحمد بن حسن (صاحب العبارة المشهورة التي بنينا الكلام عليها : إن الأخلاف وجدوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها)

وأن الكلام إنما كان حول تصحيح لتلك الأنسـاب وتصويب لما اشـتهر ، وأن هذا التصحيح ربما وقع من الناسخ / الناقل،

فتأمـل بـارك الله فيك إضاءة جديدة لذلك السـؤال ، فهذا نموذج تطبيقي للمسـألة ، اكتملت فيهـا العناصـر ، فذكر فيها (من هم الأخلاف؟) و (من هم الأسـلاف؟) و (المادة التي أخفيت)

و(سبب الإنكار)[١] .

هذا التخوف من القبائل في إخفاء أنسابهم.. هل هو :

عقائدي ،

مذهبي،

فكري ،

ايديولوجي،

كما يحلل المستشرقون والانثروبولوجيون؟

أم أنه مجرد جهل؟

إنها ظاهرة حضرمية ضاربة الأطناب في تاريخنا ومجتمعنا إلى يومنا هذا.. لم تسلم منها فئة حضرمية بما فيها السادة أنفسهم

وقال المحقق د. محمد باذيب في تعليق وتعقيب على مقال بعنوان (حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي) من مدونته : لقد حمل الناس عبارة السيد علوي بن طاهر الحداد التي في «جنى الشماريخ» أكثر مما تحتمل. وللجواب على تساؤل الكاتب : (من هم الأخلاف

(١) وقد قدمنا أول البحث التباكي المكتوب للأستاذ سالم فرج مفلح في كتابه «تريم بين الإباضية والمعتزلة.. مشروع رؤية» حيث قال : وعندما نحاول أن نبحث في الأقوال حول سر تلك الشحة في المعلومات وندرة أو انعدام مصادر ذلك التاريخ ، **نجد أنّ المؤرخ علوي بن طاهر الحداد قد وضع أصبعه على الجرح وحدد حجمه وعمقه المذهبي ، فقد كان لديه القول الفصل المقبول عقلا في هذه القضية** عندما أطلق مقولته المشهورة: (إن الأخلاف وجدوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها ، أي إن المؤرخ الحداد يرى أن سبب تلك الشحة في المصادر لا يعود إلى عدم كتابة الأسلاف عن حياتهم وعصرهم وطبيعته ، بل يعود إلى (عقدة) الأخلاف من مذهب الأسلاف نظرا لاختلاف مذهب الخلف وهم سنة أشاعرة عن مذهب أسلافهم وهم أهلهم في العصر الوسيط ، وإن هؤلاء الأخلاف عندما سجلوا في العصر الحديث مذهب الأسلاف العقائدي فإنهم سجلوه بما يخالف حقيقته وفرضوا اعتقادهم السني على الأسلاف الذين كانوا على خلافه.

قلتُ: انظر إلى تحكيمه للعقل فيما ناسبه من عبارات المصادر، حيث يحكم على المؤرخ الحداد بعمق الفهم في هذا الموضع، ويطعن في موثوقية المصنفات له ولجملة المؤرخين في عموم السياق.. وهو ما يسمى بالأسلوب الانتقائي selective، يقول د. زاهر دكار : وهو أخطر أنواع الكتابة التاريخية، وذلك عندما ينصب المؤرخ نفسه قاضيا يحاكم ويدين الأجيال والأفراد السابقين، لأن المؤرخ يحاول رسم الماضي ويفصل بين اختيار المادة التاريخية وطريقة معالجتها ، باستخدام التحليل والنقد للوثائق التاريخية أو العلمية. «منهجية البحث العلمي وإعداد الرسائل الجامعية».

الذين أضاعوا تواريخ حضرموت وآثار علمائها في التاريخ والأنساب، الخ)، أوجهه أن يرجع إلى «جنى الشماريخ» مرة أخرى، ليعرف منه قصة إخفاء كتاب الشيخ الجرو في أنساب كندة. وليعلم كيف كان حرص الحبيب العلامة أحمد بن حسن العطاس على ذلك الكتاب، وأن أشخاصاً حاقدين هم الذين أخفوا الكتاب وأتلفوه. ولو أنه وقع بيد الحبيب أحمد بن حسن، لحفظ لنا، ولوصلنا كما وصلتنا نصوص نادرة عن أنساب أهل حضرموت، لم نجد لها مصدراً سوى مدونات ذلك السيد العلامة الإمام الجليل .. رحمة الله عليه.

ظاهرة خوف الحضارمة من المعايرة بالنسب..

هذه الظاهرة اعتبرها الباحث محمد بن سالم بن علي جابر المشرف على «**الموسوعة اليافعية**» أحد المعوقات التي واجهتها، وهذا نص العبارة:

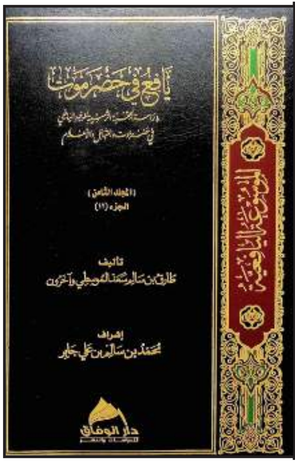
المعوقات والإشكالات التي واجهت المشروع

* تَحَفُّظُ الكثيرين عما لديهم من وثائق بسبب الخوف عليها.

* **تَخَوُّفُ بعضِ الناس من ذوي الأصل اليافعي وبخاصة الطبقة المثقفة منهم من خلفية النزعة اليافعية والعرق اليافعي**، بعد أن انصهروا في بوتقة التركيب الاجتماعي الحضرمي وأصبحوا جزءا منه، وأصبح الجميع حضارمة.

راجع مقدمة المجلد الثامن : يافع في حضرموت ص١٣.

وسيأتي ذات الكلام بعد قليل.





الثاني: كلام البحاثة عبداللاه الحبشي قبل ٤٠ عاما ، أيام الحزب الاشتراكي

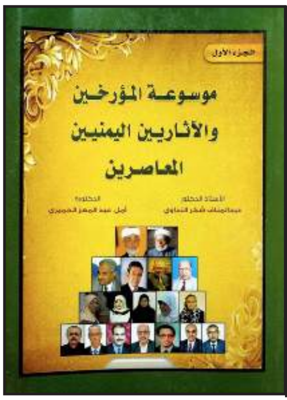
و بعد أن قدمنا كلام العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢)، وفيه نبذةٌ عَمَلية عن (أسباب الضياع الحضرمية)، من بَحّاثة مارس البحث الميداني للمكتبات مفتشاً عن مصادر التاريخ الحضرمي في الخزائن والأضابير ، قبل قرن من الزمان ، فإن مجهود الحداد هذا يذكرنا بما قام به الباحث المحقق السيد عبداللاه الحبشي قبل نصف قرن من الزمان[١] في كتابه «فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت - المحافظة الخامسة» الذي أنجزه في رحلة علمية ميدانية لكافة مكتبات الوادي عام ١٩٧٠ ضمن أعمال المركز الثقافي اليمني للمسح الببليوغرافي، حيث ذكر في المقدمة ما ملخصه أن التسرّب كان عاملا مهمّا من عوامل ضياع التراث ، وذكر ما حصل من بعض المستشرقين في تنقيبهم عن مصادر التاريخ ونفائس التراث للحصول عليها بأية طريقة، وهو باحث لا يزال يعيش حتى اليوم شاهداً على العصر بارك الله له في عمره وعلمه، يقول البحاثة الأستاذ الحبشي في المقدمة :



وتمكن جماعة من الأوروبيين من امتلاك أهم ما تحويه مكتباتنا من مخطوطات قيمة في ظل هذا الإهمال من قبل السلطات.

و بواسطة هؤلاء تمكنت مكتبات أوروبا من استكمال ما ينقصها من مخطوطات ، وكانت حضرموت من دون البلاد اليمنية الأخرى مصدرا خصبا لتلك المكتبات ، وقد ساعد على ذلك سماح السلطات الجنوبية للأوروبيين بدخول البلاد واختلاطهم بالأهالي ، وهو الأمر الذي لا نجده في البلاد اليمنية الشمالية حيث كان دخول الأجانب محرماً تحريماً باتا[٢].





(١) صاحب المصنفات الببليوغرافية المعروفة ، عمل في كثير من المؤسسات العلمية ونال العديد من الجوائز التقديرية كان آخرها التكريم في إثنينية الشيخ عبدالمقصود خوجه بجدة ٢٨ يناير ٢٠١٤، حيث أثرى المكتبة العربية بمؤلفات تربو على ٥٥ تحقيقاً ، بالإضافة إلى ٥١ مؤلفاً، تراوحت مجالاتها بين البحث، والتاريخ، والتحقيق، والفهرسة.وللاستزادة انظر : «موسوعة المؤرخين والآثاريين اليمنيين المعاصرين» تأليف د.عبدالمناف النداوي ود. أمل عبدالمعز الحميري ص٣٧٨.

(٢) وعلى سبيل المثال فلا تزال بعض المخطوطات الحضرمية في فهرس المكتبة الملكية في برلين ، ويمكن مراسلتها

ويستمر الحبشي في تحليله لأسباب ضياع تراثنا فيضيف سببا حضرميا آخر وهو (**المهاجرون**)، فيقول:

ومن هذه الفئات جماعة من المثقفين كانوا مولعين باقتناء المخطوطات، ومن ثم أخذها معهم أثناء هجرانهم البعيدة إلى خارج البلاد، فكانوا يجلبون معهم كل ما تحويه مكاتب أسرهم من مخطوطات أثرية قديمة وأخذها معهم الى مهاجر هم في الهند أو اندونيسيا، ولهذا السبب كانت مهاجر اليمنيين مليئة بالمخطوطات.

ثم يبين أحد أسباب (إنقاذ مصادر التراث الحضرمي) :

ولولا اهتمام جماعة من التجار المثقفين منذ أوائل القرن العشرين في تكوين مكتبات عامة تحمل أسم أسرهم لما استطعنا من مشاهدة البقية الباقية من مخطوطاتنا.

انتهى كلام الأستاذ الحبشي

قلت : وقد قسم الحبشي كتابه إلى فصول خاصة بكل مكتبة عائلية من هذه المكتبات ، إذ انتهى إليها ما تبقى من تراثنا برغم الجهل والضعف والمراحل والقلاقل المتتالية ، **ونظرة عابرة للفهرس للأسماء تنبيك عن مدى دور الصوفية الحضارمة (السادة + المشايخ) في الحفاظ على ما تبقى، بعكس ما تمليه التهمة التي نتكلم عنها** :



١. مكتبة الكاف – جامع تريم
٢. مكتبة وقف آل بن يحيى – تريم
٣. مكتبة الحسيني – تريم
٤. مكتبة الرباط – تريم
٥. مكتبة آل بن سهل – تريم
٦. كتب موزعة عند أشخاص – تريم
٧. مكتبة العلامة عيدروس بن عمر الحبشي – الغرفة
٨. فرع مكتبة الكاف - سيئون
٩. مكتبات الأفراد في الغرفة - شبام - دوعن - حريضة - القرين
١٠. مكتبة الشعب - المكلا

وهذا البحث: (إنقاذ مصادر التاريخ الحضرمي) للأسف مسكوت عنه، ونطالب أنفسنا قبل

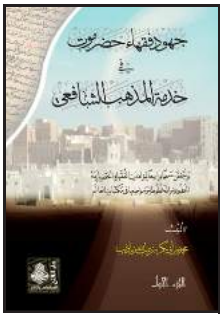
لتصويره رقميا وإرساله بالبريد ، وهذا موقعها staatsbibliothek-berlin.de.

الآخريـن بالاهتمـام به ، كما نهتم ببحث ضياع المصادر ، والتفـاؤل العلمي مطلوبٌ.. وعزيزٌ..
كما أن المسلم مطالب به في حياته مهما تكاثرت هموم الزمان ومشاكل العصر.

الثالث: كلام المحقق د. محمد باذيب في وقتنا الحالي

فصل من «جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي» ص١٦٥ - ١٧٠

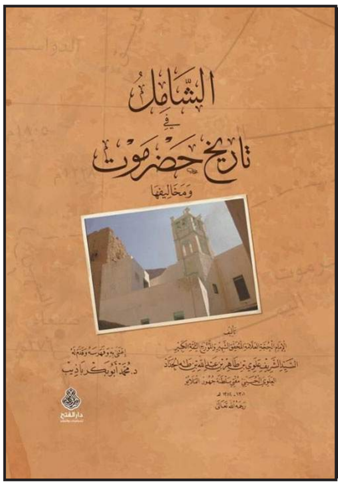
واقع حضرموت في العهد الإباضي





إنه مع أسف الكثير من الباحثين على ضياع تراث الإباضية وعدم وجود مصادر تاريخية كافية عنهم، فإن العلامة الكبير والعلم الشهير علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) قد عبر في كلمات جامعة عن واقع منطقة حضرموت في عهود سيطرة الإباضية عليها، وهو رأي وجيه يستحق أن يذكر هنا تتميماً لبحثنا الطويل والشائك عن هذه الحقبة الزمنية.

فهو يرى: أن تلك العصور كانت عصور جفاف وخواء علمي وفكري وحضاري، وأن منطقةَ حضرموت على مدى أكثر من قرنين من القرون الثلاثة ـ التي هي «خير القرون» كما في الحديث الصحيح، وهي الفترة التي أزهرت وأثمرت فيها حضارة الإسلام، وامتلأت فيها أمصار المسلمين علماء وأدباء ومؤلفين ـ قد اعتراها العقم وقلة الخير بسبب ظهور الخوارج بها. وكان هذا الأمر ـ التواجد الإباضي ـ يحول دون امتزاج حضرموت بسائر الأقطار الإسلامية وأمصارها، لاشتعال نيران الفتن التي كان يؤججها الخوارج، كلما طفئ منها جانب أشعلوا منها جانباً. وبينما كانت الأمصار الإسلامية تزخر بالغنى والثروة والتجارة، وأموال المغانم والفتوحات الإسلامية، يرن صداها في الخافقين، كان الحضارم محرومين من ذلك كله.





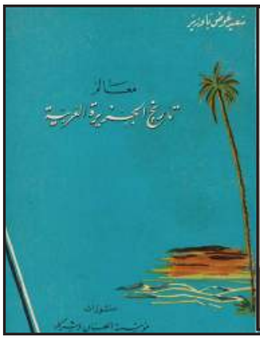
كما تعرض إباضية الحضارمة آنذاك لكراهية العالم الإسلامي لهم بسبب ما فعلوه في الحرمين الشريفين، إذ قتّلوا أبناء المهاجرين وأبناء الأنصار الذين دعا لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وأخافوا أهل المدينة، فلا جرم أن أذابهم الله كإذابة الملح، فلم يعد من أقوامهم تلكَ إلا القليل، ثم كانت هذه الأعمال سبباً للهجوم على حضرموت وأهلها مراراً من جيوش بني أمية وبني العباس، فوقع فيهم من القتل والمحَن ما يطول وصفه. ومن العجب أن فتنة الخوارج هذه نبعت من تحت قدم رجل من فخيذة (بني شيطان) من كندة، كما أن ردة كندة أولَ الإسلام

ومن تبعهم كانت بسبب (بكرة شَيطان)، فكلٌّ له من اسمه نصيب[١]!

وجهة نظر؛ حول ما يقالُ عن أسباب ضياع المصادر القديمة:

لقد تعب الباحثون من قبلُ في تتبع أخبار الإباضية في حضرموت، والسبب الأكبر هو قلة أو عدم وجود المراجع الكافية التي تتحدث عن تاريخهم وحركاتهم، ويمكن القول بأن جملةَ تاريخِهم غامض مطموس [٢]، وهو عصر مجهول التفاصيل، والإحالة عليه إحالة على مجهول[٣]، كما عبَّر العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ).





ويضيف من بعده المؤرخ سعيد عوض باوزير (ت ١٣٩٦هـ): (نحن لا نملك أن نصدق أن مئات السنين التي عاشها الإباضيون في حضرموت دون أن يتركوا أثراً علمياً أو أدبياً أو تاريخياً يعبر عن عقيدتهم ومذهبهم، ويسجل عواطفهم وأحاسيسهم ويدون أخبار خلفائهم وأمرائهم وقوادهم وعلمائهم وأدبائهم، ويعطينا صورة واضحة المعالم عن حياتهم السياسية والثقافية والاجتماعية.

لقد ضاعت إذن أو اختفت مصادر هذه الفترة المهمة من تاريخ حضرموت، ولكن: كيف؟ ولماذا؟ لا أحد يدري! ومهما قيل في تعليل ذلك من أسباب تتعلق بالحروب والفتن والثورات التي تعرضت لها البلاد، فإن ذلك لا يقنعنا بأن هذه الحروب وحدها كانت سبباً في اختفاء كل أثر للإباضية في حضرموت، إذ من الجائز أن تتعرض بعض هذه المصادر للتلف، أما أن تختفي جميعها من الوجود كلية، فهذا ما لا يمكن أن يقبل أو يستساغ) [٤].





أما أستاذنا العلامة الشاطري رحمه الله، فإنه وبرؤية العالم المتثبت الرزين، قد كان أكثر تفاؤلاً من الشيخ باوزير، بل أكثر وضوحاً وإنصافاً، فهو يعلل هذا الاختفاء ـ (أو: الإخفاء!) حسب تعبير الشيخ باوزير ـ بقوله: «ويظهر أن السبب الرئيسي هو عدم اهتمام الحضارمة

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، «الشامل» ص١٥ – ١٦.

(٢) المؤلف السابق، «جنى الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ» ص١٢.

(٣) المصدر السابق: ص٢٩

(٤) سعيد عوض باوزير، «الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي» ص٦٧ – ٦٨، وسيأتي الكلام عن بدء حركة خدمة التراث في عمان وظهور ديوان السيف والسير والجوابات ومختصر الخصال لأبي إسحاق الحضرمي، وهو دليل قطعي على ما قاله باذيب هنا: إن اختفاءها من الوجود كلية أمر غير مستساغ، ومع هذا وذلك تبقى مصنفات لشخصية واحدة فقط، ولا تكفي لقراءة مرحلة تاريخية بأكملها.

والإباضية منهم بصورة خاصة بتدوين التاريخ، بل الجمود الإباضي السابق يأبى تدوينه في تلك العهود، وهذا يعني: أنه لو وجد مؤرخون من بينهم إذ ذاك فإن تواريخهم ضاعت ضحية الإهمال والفوضوية الضاربة أطنابها في البلاد، وعدم الاحتفاظ بالذخائر العلمية[1].

وهذا الذي ذكره شيخنا تغمده الله برحمته ـ وسماه (جموداً) ـ هو عينُ ما ورد عند كبار مؤرخي الإباضية، فهم يأسفون بشدة لما أن أسلافهم لم يدونوا أخبارهم.

فهذا أقدم مصدر تاريخي متوفر بين أيدي الباحثين من تاريخ الإباضية، وهو «تاريخ أبي زكريا» المعروف بـ «سير الأئمة»، الذي توفي مؤلفه حوالي سنة ٤٧٠هـ، يقول مؤلفه: (أما بعد؛ لما رأينا ما انطمس من الآثار، وما اندرس من الأخبار، انبعثت أفكارنا إلى تأليف أخبار من سلف من الأشياخ .. فكتبنا من ذلك ما تيسر لنا كتابته، ورجونا منفعته من بعد ما خشينا على العوام أن يتخذوه وراءهم ظهرياً، ويجعلوه نسياً منسياً)[2]. إلخ.

ويقول العلامة المؤرخ الشيخ عبد الله السالمي المتوفَّى سنة ١٣٣٢هـ في مقدمة كتابه الهام «تحفة الأعيان» أحد أهم المصادر عن تاريخ عمان وإباضيتها: «لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة دولة العدل، وتأثير العلوم الدينية، وبيان ما لابد منه للناس، أخذاً بالأهم فالأهم، فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة، ولا تاريخاً شاملاً» الخ.

فمن هذه النصوص وغيرها، نجد أن القومَ أنفسهم يأسفون على ما ضاع من سير أسلافهم وتاريخهم، ولا يعزون ذلك الضياع إلا إلى عدم اهتمام الأسلاف بالتدوين في الدرجة الأولى، يضاف إلى ما سبق: ما اتصفت به منطقة حضرموت قديماً من البداوة الشديدة[3]، على قلة مَنْ بها من العلماء بسبب الهجرات.

فإذا ما اعتذر أحدُ كبار علماء حضرموت فنسب بعض ضياع التاريخ الحضرمي القديم (عموماً) بدون انحياز فئوي أو طائفي، إلى كون الأخلاف رأوا في سير أسلافهم ما ينكرونه منهم اليوم، فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها (١). فإني أرى أن هذا الاعتذار أو التعليل عن ضياع مصادر تاريخنا الحضرمي القديم هو اعتذار منطقي جداً، بل ذلك مشاهد في واقع الناس المعاش. فكيف يجوز

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، «أدوار التاريخ الحضرمي» ص١٢٢ ، وهذا الإهمال أشار له الباحث عبدالكريم ميزان في بحثه الآنف الذكر، أي: جهل الإباضية انفسهم واهمالهم للعلم ، ذكر ميزان في كتابه «إباضية حضرموت وعلاقتهم بعمان» ص٢٤٠ : ومن عوامل تلاشي الإباضية ونهايتها الإهمال الكبير للعلم والفقه عند متأخري إباضية هذه البلاد، وهو ما أشار إليه أبو إسحق ، فقد خلت مدرسة حضرموت الإباضية من العلماء والفقهاء إلا ما ندر، وأصبحت البلاد تابعة المدرسة عمان ، حيث نجد تلك المراسلات بين إباضية حضرموت وفقهاء عمان، فاعتمد الحضارمة الإباضيون على آراء فقهاء عمان وفتاويهم.

(٢) أبو زكريا، «سير الأئمة» ص٣٧.

(٣) علوي بن طاهر الحداد، جنى الشماريخ: ص٢٩ – ٣٠

ـ عقلاً وذوقاً بعد هذا الشرح المستفيض والنقل عن أهم مصادر الإباضية التاريخية القديمة ـ أن يأتي بعض الكُتاب المحْدَثين (المعاصرين) فيلقي باللوم كله على (فئة من الناس)، ويتهمهم بأنهم استخدموا أسلوبَ (فلترة) المصادر التاريخية[1]، وأن التراث الإباضي قد أبيد أو دُمِّر أو أخفي بعد قدوم السيد المهاجر (ت ٣٤٥هـ)، إن هذا زعمٌ باطل ولا أساسَ له من الصحة إطلاقاً، وشواهد التاريخ الثابتة تجعله كالهباء المنثور.

لقد ظهرت اليوم بحوث حديثة معاصرة، تريد أن تأخذ بدفة التاريخ وتحرفها عن مسارها الصحيح، وأن تبعثر الحقائق الراسخة، وتقلب الأمور رأساً على عقب، ولكن هيهات لهم ذلك[2]. وليأخذ القارئ الكريم للعبرة قصتان، من وقائع قريبة حدثتا في ظروف مشابهة لما نحن بصدد الحديث عنه:

١ـ فقد نقل لنا الثقاتُ عن حادثة اغتيال لمصدر تاريخي مهم في القرن الرابع عشر الهجري، وهو كتاب «الفرج بعد الشدة في فروع كندة» للشيخ النسابة المؤرخ عوض بن أحمد الجرو، سبط العلامة الكبير الشيخ محمد بن عمر بحرق (ت ٩٣٠هـ)، ومسرح الحدث هو مدينة (شبام) بحضرموت! هذا الكتاب كانت توجد منه أوراقٌ في مكتبة العلامة أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤هـ)، اطلع عليها العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ).

أما سبب اختفائه فيحكيه لنا السيدُ الحداد المذكور، بقوله: «وقد أخبرني بعضهم: أنه حضر شيخَنا وتلك الرسالة تقرأ عليه في (شبام) على ما هو الأغلب عندي، وعاد صاحبها فأخذها، وبقيت مكتومة، لأن فيها أنساب أناس من المشايخ إلى حمير! قلت: ولعمري ما ذلك بعيب ولا هجنة، وحمير جرثومة كبرى من جراثيم العرب، كان لهم الملك في الجاهلية والجهاد في الإسلام والمسارعة إليه، فأعظِم بجَهلِ من يعدُّ الانتسابَ إلى حمير عيباً ونقصاً»[3]. انتهى.

٢ـ ونحن نرى اليوم أناسا نُسِب أجدادهم إلى التصوف ـ على سبيل المثال ـ ويرونه هم سُبَّةً وعاراً[4]، فقاموا بحرق تراث أجدادهم وآبائهم الأقربين، في محاولة لطمسه وإخفاء للحقيقة

---

(١) عبد الرحمن بن عقيل، «صفحات من تاريخ إباضية حضرموت وعمان» ص٢٤٩، وكرامة سليمان بامؤمن، «الفكر والمجتمع في حضرموت» ص١٥٠ وما بعدها. وقد قدمنا الكلام مفصلاً عن هذه المحاولة للغربلة.

(٢) منهم سالم فرج مفلح، في كتابه «حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، بين الإباضية والمعتزلة، مشروع رؤية» (دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م). الذي حمل فيه حملات شعواء على التاريخ، وقلب الحقائق الثابتة، وقد كتب د. صادق العي تعقيبا على فكرته بعنوان : قراءة في كتاب (حضرموت بين القرنين الرابع و الحادي عشر للهجرة ، العاشر و السابع عشر للميلاد بين الاباضية و المعتزلة).

(٣) علوي بن طاهر الحداد «جنى الشماريخ» ص٤٥ ، وقد تقدم تفصيلها.

(٤) يقول د. محمديسلم عبدالنور في كتابه المطبوع بمناسبة تريم عاصمة الثقافة «الحياة العلمية في تريم في القرن السابع والثامن للهجرة» في الخاتمة في التوصيات ص٤٦٨ :

١٤ – كانت ظاهرة انتشار التصوف في حضرموت خلال مدة الدراسة وسكوت الحكام عنه، يثير أسئلة كثيرة

عن الأجيال القادمة، وقد جرتْ حادثةٌ من حوادثِ (الإحراق) هذه أمامي، وشاهدتها بعيني، وكان ذلك في بلدنا (شبام) ذاتها، وكأن التاريخ يعيد نفسه!

يتابع باذيب ويقول تحت هذا العنوان :

فتح باب الأمل في بحوث موسعة

لقد فتح لنا أستاذنا العلامة الشاطري (ت ١٤٢٢هـ) رحمه الله باباً كبيراً من الأمل في مواصلة البحث والتنقيب عن تراث هذه الطائفة بقوله: (ولكنا مع هذا نفتح باب الأمل في أن يعثر المؤرخ على مصادر لهذا الدور، بالبحث والتنقيب في كل منطقة تاريخية، علاوة على ما يلتقطه من هنا وهناك)[١] .

فكأني بأستاذنا وشيخنا الكبير وهو ينظر بفراسة هاشمية معهودة، يرى بأن الزمن والوقتَ والتقدم المعرفي، وبعث التراث، والتواصل الفكري بين الشعوب، كفيلٌ بأن يبرز إلى النور من خفايا الأمور ما لم يكن معروفاً من قبل.

وإني أزعم أني أبليت جهدي في هذا المضمار، وجمعتُ كل ما وقعت عليه عيني مما له تعلق بهذه الحقبة الزمنية، التي امتدت طوال أربعة قرون أو تزيد، وهي فترة طويلة من عمر الزمن، حسبي أن أكون قد أسهمت في كشف خفاياها، وسبر أغوارها، والمجال كبير لمن أراد التوسع، والله الموفق والمعين.

انتهى كلام د. محمد باذيب

في حاجة للتحليل والدراسة، وربما نضيفه عاملا من عوامل سقوط المجتمع بخموله وانعزاله عن التأثير.

(١) محمد بن أحمد الشاطري «أدوار التاريخ الحضرمي» ص١٢٣

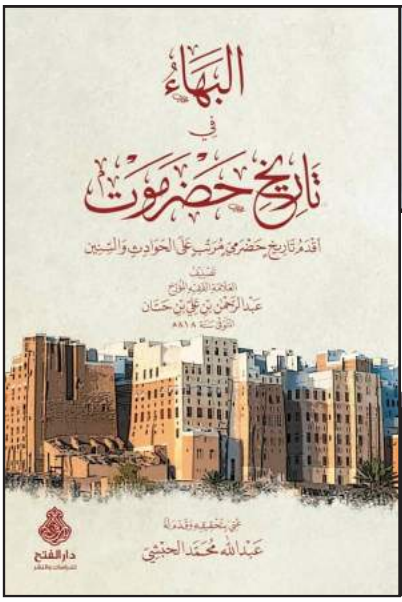
قلتُ: والتفاؤل أمر مستحسن، وهنا يحسنُ إيراد عبارة الباحث أكرم عصبان التي نشرها مشكورا مركز حضرموت للدراسات والأبحاث في صفحة الفيسبوك الخاصة به ـ وأحسن في نشرها – حيث قال: كنا نظن أن أخبار الإباضية بحضرموت في القرن الثالث الهجري وتاليه ـ الرابع والخامس ـ نادرة وقليلة كباقي الوشم في ظاهر اليد، وذلك بعدما حَكَمَ جماعةٌ من المؤرخين بالجهالة عليها وكأنها محجوبة في ظلمة كهف انسَدَّتْ على بابه صخرة عظيمة لا سبيل إلى الوصول إليها، وما أن ظهر كتابا «السيف النقاد» و«مختصر الخصال»ـ كلاهما للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي ـ حتى انفرجت الصخرة قليلاً واطلعنا على بعض الأخبار، ثم ظهرت «المراسلات والسير والجوابات»(١).



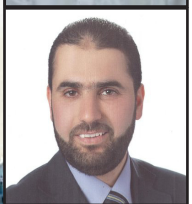




ومن ذلك ما تقدم مما تقوم به دار الفتح بعمان الأردن من إعداد تاريخ ابن حسان الذي كان في حكم المفقود للطباعة بتحقيق البحاثة السيد عبداللاه الحبشي، وكتب على الغلاف «البهاء في تاريخ حضرموت. أقدم تاريخ حضرمي مرتب على الحوادث والسنين»، تصنيف العلامة الفقيه المؤرخ عبدالرحمن بن علي حسان (ت ٨١٨)، عني بتحقيقه وقدم له عبدالله بن محمد الحبشي، وأسجل شكري لصاحب الدار الشيخ إياد الغوج الرفيق القديم على ما تقوم به داره من نشر لعيون التراث الإسلامي. وقد نشر أخيراً مع إعداد هذا البحث ولله الحمد.







---

(١) صدر ديوان «السيف النقاد» بتحقيق د. بدر اليحمدي، وهذه صورته أعلاه مع غلاف الديوان.

تلقائية التحول الفكري والمذهبي لدى الحضارمة

❊ إذا أردنا أن نجمل الطرح السابق في فإنه يفرق بين الشعبي والسياسي، وبناء عليه يتم سلب الحكم بالحضرمية لجهة ما أو إضفاء هذا الحكم عليها،

فالشعبي هو الأشعار والأمثلة القديمة، ومنها سنعرف الحقيقة ويتم كشف تلاعب السادة ،

ومنها سنستقي المصادر الحضرمية الباطنية للمستوى التاريخي الحضرمي الأعمق ،

وأما المذهب الصوفي الحضرمي في المستوى التاريخي السطحي فليس له أي صفة حضرمية شعبية ، ولا يمكن الوثوق به، وبالتالي ليس حضرميا.

بينما يرى آخرون عكس ذلك ، فالإباضية إنما جاءت بعض مناطق حضرموت ضمن إطار سياسي عم المنطقة في المرحلة العباسية ، يقول د. رزق سعد الله الجابري استاذ جغرافية السكان المساعد بجامعة حضرموت، والدكتور علي بن حسين المعيلي، أستاذ التاريخ بنفس الجامعة، في محاضرة (الواقع السياسي في حضرموت بين القرنين الأول والثاني عشر الهجري) في مركز بن عبيدالله ، فبراير ٢٠٠٨ : وبعد قيام الدولة العباسية لم تأخذ حضرموت الحيز المفترض من الاهتمام لبعدها عن مركز الخلافة، وقد أدى ذلك إلى ظهور الإباضية، حتى أرسل لهم أبو جعفر المنصور حملة بقيادة معن بن زائدة، الذي ضم حضرموت لسلطته لفترة بعد أن فتك بالعباد والبلاد، ولم يكن ذلك كافيا لإنهاء الإباضية فعادت من جديد بكل سماتها إلى أن انتهت كليا بدخول الإمام أحمد بن عيسى المهاجر وانتشار المذهب الشافعي في القرن العاشر الميلادي، وقد عمل أبناء وأحفاد الإمام المهاجر على نشر الشافعية بدون أية أحداث أو قوة أو عنف أو التركيز على جماعة بعينها، الأمر الذي أحدث تحولا في تاريخ حضرموت[(١)].

وأريد أن أوضح أكثر فأقول إن هذا الطرح يصر على الاستصحاب المقلوب[(٢)] فيسقط التحريش القبلي الطارف على الماضي التليد ، ثم يعجن بين الاجتماعي والديني، وفي بيان هذا

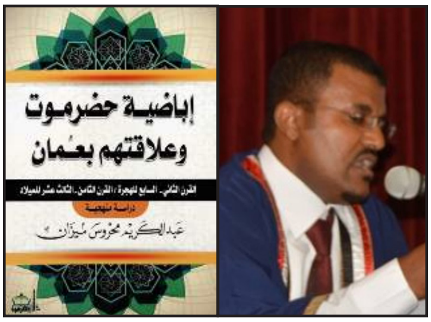
---

(١) مصطفى بن عبدالرحمن العطاس «كتب التراجم والتاريخ الحضرمية بين الفجرات الزمنية وروايات المجهولين» ص٧٩.

(٢) الإمعان في الاستصحاب المقلوب غنوصية.. أن تفرط في التأملات.. تبنيها على افتراضات مسبقة.. تبني عليها أبراجا من المعاني.. ثم تنبش لها المؤيدات نبشاً.. حتى لو أدى ذلك إلى لي أعناق النصوص وتحميلها ما لا تحتمل.. سعارٌ لا يتوقف بقراءة عبارات المؤرخين بعقلية المفتش البوليسي الذي يتناول كل شيء حاوياً أربع عناصر: الجريمة ، الدافع ، المتهم ، الضحية.

وقد وقفتُ على هذه الصورة النمطية من التفكير في عدة مصادر ، كان من أبرزها في كتاب «تريم بين الإباضية والمعتزلة.. مشروع رؤية» للأستاذ سالم فرج مفلح ، ومن ذلك أنه أفرد فصلاً ص ٢٠٤ بعنوان (محنة خلق القرآن تتكرر معكوسة في حضرموت) !

السياق الشعبي السِّلْمي في التحول من الإباضية إلى التصوف فإن من بقي من إباضية الحضارمة تنازلوا عنها طواعية وتبنوا البديل الجديد كما ذكر الباحث عبدالكريم ميزان[١] وأجاد في بحثه «إباضية حضرموت وعلاقتهم بعمان» ، حيث قال ص ٢٤٠-٢٤١ : وخلاصة القول: **إن مذهب الإباضية تلاشى في حضرموت بشكل سلمي تدريجي ، ولا يمكننا الربط بين الصراعات الاجتماعية القبلية ، وبين المذاهب الدينية في حضرموت** ، لأننا لم نقف على مصدر قطعي يؤكد قيام حرب مذهبية وقعت بين أطراف داخلية في حضرموت.



ثم يقول: **إن انتشار المذهب الشافعي في حضرموت وحلوله مكان الإباضية كان على يد الحضارمة أنفسهم الذي كانوا بالأمس إباضية** ، ففي نظرنا إن المذهب السني الذي رافقه ضعف الروابط بين إباضية حضرموت ومراكز الدعوة في البصرة ثم في عمان أدى مع الزمن إلى إخفاء المتناقضات بين الفكرين الإباضي والسني ، فلم يجد الإباضيون في فكر الشافعي وآرائه تناقضا كبيرا مع ما عندهم من مبادئ وأفكار ، فالإباضية وصفوا بأنهم أقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة ، **فلم يكن الأمر عندهم بالانقلاب والردة من منهج إلى منهج آخر مخالف له تماما**.

قف على كلامه في خفوت الفكر الإباضي حتى تركه الحضارمة طواعية ، وقد أشار الباحث ميزان قبلها بصفحة إلى الإهمال الكبير للعلم والفقه عند متأخري إباضية حضرموت كما ذكر أبوإسحاق في «مختصر الخصال» ، وهذا يدلنا على أنه لا توجد كتب أصلاً للدور الماضي قام الصوفية بإخفائها عمدا لأنهم رأوا فيها ما ينافي هواهم ، ولا يوجد فكر قديم تعمد الصوفية إخفاءه ، أو أن علينا أن نحاول بعث قراءته من جديد ، وسواء ظهرت مخطوطاته اليوم أم لا فإن خيار تركه لم يكن ردة من مذهب لآخر ، وإنما كان اختياراً حضرمياً شعبياً سِلْمياً محضاً.. وهذا الذي نحن بصدده.

(١) بعد أن تعمق في بحثه في شتى المصادر العمانية ، وكان الكلام تحت فصل (تلاشي الإباضية ونهايتها.. الأسباب والعوامل) ، ويكاد يكون في نظري أفضل بحثٍ كتب في بابه.

صور اغتيال التراث الحضرمي..

(١) الشيوعية

* يذكرنا كل هذا بما كتبه السيد محمد علوي العيدروس الملقب بسعد والذي سجن أربعة أعوام في سجون عدن الاشتراكية في رسالته التوثيقية : «**النزر اليسير من أعمال الشيوعية الخبيثة**» ، عندما ذكر جملة من أعمالها فقال: الرابع: **أخذهم الكتب من بيوت بعض السادة والمشايخ ومخطوطات ومطبوعات وغيرها وإحراقها وإهمالها**، فقد شاهد بعض المواطنين وهو موثوق به أثر إحراقها بعد ما رأى ورقات لم تصلها النار جهلا منهم بقيمتها الثمينة.



* و يقول الباحث المحقق د. محمد باذيب: جدي لأمي .. المرحوم عوض معروف باذيب (١٣١٤-١٤٠٢) كانت لديه وثائق السلاطين القعطة، ووثائق إصلاح ذات البين في شبام وخارجها، من الحمة والعقاد الى بحيرة والحوطة. جاء أزلام الحزب الاشتراكي سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥ زمن القتل والسحل والتشريد.. فتجمهروا تحت بيته لاعتقاله بحجة أنه من رجال زمن الرجعية والكهنوت.. ولكن قام من بينهم من دافع عنه وصرفهم .. ونتيجة لذلك الرعب: **باتت تنانير الدار ٣ أيام توقد بتلك الوثائق**.

(٢) الفتوى الدينية



* لا يزال حتى اليوم من يدعو لإتلاف الكتب باسم الطائفية، مثل كتاب «**صوفية حضرموت**» لأمين السعدي حيث قال في التوصيات في خاتمة الكتاب: **وأوصي ولاة الأمور في بلدي بإتلاف كتب المتصوفة** وغيرهم من أهل البدع والضلال التي نشروها في بلادنا الغالية لما تحويه تلك المؤلفات من الشركيات والخرافات والبدع.



* وكذلك أطروحة جامعة أم القرى «**جهود علماء السنة في حضرموت في تقرير العقيدة والرد على المخالفين**» للباحث محمد بلعفير ص٩٧ حيث اعتبر أن الاستشهاد التاريخي بحادثة إتلاف ابن قملا للخزائن من جملة الغلو التاريخي لمصادر (الصوفية) ، وهي مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

احتفاء غير الحضارمة بتراث صوفية حضرموت



❊ وفي المقابل نجد مركز الملك فيصل للمخطوطات بالرياض يحتفي بهذه الكتب ويرى أهميتها التاريخية، وينشر كتاب «عقد الجواهر والدرر» للمؤرخ الشلي في مجلدين فاخرين، وقام بالتحقيق محققان سعوديان، مع مقدمات ضافية عن أهمية الكتاب كمصدر تاريخي حضرمي وترجمة ضافية عن المؤلف وموقعه ضمن المورخين الحضارمة في ١٥٠ صفحة، ذيلاها برأيهما المذهبي الخاص في بعض العبارات في فصل من ٧ صفحات.





❊ ونجد الباحث المكي د. بندر الهمزاني يكتب عن «المشرع الروي» ويحلله وفق قواعد النقد التاريخي في كتابه «المنهج التاريخي لمؤرخي مكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري» ص٣٤٦ حيث اعتبر الكتاب (موسوعةً علميةً تاريخيةً للدارس في تاريخ اليمن من حيث تراجم أهلها، ودراسةً حضاريةً لمدنه ووصفها وما بها من مدارس ومساجد وأودية وقبور وشعاب).

مشروع إيجاد منجهية للتعامل مع النص الصوفي الحضرمي

❊ إن بقي شـيء يسـجل للصوفية من السادة والمشـايخ فهي أنهم عمدوا إلى تدوين أدبياتهم وتوثيقها بحسـب ما سمحت لهم أزمانهم، وأما العتـب عليهم بأنهم خلطوها بالكرامات **فنحن نسـجل اعترافنا بأن ثقافة المبالغة في سـرد الكرامات غلو وظاهرة سـلبية لم تساهم في النهضة الحضرميـة إطلاقـا ، بـل أضرت بها** ، ونحملها على المحمل الحسـن وهو أنهـا ثقافة زمانهم ، ومما كُتب في هذا الموضوع ثلاث نماذج نذكرها هنا :





❊ يقـول الباحـث فائـز محمد أحمـد باعباد في قـراءة للخوارق في مصـادر الـتراث الحضرمـي في كتابه «شـيخ آل باعباد الأكبر عبـدالله بن محمد بن أبي عباد (المشـهور بالقديـم) وأثره العلمي والدعـوي والاجتماعي»: هناك شـواهد وأدلـة ستأتي في سياق هذه الدراسة من علمه وآثاره مما لا يدل على تأثر الشيخ القديم باعبـاد بالتصوف الفلسـفي الموغل في التطرف ، حتى كرامات الشـيخ التـي لا تخلو من تجاوزات تبدو يسـيرة لـو قوبلت بغيرها. وقد تكون بعض هذه الكرامات أيضا نسـبت لـه في أزمنة لاحقة انسياقا وراء موجة الكرامات ممن ظن أن نسبتها للشيخ تزيد من مكانته وفضله.

وغالب كرامات الشيخ التي ذكرت في الكتاب المخطوط «المنهج القويم في مناقب الشيخ القديم» للشـيخ محمـد بـن أبي بكر باعباد هي مـن قبيل الدعـاء الذي يسـتجاب أو فراسـة أو نصيحة يثبت صدقها وما يشبه ذلك كما سنرى، وفوق ذلك لا نبرئ ناسخ هذا المخطوط من المتأخرين من احتمال أن يكونوا دسوا فيه بعض الكرامات الإضافية في زخم التنافس بين الأولياء الحضارمة عبر السنين. وكي لا نظهر بأننا ندافع عن الشيخ القديم بالباطل في هذه الدراسة العلمية نورد بعض كرامات الشـيخ القديـم من أول كتاب المنهـج القويم كي ننفي عن أنفسـنا تهمة الانتقـاء ، ومنها كرامات أشـبه بالقصص والفضائل حتى إن الشـيخ محمد بن أبي بكر لما قدم لها ذكر إنها من كرامات الشيخ وفضائله لكننا لا نرى أنها تشبه الكرامات فليس في كثير منها أي وجه من وجوه خرق العادة.

ثم أخذ يتناول بعض الكرامات مطبقا لهذا النهج الخالي من خطاب الكراهية.

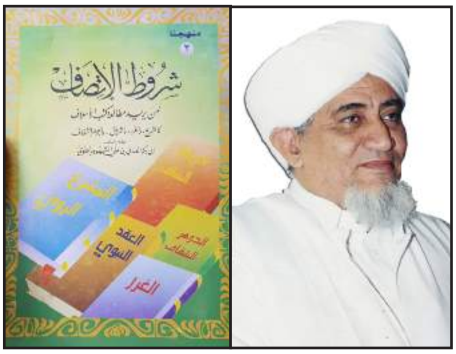




❊ للصوفيـة مصطلحاتهم ، ومـن أراد المرور على نتف منهـا فعليه بكتـاب «على طريق طرائق الشـيخ عبدالرحيم بن سـعيد باوزير» الولي المشـهور بالمكلا ، المتوفى عام ٨٢٧ ، ومطالعـة طرائقـه وكيف تناولهـا المؤلف القاضي بحضرمـوت سابقـاً الشـيخ عبدالرحمن بن عبداللـه بُكِير

عند دراسته لآثار صاحب المكلا بالشـرح والتوضيح ، ومن ذلك الإشارة إلى مشارب الصوفية وطرائقهـم ، الفلسـفة الوجدانية في طيـات الطرائق ، مقامـات المقربين ، آثار البسـط والقبض والفرق في العبد عند المترجم له، أسرار بعض العبادات ، علم الأنبياء وعلم الأولياء والإلهام ، معاني الصوفي لبعض أسرار القرآن ، وختمها بدراسة نصية عن بعض أدعية الشيخ عبدالرحيم في خواتيم طرائقه.

❋ ويقول المؤرخ د. أبو بكر العدني ابن علي المشـهور في رسالته «**شروط الاتصاف للقارئ في كتـب الأسـلاف كالمشـرع والتريـاق والعقـد النبـوي والجوهر الشفاف**» راصداً ظاهرة الغلو والإفراط ص٥٤ :



وجوب العلـم بأن غالـب الكرامات والحكايـات المثبتة في غالب كتب التراجم منقولة بلفظ الرواة وتصرفهم ليست مثبتة بلفظ الولي ذاته، وهذا من أسباب الإفراط في الوصف وحصول الزيادات التي تصرف الحكايات عن حقائقها، وقد تابعنـا هـذه الظاهرة في بعض كتب التراجـم فترجح لنا أن كثيراً من الكتاب يفْرِطون في مسـألة حسن الظن ، وكذلك في إبراز مقام الشيوخ أمام الأشباه والأنداد فيزيدون وينقصون، ويعظّمون ويهوّلون، وليس أدل على ما ذكرنا ما اعترف به مؤلف «**الجوهر الشـفاف**» وهو من أهم مراجع تراجـم العلوييـن بحضرموت، **فأنصـتْ وتدبرْ لما يقوله هذا المؤلف فـي أول الكتاب «الجوهر الشـفاف» ١ / ٨ مخطوط: (وقد أغير بناء بعض الحكايات ثم أنظر إلى معنى الحكاية وصورتها ، ثم أثبتها على رسـمها بما حسـن من البناء ، وأتكلم فيها على لسـان الحال ، ولا أعبأ فيما سبق بزايد اللفظ، وناقصه، وسـابقه، ولاحقه، وأبدل في بعضها بعض الألفاظ، وحذفت الإسـناد من الطبقات الثلاث الأول)**.

وفي هذا البسـط من مؤلَّف: «**الجوهر الشفاف**» غنية كافية للعلم بما قررناه من زيادات النَّقَلة والكَتَبَة وصَرْفِ النص بما يضيفونه من الفهم عن حقيقة حال المتكلَّم به..

قلـتُ: قـف على بيانه أن نسـبة الطامات والشـطحات للأولياء في المصـادر الحضرمية تأتي غالباً من نقل التلاميذ والمريدين وسوء تفسـيرهم للأقوال ، وكما أن احترامنا لكتب الأجداد لا يقتضي التقديس ، فإن اعترافنا بالأخطاء فيها لا يقتضي أن ننشر اليوم خطاب الكراهية .

❋ بقيـت هناك عوامل أخرى لم نتعرض لها كعامل **التشـويه** ، وهو مـا يقوم به البعض من إعادة لنـشر الـتراث مملوءاً بالأخطاء / مشـحوناً بالإقحامـات المذهبية والإسقاطـات التي لا علاقة لها بالنـص ، بسـبب الضعف في المنهج العلمـي والبحثي ، ومن ذلك ما قام به الشـاعر عمر بن أحمد صبيـح التريمـي من تحقيق لرسالة « **الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة** » للمؤرخ المقريـزي ، حيـث أقحم فيها عناوين مذهبية على نص سردي أدبي معتمد على ما سمعه من الناس

بلا توثيق. وبالإمكان الرجوع لتحقيق ذات الرسالة للباحث طارق سكلوع العمودي فقد اعتنى بالنص كما ينبغي دون إقحامات .

ومن ذلك ما قام به الباحث أكرم عصبان في تحقيق مخطوط « **تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة وأدوات الطلاق** » للفقيه علي بن أحمد بامروان (ت٦٢٤) ؛ قبل أعوام، ضم معها رسالة بعنوان « **جهود الإمام القلعي العلمية** »، احتوتْ عناوين مقحمة دون علامتي [المعقوفين] ، وبعض الأخطاء العلمية منها تحرير اسم الرسالة ذاتها حيث كتب في الغلاف (تحرير الأيدي والعقود والطلاق) ، والعنوان الصحيح هو ما سبق أعلاه، مع جملة من أخطاء العناية النصية وتصحيح المتن .









ثم نشر أخونا الباحث د.محمد باذيب تحقيقا لذات الرسالة، نشرتها دار أروقة للدراسات والنشر، ١٤٣٩ ، بَيَّنَ فيها ١٠٠ خطأ وقع فيها الباحث أكرم عصبان في نشره السابق للكتاب، عبر جدول طويل في ٢٥ صفحة ، تدل على قصور في مجال تحقيق النصوص.

الملاحق

- المرحلة القادمة من ضياع التراث الحضرمي (الهاردسكات)
- إنقاذ الهاردسكات.. من وحي كلام المؤرخ علوي بن طاهر الحداد
- ملخص ورقة الباحث عوض حمدين ثم تعقيب د. محمد باذيب
- مقالة المدرسة السلفية في تريم من الموسوعة اليافعية ثم تعقيب د. محمد باذيب

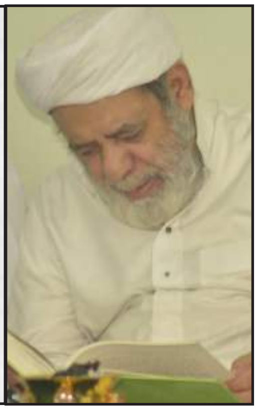
المرحلة القادمة من ضياع التراث الحضرمي (الهاردسكات)

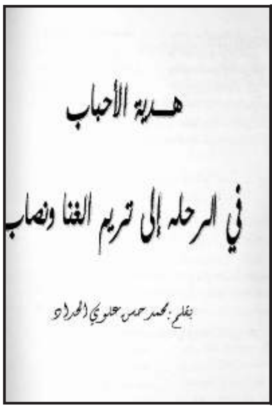
أريد أن أتوقف هنا قليلا فأتكلم عن غرورنا اليوم وشدة جهلنا بأن أعجبتنا دنيانا والتكنولوجيا التي نعيشها، فقد بدأ العالم اليوم في التفكير في خطر زوالها جميعاً بسبب التغيرات التقنية المتلاحقة، وظهور البرامج التي لا تدعم ملفاتنا القديمة، وما كان بالأمس سيدي CD صار DVD ديفيدي ، ثم تحول إلى ذاكرة فلاش USB ثم هاردسك ، **وجل الباحثين الذين نعرفهم يضعون كل جهد سني عمرهم في هذا القرص الصلب (الهاردسك) ، ولا يدرون أن عمر صلاحيته ٤ سنوات ثم يتعطل فتضيع كل بياناتهم معه حين لا ينفع الندم!**





فما هو بأيدينا اليوم سيصبح للجيل القادم يوما ما تراثاً وذاكرةً، ومن أجمل ما سطرته الأنامل في الفرحة بالأرشيف الضائع بسبب هذه الأجهزة ما دونه أستاذنا الأديب السيد محمد بن حسن بن علوي الحداد نزيل جدة في رحلته «هدية الأحباب في الرحلة إلى تريم الغناء ونصاب» ص١٥٨:





والقصيدتان السابقتان مع قصائد الأخرى أتحفني بهن الأخ علوي بن حسن الحداد وكنت أخصه بنسخ من بعض قصائدي، وعندما احترقت ذاكرة الكمبيوتر (الهاردسك) ضاعت كل المخزونات ، ومنها عدد من القصائد ليس بقليل ، فكانت فرحتي بهذه القصائد التي أتحفني بها (الأخ علوي) فرحاً عظيماً، لقيتها كما يلقى الحبيبُ حبيبَه بعد غياب طويل ، وقلتُ اعترافاً بالجميل وتعبيراً عن شكري الجزيل هذه الرباعية :

عادتْ إلينا بعد نأيٍ رهيبْ ... تميس في ثوب الشباب القشيبْ

سُرَّ بها قلبي تلقيتُها ... كمثلما يلقى الحبيبُ الحبيبْ

بعد النَّوى ما أجملَ الملتقى ... في روضةِ الأحباب وقتي يطيبْ

شكراً أخي أسألُ مولايَ أنْ ... تحظى من الخير بأوفى نصيبْ

أما عن الهاردسك وما جناه على قصائدي فقلتُ:

مـا هكـذا يـا هـاردِسْ	ألغيـتَ انتاجـي بـX
وتركتَنـي فـي حيـرةٍ	أمشـي كأنـي لا أحـسْ
ما قد جمعتُ خلال أعـ	ـوامٍ بثانيـةٍ طُمِـسْ
أيـن القصائـد والفـوا	ئدُ ليتَها سطعتْ بطِرسْ
أيـن الرسائـل والمسـا	ئـلُ مـن بريـدٍ أو تِلِكسْ
أيـن التآليـفُ التـي	قد نُوّعتْ من كل جنسْ
مـن رحلـةٍ أو زهـرةٍ	فاحتْ.. على هذا فقِسْ
كانـت لقلبـيَ مُتعـةً	أسلـو بهـا إنْ أبتئـسْ
أخلـو إليهـا مغرَمـاً	كخلوٍّ ذي عُرسٍ بعِرسْ
آهٍ وآهٍ فالمُهنـ	ـدسُ من تلافيهـا يئسْ
لاهُـمَّ أنـتَ المرتجىٰ	يـا مـن بـه قلبـي أنِـسْ
أَلْهِـمْ فـؤاديَ يستعيـ	ـد من الفوائد ما طُمسْ
وأعِـذْهُ مِـنْ هَـمٍّ ومِـنْ	غَـمٍّ ووَسـواسٍ نجـسْ
أصلـحْ لنـا أحوالَنـا	من نـورِ هديـك نقتبسْ
ربِّ اكسِـنا حُلَـلَ العـوا	في والتُّقى هي خيرُ لبس
وصـلاةُ مولانـا علـى	خيرِ الورى جـنٍّ وإنسْ
والآلِ والأصحابِ وال	أتبـاعِ مـا نبـتٌ غـرسْ

هذا ما مضى من مراحل تكنولوجية ،

وأما الآن فقد وضع كافة البشر بل كافة الحكومات إيمانهم في السحابة (الكلاود)، فلا أثر ولا عين ، وكل شي في النت .

وقد قال نائب رئيس شركة جوجل سيرف للصحفيين على هامش منتدى حوكمة الإنترنت في جنيف:يقول الناس: ماذا أفعل بصوري الفوتوغرافية؟ وأجيب: تلك التي تهتم بها بحق.. تخير منها بعض الصور الفوتوغرافية الجيدة واطبعها لأننا نعرف أنها تبقى ١٥٠ عاما على الأقل.

وسيرف نائب رئيس شـركة جوجل وشـارك في تصميم بروتوكول TCP/IP الذي يربط كل أجهـزة العالـم عبر الإنترنـت. وقال سيرف: إذا أردنا أن نخبر أحفادنا شـيئا عـن عالمنا علينا أن

نتأكد من أن المعلومات لا تزال قابلة للاسترجاع أو مفهومة[1].

(١) (منتدى حوكمة الانترنت) ٢٢ ديسمبر ٢٠١٧ ، قلت: وقد اتخذت المكتبة البريطانية خطوات لإصلاح ما يُشار إليه باسم (الثقب الأسود الرقمي) الذي يُهدد بفقدان المعلومات بمجرد حذفها من صفحات النت أو إغلاق موقع بأكمله .وتعمل المكتبة منذ عام ٢٠٠٤ على أرشفة المواقع لحفظها للأجيال المُقبلة، على غرار تسجيل الأدب المطبوع.

وحظيت هذه المجهودات بدفعة من المساعدة في عام ٢٠١٣ مع سريان قوانين للإيداع القانوني للمواد غير المطبوعة في المملكة المتحدة، الأمر الذي سمح للمكتبة البريطانية وخمس مكتبات أخرى، منها مكتبات جامعات أوكسفورد وكامبريدج وترينتي كوليدج، بأرشفة مختلف المواد المنشورة رقمياً.

ولا يُجازف البشر بفقدان الصور والنصوص وحدها، بل بضياع التسجيلات الصوتية أيضاً، نظراً إلى حفظ التسجيلات كبصمة مغناطيسية على شرائط رقيقة من أكسيد المعادن، وفي حال انفصلت هذه الطبقة الضعيفة تُفقد المواد من دون رجعة.

ويُعد أرشيف التسجيلات الصوتية في المكتبة البريطانيةمن بين أكبر المستودعات من نوعه في العالم، ويُقدر المختصون تعرض نحو مليوني تسجيل لخطر الضياع للأبد .وتوجد التسجيلات التاريخية في وسائط متنوعة منها الشرائط ذات البكرات الكبيرة وشرائط الكاسيت والأسطوانات الشمعية، وجميعها معرضة ليس فقط لخطر تدهور حالتها، وإنما أيضاً للتقادم واختفاء التقنية اللازمة لتشغيلها .وإذا ما عجز المختصون بالأرشفة عن معالجة هذه المسألة، فقد تنتهي محاولة نسخ تسجيل بتدميره تماماً .وعلاوة على صعوبة الحفاظ على التسجيلات القديمة، يبرز تحدٍّ آخر في اختيار الصيغة الأمثل لحفظ التسجيلات لمئات السنوات المُقبلة، وهو ما يعتمد على التوقعات بشأن أي التقنيات يُرجح توافرها في المستقبل .وفي حين تسمح الأقراص الصلبة للحواسيب بتخزين كميات ضخمة من المعلومات الرقمية، لكنها قد تُفقد جميعها إذا ما واجهت مشكلة أو جرى محو محتواها. وسبق أن واجهت وكالة ناسا للفضاء مشكلات كبيرة في مساعيها لاستعادة معلومات قديمة جمعتها مركباتها الفضائية، بسبب الصيغة القديمة التي حُفظت بها الصور والبيانات.

ولا ترجع أهمية السجلات الصوتية إلى حفظها للموسيقى والأغاني فقط، بل الأهم احتفاظها بالخطب المهمة والتاريخ الشفهي واللهجات النادرة .ويطرح ذلك تساؤلات حول معايير اختيار التراث الثقافي الجدير بالحفظ.

قلت: وإذا كان هذا حال هذه المؤسسات العملاقة فما هو حالنا نحن في حضرموت؟! والعاقل من اتعظ بغيره.

إنقاذ الهاردسكات.. من وحي كلام المؤرخ علوي بن طاهر الحداد

أوصي كل باحث بنشر كتابه مبدفا PDF مع طباعته ورقيا ، ، أو إرسال الملف المبدف إلى من يثق به من الباحثين أو أهل الفضل ، سواء قام بتبديفه من الوورد أو بماسحة ضوئية (سكانر) ، أو بتصويره بالجوال حيث هو أيسر الطرق ،

هذا لمن كان كتابه بيده..

وأما من ارتبط بناشر أو حقوق أدبية فعليه المبادرة بمسحه ضوئيا أو طلب ملفه من المطبعة قبل فوات الأوان ، ثم بعد مضي برهة تنفد فيها غالب نسخه يرفعه مبدفا، فكم من مطبعة أغلقت ، وكم من ناشر انقطع التواصل معه.



(ففي التبديف إثراء للأرشيف)

يقول المؤرخ علوي بن طاهر الحداد رحمه الله في كتابه «**الشامل**»[1] حين اختتم ذكره لتلك الأمثلة المأساوية لأوضاع الكتب والمكتبات الخاصة في حضرموت، بنصيحة عامة حيث قال:

«**وإنما تفقدُ المؤلفات إذا استولى عليها أحدُ البخلاء بها، وهو غير متأهلٍ لحفظها، ولا نسْخِها، فإذا ماتَ أهملها خلَفُه، وتركوها للأرضَة**».

وقال: «وبالجملة؛ فالحرب الضروسُ قائمةٌ بين الكتب والأرضَة، يعاون هذه الجاهلون من الناس، والغافلون والباخلون بالكتُب، **ولولا أن الله أظهَر صناعة الطبع في هذه الزمان، لذهبت البقية الباقية من كتب الإسلام طعاماً لها**.

ولا سبيلَ إلى حفظ الكتبَ المهمّة، إلا تكثير نُسَخها، وتفريقها في خزائن متعددةٍ، فإذا تلفتْ نسخة وُجدَتْ أخرى، وينبغي لكل من كان لدَيه كتبٌ ألفَها أسلافُه، أن لا يبخلَ بها ويسجنها في بيته، فإن ذلك سبيلٌ إلى تلفها. **بل يبادر إلى نشرها**، بتكثير نُسَخها، **وتسييرها في الآفاقِ، إلى أهل العلم، وبذلها لمن أراد نَسْخَها**، فذلك هو السببُ الوثيق لبقائها، بإذن الله.

ومازلت أعجبُ من بعض الناس، الذين يكتمون مؤلفات سلفهِم عن الناس، مع أنها فخرٌ لهم في الدنيا، وأجر لهم في الآخرة، إذا انتفع بها الناس، ومَا كُتم فقد عُدِم، والكتْمُ أخو العُدْم. وكان شيخنا يقول: إن العلماء السابقينَ كانوا ينشرون كتبهم **بإرسالها إلى الآفاق، وإهدائها للراغبين فيها**، أو كما قال» .

قلتُ: **وإرسالها للآفاق هو هو التبديف لا غير ، وتحويل الكتب إلى PDF** ، وهو قد مدح المطابع في وقته رحمه الله حينما ظهرت ، وهي مرحلة النشر الورقي تلك الأيام ، ونحن اليوم في **مرحلة النشر الإلكتروني** ، وتراثنا هذا اليوم مسؤولية علينا معاشر الحضارمة ، نسأل الله العون عليها.

---

(١) مقدمة التحقيق ص١٢٢ في خاتمة الكلام عن مآسي المكتبات.

ملخص ورقة الباحث عوض حمدين
ثم تعقيب د. محمد باذيب

- صفحة الفيسبوك : تراث وتاريخ حضرموت ، ملخص للباحث عوض حمدين بعنوان «**حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي** » قدم ورقته للمؤتمر العلمي الثالث للتاريخ والمؤرخين الحضارم في ق١١ - ١٢ الذي دعا له (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)
https://www.facebook.com/255490814484213/posts/2416827588350514/

حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي

المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه جني الشماريخ حيث قال : (وكان شيخنا رحمه الله يقول إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف لما رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها .)



تناول الكثير من الباحثين والكتاب في حضرموت في العصر الراهن عن أزمة فقدان مصادر التاريخ الحضرمي لأسباب متعددة ، وهذا الكتاب الذي تناوله أحد الباحثين مؤخراً [الأستاذ عوض حمدين] بورقة بحثية جديرة بالاهتمام في مؤتمر علمي "عن المؤرخين والتاريخ الحضرمي في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري "،اقيم في ديسمبر من العام الماضي ٢٠١٨م في مدينة المكلا نظمته إحدى دور النشر للدراسات التاريخية والتوثيق في حضرموت .

الكتاب نشر في المملكة العربية السعودية طبعة الكتاب: دار القبلة للثقافة الإسلامية المملكة العربية السعودية جدة .اسم الكتاب (المجموع لمهمات المسائل من الفروع)جمع العلامة طه بن عمر بن طه بن عمر الصافي السقاف العلوي المولود١٠١٠ه والمتوفى عام١٠٦٣هـ [أنظر التلخيص الشافي ص ٢٣]

قدم للكتاب :عبدالله بن محمد بن علي الحبشي١٤٠٢هـ .عدد صفحات الكتاب ٧٦٦ صفحة غير شاملة لصفحات الغلاف.

إن أخطر وأهم ما في هذا الكتاب أن مؤلفه " طه بن عمر الصافي السقاف) وهو تلميذ "الشيخ الفقيه والمؤرخ أحمد محمد مؤذن باجمال عاش مابين[٩٠٥ ــ ١٠٠٧ هـ]" قال الباحث :(أن أغلب ما في الكتاب هو من كلام هذا الشيخ العالم الفقيه " أحمد محمد مؤذن باجمال " وبالرغم من هذا فلا توجد له ترجمة) وأظهر في ما يعده الباحث وثيقة تاريخية هامة أسماء عدد كبير من فقهاء وعلماء حضرموت لهم فتاوي في الفروع من المذهب الشافعي اختفت مؤلفاتهم جملة وتفصيلاً في ظروف غامضة لا يعلمها إلا الل وقال أيضا (أن هذا لكارثة عظيمة ...) ، وهي بمثابة جزء مهم من مصادر التاريخ الحضرمي المفقود الذي كثيراً ما تحدث عنه جملة من الباحثين الحضارمة في الماضي والحاضر؛ كشف المؤلف عنهم النقاب حيث عاش المؤلف في القرن الحادي عشر الهجري وهم قد سبقوه بقرون مضت من تاريخ حضرموت وهو غاية مايتم البحث عن مؤلفاتهم ورجال العلم ووقائع وأحداث حدثت في التاريخ الحضرمي بعد صدر الإسلام تكسوها الضبابية والجهل بها ولا توجد مصادر معاصرة لهذه الفترة التاريخية .

سواء أن ما كتب هو مجرد استنتاجات ومن كلام مؤرخين متأخرين ليست بأيديهم مصادر معاصرة لهذه القرون .وما قام به المؤلف السقاف وأخوانه ذكرهم الباحث من جهد مشكور كان بجمع كلام شيخه العلامة أحمد بن محمد مؤذن باجمال رحمه الله وهو من أخص تلاميذه إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من فتاوى وفائدة لأحمد مؤذن باجمال ومع هذا لا توجد له ترجمة في الكتاب .

في حين ترجم السيد الشّلي صاحب كتاب المناقب " المشرع الروي ...) لطه بن عمر السقاف المؤلف أو الجامع للفتاوى (وهو معاصر له) ولم يشر إلى مؤلفاته وإنما وصفه بالقاضي وذكر شيوخه وعدّ منهم أحمد بن عبدالله بن سراج باجمال والفقيه أحمد بن محمد مؤذن باجمال الشهير بالصبحي ، نسبة لقرية ذي اصبح من خلع راشد بحضرموت .

وقال الباحث بعد أن ذكر أن الكتاب يعد وثيقة تاريخية من وثائق القرن الحادي عشر الهجري قال أيضا :(...غير أن غالب ما في المجموع مجموع كلام العلامة الفقيه أحمد محمد مؤذن باجمال شيخ القاضي طه بن عمر وله معه مشاركات في بعض الفتاوى ، نعم قد يكون لطه بن عمر رحمه الله جهد مشكور في الاهتمام بجمع كلام شيخه العلامة أحمد بن محمد مؤذن باجمال رحمه الله وهو من أخص تلاميذه إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من فتاوى وفائدة لأحمد مؤذن وهذا الجمع عادة حميدة لدى طلاب العلم مع شيوخهم منذ القدم ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله ولو فسح الله له في العمر وعاش إلى طباعة هذا المجموع لأطلق على هذا المجموع (فتاوى مؤذن باجمال) فليس له في هذا الجامع إلا الحفظ...)

أما العلماء الحضارمة الذين ورد ذكرهم و نقل عنهم في المجموع هم:

أبوبكر بن محمد بافقيه باعلوي

أبوبكر بن أحمد السبتي

أحمد محمد مؤذن باجمال الاصبحي

أحمد بن حسين بن عبدالرحمن علوي التريمي قاضي تريم

أحمد محمد بافضل العدني

أحمد بن محمد سراج

أحمد بن الحسين بلفقيه

أحمد بن عبدالرحمن سراج باجمال

أحمد بن عبدالرحيم العمودي

أحمد بن سعد الشحري

أحمد بن ابي بكر باحفص

أحمد بن عمر عيديد حاكم تريم

أحمد بن عبدالله بن عمر باشراحيل الغريب

أحمد بن علي بابحير

إسماعيل بن محمد بن عمر الحباني

زين بن عبدالرحمن الكندي

عبدالله بن أحمد بازرعة الدوعني

عبدالوهاب بن عمر بن عبدالله بن سمير

عبدالرحمن باحاتم

عبدالله بن عبدالقادر باحاج

عبدالله بن عبدالرحمن سراج باجمال

عبدالله بن عمر باجمال

عبدالقادر بن أحمد الحباني

علي بن عمر باعقبة

عثمان بن محمد العمودي

عبدالرحمن بن شعيب

سالم بن عبدالله باحميد

سالم بن عبدالرحمن باصهي

عمر بن عبدالله الشبامي

محمد بن أحمد باحميش

محمد بن أبي بكر عباد

محمد بن عمر بحرق

عبدالله بن أحمد بامزروع

عبدالرحمن بن أحمد حنبل بارجاء

عبدالله بن أحمد بامخرمة

عبدالله بن عمر بامخرمة

عبدالرحمن بن علي بن حسان

عبدالله بن أبي بكر الخطيب

عبدالله بن عثمان العمودي

عبدالله بن عبسين

عمر بن محمد جبيزان

علي بن علي بايزيد

عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل

محمد بن سليمان باحويرث

عبدالرحمن بن محمد العيدروس

محمد بن سعد باشكيل

محمد بن عمر قضام

محمد بن علي القلعي

محمد بن عمر معلم

وآخرون ليسوا بشهرة هؤلاء.

أما الكتب والمصادر الحضرمية التي ورد ذكرها في المجموع ونقل عنها :

١- السمط الحاوي لعبدالله أحمد بامزروع

٢- حسن النجوى للعلامة عبدالرحمن بن عمر العمودي

٣- - مختصر شرح الوسيط للعلامة أبي بكر بن أحمد السبتي

٤-قوارع القلوب للعلامة عمر بن عبدالله الشبامي

٥- فتاوى باشكيل الصغرى والكبرى للإمام محمد بن سعد باشكيل

٦- مختصر فتاوى المزجد للعلامة أحمد بن عبدالرحمن سراج نقل منها الجامع مسائل ملخصة

٧- فتاوى باصهي للعلامة سالم بن عبدالرحمن باصهي

٨- فتاوى بن عبسين

٩- فتاوى بن حسان للإمام عبدالرحمن بن علي بن حسان

١٠- فتاوى علي بايزيد الدوعنية والشحرية

١١- شرح تراجم البخاري للإمام محمد بن أحمد بافضل

١٢- الروضة الأنيقة والتحفة الحقيقة للإمام عبدالوهاب بن عمر بن عبدالله بن سمير

١٣- نشر الرضاء في أحاديث المصطفى عبدالله عمر باجمال

١٤-نظام الدرر حاشية على الإرشاد للعلامة علي بن علي بايزيد في ٣ مجلدات أو مجلدين كبيرين قال الجامع وعندي الجزء الأول منه

١٥- تحفة الحدائق والأحداق للعلامة عبدالله بن عمر بامخرمة

١٦- تاريخ باشراحيل

١٧- نبذة في الدرج والدقائق للشيخ محمد بن محمد بن عبدالرحمن الخطاب

١٨- شرح الوسيط للإمام محمد بن سعد باشكيل

١٩ -ذيل طبقات الأسنوي للعلامة عبدالله بن عمر بامخرمة ،

٢٠ -مطالع الأنوار في بروج الجمال ببيان الشجرة والمناقب لآل باجمال لأحمد مؤذن باجمال

نهاية التحقيق في الخبر المقترن بالتصديق للعلامة أحمد محمد مؤذن باجمال

٢١ - مختصر الأنوار للإمام محمد بن أحمد بافضل .

إنها لكارثة بحق أن نرى كل هذه الأسماء وتلك المؤلفات عبارة عن مجرد ذكر في كتب و ليس لها أثر في الواقع الملموس.

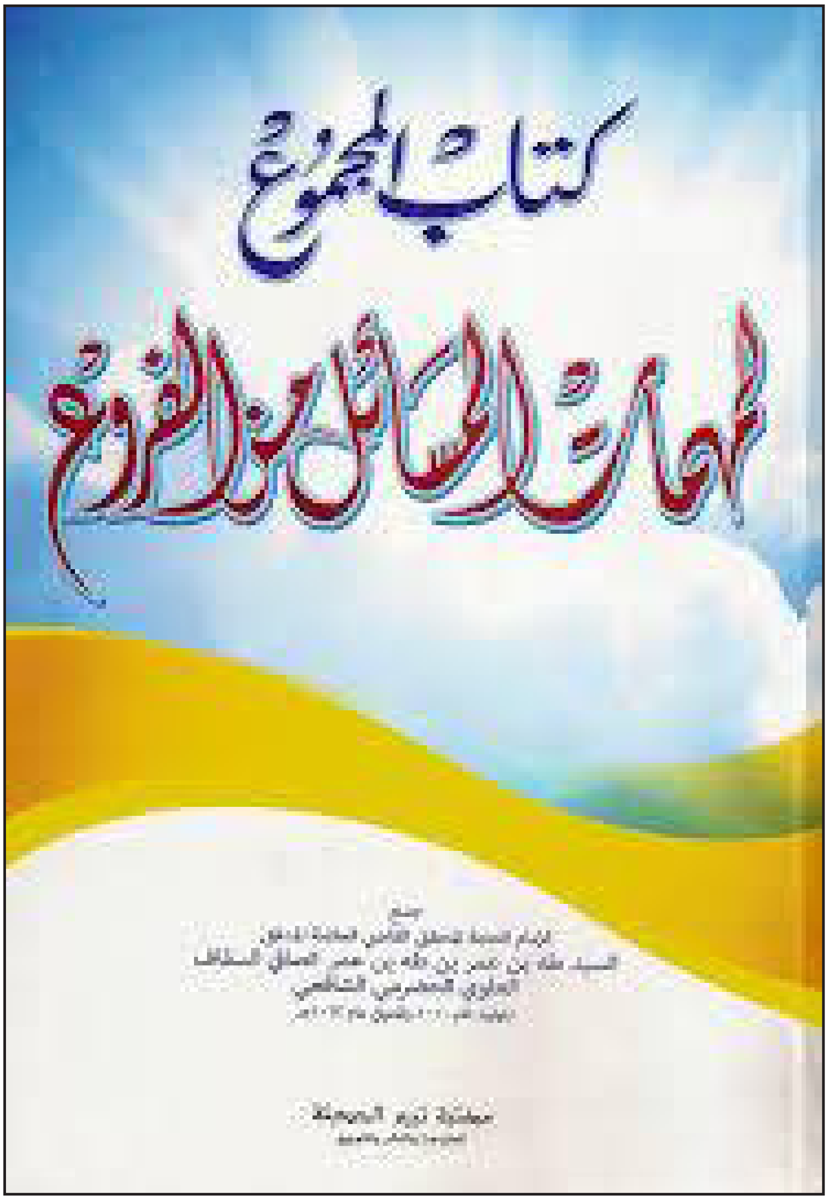
ثم قال الباحث في نهاية ورقته البحثية :

ضياع المصادر:

نقل الجامع في المجموع عن أكابر العلماء من أمثال الإمام القلعي، وابن حسان ، وباشكيل ، وابن عبسين ، والسبتي ، وبافضل ، وباشراحيل ، وبامخرمة ، ومؤذن باجمال ، وبن سمير، وبامزروع ، وباحميش ، وبازرعة ، وبحرق ، وحنبل بارجاء ، وباقشير هؤلاء أشهر وهناك آخرون ليسوا بشهرة هؤلاء وذكرت لأكثرهم كتب في ثنايا المجموع بل أحال على بعضها وهناك أعداد كبيرة غير هؤلاء من العلماء على مر العصور فيصف البشاري في كتابه " احسن التقاسيم ص ٨٧ ويقول : ((بأن أهل حضرموت لهم في العلم رغبة)) ويقول باحنان في جواهر تاريخ الأحقاف / ٣٣١ ((إن حضرموت كانت زاخرة بفطاحل العلماء من الفقهاء والمحدثين والأدباء ،)) فأهل حضرموت أهل ثقافة وحضارة منذ كان التاريخ وهذه الصفة جعلت الوافدين

إليهـا يرغبـون في المكوث بها رغم ضنك معيشـتها فقد ذكر الشـلي حلـول العلويين وقال: ((إنهم وجدوا بتريم من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهوم والألباب ماشـغلهم عن الأهل والوطن.))[أنظر المشرع الروي للشلي ١/ ١٢٨]

ثم يأتي المقدم للمجموع عبدالله الحبشي ليقول إن المجموع انفرد بذكر فقهاء لا نعرفهم إلا منـه وبكتـب نـادرة لبعضهـم لعل أكثرهـا فقدت منذ عصـر المؤلف أي في القرن الحادي عشر وكلامه هذا لا يقبل لدى المهتمين بالبحث والتنقيـب لأن فـي عصـر المؤلف المصـادر كانـت موجـودة لـدى الجميـع ومتداولـة ـــــ وإلا فمـا فائـدة ذكرها والإحالة عليها إذا لم تكـن متداولـة بدليـل إن المحبـي وهو شـامي من خارج حضرموت المتوفـى ١١١١هـــ فـي خلاصة الأثـر ينقـل عـن كتـاب (مطالـع الأنـوار) لمـؤذن باجمـال . وقـد يعـذر الحبشـي ذلـك أنه أتـى في وقت متأخر جدا عن عصر الجامع وكانـت هذه الكتـب ومؤلفوها قد أخفيت.



والناظر في هذا الأمر أمام خيارين لا ثالث لهما فإما أن يكون هؤلاء العلماء وتلك المصادر والمؤلفات التي ذكرت في المجموع غير حقيقية زعمها من كتب المجموع فلماذا أتى بها ؟ وما الغرض والدافع من ذكرها؟

وإمـا أن تكـون حقيقيـة ولكن تعمـد إخفاؤها وهـذا هو الرأي الـذي نميل إليـه[والكلام كله لصاحـب الورقـة البحثية] وهو الراجـح من وجهة نظرنا وكما تؤكده النقـولات الكثيرة منها ما قاله المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه جني الشـماريخ حيث قال : (وكان شـيخنا رحمه الله يقول إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف لما رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها).

وكأنـه يعنـي كل كلمة قالها وهذا معنـاه أن الأخلاف رأوا ما ينكرونه وأخفوا وطمسـوا وأفنوا

وهنا لازال السؤال مطروحا فمن هم الأخلاف الذين أضاعوا تواريخ حضرموت وآثار علمائها في التاريخ والأنساب والفقه وعلوم العربية وغيرها من المجالات الحضارية والعلمية؟!!.

ماهي الكتب التي كتب لها البقاء من تاريخ حضرموت :

والغريب أن كتب المناقب من أكثر المصادر وجودا وبقاء في حضرموت ولم يبق لنا من مصادر تاريخ حضرموت إلا هذه الكتب المناقبية والتي منها المشرع الروي ، والجوهر الشفاف ، والغرر، والعقد النبوي ، والنور السافر، وتذكير الناس ، وصلة الاهل ، والبركة والخير في مناقب آل باقشير ، وكنوز السعادة ، وتنوير الاغلاس ، وعقود الالماس ، والبنان المشير ، ومن أمثالها كثير فلدينا قائمة طويلة وعريضة لسنا بصدد سردها في هذا المقا وسؤالي عن كتب هؤلاء العلماء الضائعة الفقهية والتاريخية المحال عليها في المجموع؟

ثم يضيف الأخ عوض حمدين في ورقته قائلاً : وسنبقى قليلا مع السيد علوي بن طاهر الحداد حيث يظهر لنا عبثا آخر وهنا في الأنساب حيث ذكر لنا في الشامل الشامل ٢/ ٣٩٦ طبعة مركز حضرموت للدراسات والتوثيق والنشر تحقيق د/ محمد يسلم عيد النور :((وقد سألت شيخنا عن نسب بعض القبائل فأخبرني به فقلت له إنكم ذكرتم في الرسالة أنهم آل فلان فقال لي ذلك لقب وضعه لهم سلفنا تفاؤلا ونسبهم يعود إلى ما ذكرته لك ...)) وشيخه الذي عناه هو السيد أحمد بن حسن العطاس صاحب (السفينة المجموعة) وهي رسالة في الأنساب الحضرمية فتأمل.

ونحن هنا إذ نشكر السيد علوي بن طاهر الحداد على شجاعته الأدبية وأمانته في النقل وسؤاله الواضح لشيخه وجوابه إلا أننا نعتب عليه إذ لم يعلق على هذا العبث في الأنساب. أليس في هذا ظلم للعباد؟.

وفي موضع آخر يقول : (...وقد ذكر شيخنا بعض التعليقات مع تناقضها ، وتركها كما هي لأن قصده الجمع لا التصحيح والترجيح الشامل ٢/ ٣٨٩...) !! ونظن أن هذا سكوت على باطل .

ويقول عن أحد علماء دوعن العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن عمر باشيخ فقال : (...عنده مجموعة من الكتب القديمة عديمة النظر فيها عدد من فتاوى فقهاء حضرموت واليمن كفتاوى بامخرمة ، وباشراحيل ، وبايزيد ، والحباني وغيرهم، وقد استعارها بعضهم من ابنه الفاضل الشيخ أحمد ثم أنكره فيها وكتب إلي وأنا بجاوة يشكو لي عمله وبلغني بعد ذلك أنه وقعت بينهما دعوى عند والي دوعن ولم أدر هل ردها إليه أم لا؟!

وكان من الصدف الغريبة أن ذلك المستعير أو المغير أخبرني وقد اجتمعت به في جاوة أن لديه ثمانية وعشرين مجلدا من فتاوى العلماء فعجبت كيف وصلت إليه ، ثم لم يطل الزمن حتى وصل إلي كتاب الشيخ أحمد يشكوه ويطلب مني مراجعته والزمان أبو العجائب الشامل ٢/ ٦٥٦- ٦٥٧).

كانــت هـذه خلاصة حاولنا فيها نقل أهم مافي الورقة البحثيـة للأستاذ عوض حمدين ونتمنى من نشرها كاملة مع وثائق ذلك المؤتمر العلمي الذي سبق ذكره ليستفيد من هذه البحوث طلبة العلم وذوي الدراسات العليا والجمهور.... والله الموفق .

تعليق وتعقيب على مقال بعنوان
(حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي)

مدونة د. محمد أبوبكر باذيب الثقافية

http://batheebcultural.blogspot.com/2019/04/blog-post.html?m=1

بقلم د. محمد أبوبكر باذيب

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وآله الطهر الميامين، وصحبه الذين شادوا منار الدين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد وقفت في اليوم الأحد ١٦ شعبان المعظم ١٤٤٠هـ، الموافق ٢١ أبريل ٢٠١٩م، على منشور عنوانه (حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي). تلقيته في مجموعة (واتساب)، ثم تتبعته فوجدته منشوراً على صفحة تحمل اسم (تاريخ وتراث حضرموت). هذا رابطها لمن أراد النظر:

https://www.facebook.com/255490814484213/posts/2416827588350514/



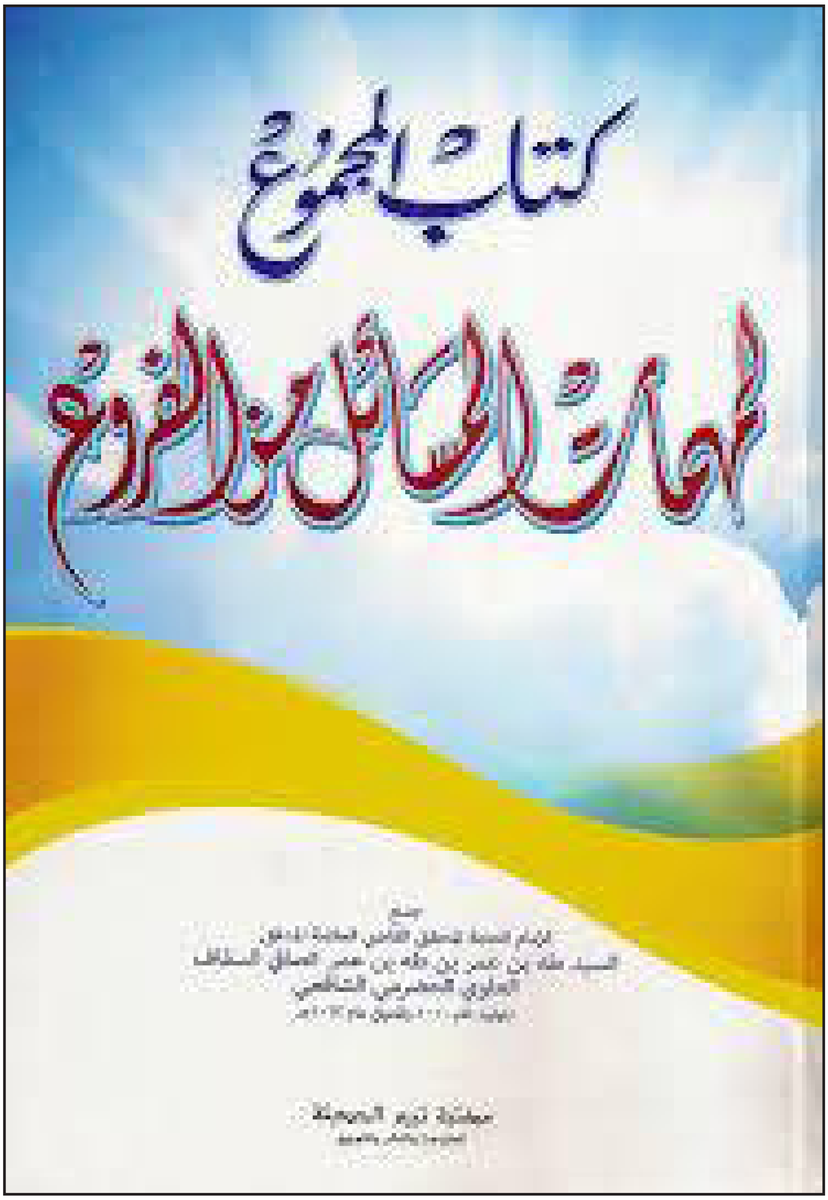


بعد قراءة المقال، والتمعن في محتواه، ظهر لي أن الكاتب بقدر ما أراد لفت النظر إلى ضياع قسم لا يستهان به من التراث الحضرمي، بقدر ما كان يتباكى على أمور لا يحسن التباكي عليها، فليس كل التراث قد ضاع، كما أن الموجود من التراث شيء كثير، لم يعرج عليه أو يلفت الأنظار إلى أهمية الاعتناء به. إلى غير ذلك من الأمور التي سيراها القارئ في ثنايا تعليقاتي على عبارات المقال أو المنشور.

لقد رأيت من واجبي أن أنبه على أمور تعجب منها كاتب المنشور، وهي واضحة للباحثين في التراث والشأن الحضرمي، لا تخفى على المطلع والباحث المجِدِّ.. وتعجبت أن بعض القراء ممن هم في عداد الباحثين الجيدين، أبدوا تعجباً واندهاشاً من هذا المقال، على ضحالة معلوماته، وكثرة أخطائه! فهل مردُّ ذلك إلى قلة اطلاعهم على مخطوطات التراث الحضرمي؟

أم لخفاء بعض الأمور التاريخية عليهم من جهة أخرى.

والحاصل، أن من هذه التعليقات هو وضع الأمور في نصابها، وإفادة كاتب المنشور وقارئه بما حقه أن يعلمه، وتنبيهه إلى ما خفي عليه. وطريقتي في التعليقات هو تتبع المنشور فقرة فقرة، وتحت كل فقرة تعليقها، تطلباً للفائدة، ورجاء الفهم وحسن العائدة.



نعم، هنا أمر مهم ينبغي التنبيه عليه، وهو أن المقال الذي علقت عليه ليس لكاتب البحث الأصلي (الأستاذ عوض حمدين)، إنما هو مقالٌ يعرض ذلك البحثَ للقرَّاء ويقدم قراءة وجيزة لأهم مضامينه، وقد كتب المقال بلغة فيها شيء من الركاكة وضعف في الصياغة والأسلوب، ولكني تجاوزت ذلك، وأوردت نص المقال كما هو غالباً، إلا ما كان فيه خطأ نحوي أو لغوي واضح فقد عدلته.

والله الموفق والمعين، لا إله إلا هو، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفقرة الأولى

قال كاتب المنشور: (المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه جني الشماريخ حيث قال: (وكان شيخنا رحمه الله يقول: إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف لما رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها).

تناول الكثير من الباحثين والكتاب في حضرموت في العصر الراهن عن [كذا] أزمة فقدان مصادر التاريخ الحضرمي لأسباب متعددة، وهذا الكتاب [كذا!] الذي تناوله أحد الباحثين مؤخراً [الأستاذ عوض حمدين] بورقة بحثية جديرة بالاهتمام في مؤتمر علمي عن (المؤرخين والتاريخ الحضرمي في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري). أقيم في ديسمبر من العام

الماضـي ٢٠١٨م في مدينة المكلا نظمته إحدى دور النشـر للدراسـات التاريخية والتوثيق في حضرموت.

الكتاب نشر في المملكة العربية السعودية.

طبعة الكتاب: دار القبلة للثقافة الإسلامية المملكة العربية السعودية جدة.

اسم الكتاب (المجموع لمهمات المسائل من الفروع) جمع العلامة طه بن عمر بن طه بن عمر الصافي السقاف العلوي المولود١٠١٠هـ والمتوفى عام١٠٦٣هـ[انظر: التلخيص الشافي ص ٢٣].

قدم للكتاب: عبدالله بن محمد بن علي الحبشي١٤٠٢هـ[تحديداً: في أول محرم الحرام].

عدد صفحات الكتاب ٧٦٦ صفحة غير شاملة لصفحات الغلاف.

تعليق وتعقيب

[١] يشـعر الناظر إلى العبارات السـابقة باضطراب في ترتيبها، وكأن كاتبها كان مستعجلا إلى درجة أنه لم ينسق الكلام تنسيقاً جيداً. عموماً يفهم أن هذا المنشور إنما هو عرض لورقة بحثية تقدم بها [الأستاذ عوض حمدين] في مؤتمر المؤرخين والتاريخ الحضرمي المنعقد في المكلا في ديسـمبر ٢٠١٨م. ذلك البحث تناول كتاب «المجموع لمهمات المسائل والفروع» للعلامة السيد طه الصافي السقاف ت ١٠٦٣هـ.

[٢] تجـدر الإشـارة إلى أننـي تناولت الكتاب بالوصـف في كتابي «جهـود فقهاء حضرموت فـي خدمة المذهب الشـافعي»: ٦٤٨-٦٥٠. الصادر عن دار الفتح للدراسات والنشـر، بتاريخ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

[٣] ومن المهم قوله هنا: إن تسمية الكتاب باسم «المجموع» الخ، هي تسمية مخترعة، لم ترد في مقدمة الكتاب، ولم تكتب على طرر المخطوطات، فلعلها من وضع الناشر.

أمـا الاسم الشـهير لهـذا الكتاب فهو «المجمـوع الفقهي» كما يؤخذ من «التلخيص الشـافي» [ص ٢٢]، ويسـميه السـيد ابـن عبيداللـه «مجموع الأجـداد» كما في «إدام القـوت» [ص ٧٩، ٢١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٦، ومواضـع أخـرى كثيـرة]. ينظر للفائدة: «الخميـر المفتوت» لطارق سكلوع العمودي: ص ٢٠٣.

العبارة الثانية

قـال الكاتـب: (إن أخطر وأهم ما في هذا الكتاب أن مؤلفه طه بن عمر الصافي السـقاف، وهو تلميذ الشـيخ الفقيه والمؤرخ أحمد محمد مؤذن باجمال عاش ما بين [٩٠٥ ــ ١٠٠٧ هـ] قال الباحـثُ: (أن أغلـبَ مـا في الكتاب هـو من كلام هذا الشـيخ العالم الفقيه أحمـد محمد مؤذن

باجمال وبالرغم من هذا فلا توجد له ترجمة).

تعليق وتعقيب

[١] أشار الكاتب إلى خطورة مَّا في صدر عبارته، ولم يفصل تلك الخطورة ما هي؟ وما كيفيتها؟ هل مجرد تتلمذ السيد العلامة طه بن عمر على الشيخ العلامة أحمد بن محمد مؤذن باجمال هو خطر بذاته؟! فإن كانت التلمذة خطرةً كما يزعم الكاتب، فما هو وجه خطورتها؟ غريبة هذه العبارة!

[٢] يلاحَظُ أن الكاتب جرَّد السيد العلامة طه بن عمر من أي وصفٍ يليق به، وأفاض في وصف شيخه العلامة باجمال، وهذا أسلوبٌ غير لائقٍ، من عدة وجوه:

منها أنه لولا كتاب السيد العلامة الحبيب طه السقاف لما وجد هذا المنشور ولا البحث الذي نحن بصدد التعقيب عليه.

ومنها أن الحبيب طه كان يجلُّ شيخه باجمال كثيراً ويفخِّم من شأنه في كتابه هذا. ومن حقه وفاءً واعترافاً له بالجميل تجاه شيخه الفقيه باجمال أن يبجل ويكرَّم.

ومنها أنه سيد شريف حسيني النسب، وفوق هذا فهو علاَّمة فقيهٌ محقق، فحقُّه في التبجيل مضاعف.

ومنها أن واجب الكاتب والمؤرخ أن يكون منصفاً في كتاباته فلا يعلي من شأن شخص ويحقر من شأن آخر إلا إذا كان منطوياً على نية مبيتة غير حسنة.

[٣] تاريخ مولد ووفاة العلامة باجمال بحسب المنشور (٩٠٥-١٠٠٧هـ). وهذا غير صحيح على الاطلاق، بل إنه كان حياً سنة ١٠٧١هـ. وبيان ذلك:

أولاً: أن السيد العلامة الحبيب طه بن عمر الصافي السقاف ولد سنة ١٠١٠هـ، وتوفي سنة ١٠٦٣هـ. وقد تتلمذ على الشيخ أحمد مؤذن، فيستحيل أن يكون مات قبل ولادته.

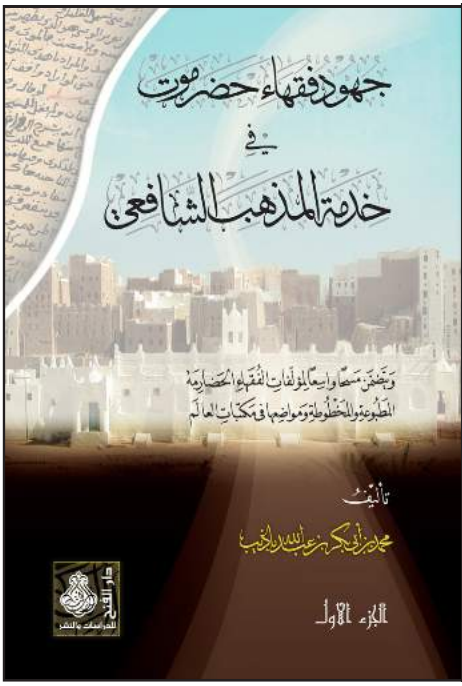
ثانياً: لو أن الكاتب رجع إلى «المجموع» بنفسه، ونقل عنه مباشرة، وقلب صفحاته وأوراقه. لوجد في ضمنه تاريخ بعض مؤلفات الشيخ باجمال، وهي: «رسالة في بيان حكم المصادقة بخط الحاكم المجرد وبيان ما يلزم به حكمه» كتبها سنة ١٠٦٩. والأخرى «رسالة في أحكام الأهلة» كتبها حول ثبوت هلال شعبان سنة ١٠٧١هـ. فكيف يصح في العقول والأذهان أن مؤلفاً يؤلف كتابين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، يكون قد توفي سنة ١٠٠٧!!. أي عقول تقبل هذا؟

[٤] وقول الكاتب (إن أغلبَ ما في الكتاب هو من كلام هذا الشيخ العالم الفقيه أحمد محمد مؤذن باجمال). هذا كلام غير صحيح، وغير مطابق للحقيقة، وغير علمي البتة. بل إنه اشتمل على فتاوى نادرة ونصوص فاخرة لعدد كبير من فقهاء حضرموت غير الشيخ أحمد مؤذن،

منهم: الشيخ عبدالله بن أبي بكر الخطيب، والشيخ الإمام عبدالله بلحاج بافضل، والشيخ عبدالرحمن العمودي، والشيخ سالم باصهي. عدا فتاوى السادة آل السقاف الأربعة جامعو مادة هذا «المجموع»، وهم: الحبيب العلامة طه بن عمر، وأخوه الحبيب العلامة علي بن عمر (ت ١٠٧٤هـ)، وابنه الحبيب العلامة عمر بن طه (ت ١٠٨٥هـ)، وابن أخيه العلامة الحبيب محمد بن عمر (ت ١١١٩هـ).

[٥] قول الكاتب: (وبالرغم من هذا فلا توجد له ترجمة). يقصد الشيخ باجمال. وهذا صحيح، فإن المصادر لم تسعف بترجمة وافية له، ومع أن السيد الشلي رحمه الله رجع إلى «مطالع بروج الجمال» في كتابه «عقد الجواهر والدرر» إلا أنه لم يترجم له. وهذه الفواتات كثيراً ما تحصُل لأسباب متعددة، ومن المستبعد جداً ما يخطر على أذهان بعض المعاصرين الذين يقيسون الأمور بمقاييسهم الطائفية والعنصرية فيرجعون سقوط ترجمة علمٍ ما الى أمور نفسية أو عقائدية. كيف يصح هذا، وبين أيدينا كتب التراجم فيها أخبار الموافقين والمخالفين، وتراجم الفسقة والظلمة وذوي العقائد الفاسدة والنحل الخبيثة! فحاشا على من استفاد من عالم أن يهمل ذكره وترجمته، إلا لسبب. والذي يظهر لي: أن السيد الشلي لم يجد ترجمة للشيخ أحمد مؤذن يعتمد عليها من كتابه «مطالع البروج» ولم يأت من يستدركها عليه.

على أنني بحمد الله وفضله، قد ترجمتُ للشيخ أحمد مؤذن ترجمة علمية نحتُّ مادتها من «المجموع» ومن غيره، وأوردتها في كتابي «جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي»، وهي في ست صفحات. وأوردت له أسماء خمسة مؤلفاتٍ استخرجتها من «المجموع»، ينظر: باذيب، جهود فقهاء حضرموت: ١/ ٦٥٣-٦٥٨.





العبارة الثالثة

قـول الكاتـب: (وأظهر – في ما يعدّه الباحث وثيقـة تاريخية هامةً – أسماء عدد كبير من فقهاء وعلماء حضرموت لهم فتاوي في الفروع من المذهب الشافعي اختفت مؤلفاتهم جملة وتفصيلاً في ظروف غامضة لا يعلمها إلا الله وقال أيضاً: (أن هذا لكارثة عظيمة).

وهـي بمثابـة جزء مهم من مصادر التاريخ الحضرمي المفقود الذي كثيراً ما تحدث عنه جملة من الباحثين الحضارمة في الماضي والحاضر؛ كشف المؤلف عنهم النقاب حيث عاش المؤلف فـي القرن الحادي عشـر الهجري وهم قد سبقوه بقرون مضـت من تاريخ حضرموت وهو غاية مايتـم البحث عـن مؤلفاتهم ورجال العلم ووقائع وأحداث حدثت فـي التاريخ الحضرمي بعد صدر الإسلام تكسـوها الضبابية والجهل بها ولا توجد مصـادر معاصرة لهذه الفترة التاريخية، سـواء أن مـا كتب هـو مجرد استنتاجـات ومن كلام مؤرخيـن متأخرين ليسـت بأيديهم مصادر معاصرة لهذه القرون).

تعليق وتعقيب

[١] ضياع الكتب وفقدانها من الكوارث العظيمة لاشـك. وفيما يخص مكتبات حضرموت، وضياع محتوياتها وتلفها بفعل الأرضة والإهمال، تحدث العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد رحمه الله كثيراً في كتابه «الشـامل» عن هذه المعضلة، وأورد العديد من أسماء المكتبات التي تلفت وراحت بسبب ذلك. وهذا الإهمال والضياع ليس خاصاً بحضرموت.

[٢] وقول الكاتب (ووقائع وأحداث حدثت في التاريخ الحضرمي بعد صدر الإسلام تكسوها الضبابيـة) .. هـذا أمر واقعٌ فـي كل زمان ومكان. حتى الحرمان الشـريفان، مكـة والمدينة، في تاريخهما فجوات لم تكتب بأيدي مؤرخين من أبنائها. فمن بعد وفاة الأزرقي مؤرخ مكة (كان حيـا إلـى سنة ٢٥٠ تقريبا) لم يظهر مؤرخ مكي من بعده إلا السـيد تقـي الدين الفاسي المتوفى ٨٣٢هـ. وتاريـخ تلك الحقبة التي جاوزت الخمسـة القرون إنما أخذ من كتـب التاريخ العام، ومن رحلات الرحالين الوافدين على الحرمين.

فتهويل الكاتب بأن ما حدَث في حضرموت يعدُّ معضلةً .. كلامٌ لا مسوِّغ له. لأنه أمرٌ اعتيادي طبيعـيٌ حدث ويحدثُ في تواريخ كل أو جل البلاد، في كل زمان ومكان. ولكن الناس يحبون الإثارة.

العبارة الرابعة

قـال الكاتـب: (وما قام به المؤلف السـقاف وأخوانـه ذكرهم الباحث من جهد مشـكور، كان بجمع كلام شيخه العلامة أحمد بن محمد مؤذن باجمال رحمه الله وهو من أخص تلاميذه، إذ لا تكـاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب، من فتـاوى وفائدة لأحمد مؤذن باجمال. ومع هذا

لا توجد له ترجمة في الكتاب).

تعليق وتعقيب

[١] إن التحقيق والتدقيقَ التاريخي، والوصف اللائق بكتاب المجموع لآل السقاف، أنه لا يسمى (تأليفاً)، بل هو (جمع وإعداد)، فمادة الكتاب ليست من بنيات أفكار السيد العلامة الحبيب طه بن عمر ولا بقية الجامعين. فهو أشبه بما يعرف في حضرموت بالسفينة، أو الكناش. تجمع فيه الفوائد العلمية والفقهية، بحسب اهتمام الكاتب أو الجامع.

[٢] وقد سبق الكلام في موضع سابق على أن القول بأن المجموع كله لباجمال، مغالطة. كما أنه لم يرد ذكره في كل صفحة من صفحات الكتاب. نعم، تكرر ذكره كثيراً، وقد رصدت المواضع التي ذكر فيها فبلغت ٢١٣ موضعاً تقريباً [باذيب، الجهود: ١/ ٦٥٤-٦٥٥].

[٣] قول الكاتب (ومع هذا لا توجد له ترجمة في الكتاب). أمر مضحك حقيقة، وإن كنت لا أحب استعمال هذا الأسلوب. من البدهي جداً، ومن المعلوم لدى العقلاء أن كتاباً فقهياً مثل كتاب «المجموع» لن يجد فيه القارئ ترجمةً تاريخيةً. فالتراجم تؤخذ من مصادرها، وليس كتاب «المجموع» الفقهي كتاب تراجم، وهل اشتمل كتاب المجموع على تراجم آل السقاف مثلاً ليكون عتب الكاتب في محله، وله جانب من الصواب! الجواب: لا. فعلامَ هذا اللوم المتكرر إذاً!؟

العبارة الخامسة

قال الكاتب: (في حين ترجم السيد الشّلي صاحب كتاب المناقب (المشرع الروي) لطه بن عمر السقاف المؤلف أو الجامع للفتاوى (وهو معاصر له) ولم يشر إلى مؤلفاته وإنما وصفه بالقاضي وذكر شيوخه وعدّ منهم أحمد بن عبدالله بن سراج باجمال والفقيه أحمد بن محمد مؤذن باجمال الشهير بالصبحي ، نسبة لقرية ذي اصبح من خلع راشد بحضرموت).

تعليق وتعقيب

كأني بالكاتب هنا يريد أن يستدل على أن كتاب «المجموع» ليس من (تأليف أو جمع) السيد العلامة الحبيب طه السقاف، بدليل: عدم ذكر الشلي له في «المشرع»! وهذا لعمر الحق ليس دليلاً ولا شبه دليل. فالقاعدة تقول: عدم الوجدان لا يلزم منه عدم الوجود.

وبيان ذلك من وجوه:

أولاً: أن السيد الشلي رحمه الله لم يلتزم في كتب التراجم التي وضعها وهي «المشرع الروي» و«عقود الجواهر والدرر» و«السنا الباهر» بذكر تفاصيل المترجمين، ولم يلتزم ذكر مؤلفاتهم

أيضاً. فهذا إلزام ما لا يلزم.

ثانياً: أن السيد الشلي عليه رحمات الله، كتب تراجم علماء حضرموت وهو في مكة المكرمة، ولاشك أنه فاته أمور كثيرة لم يطلع عليها أو لم تبلغه. فكتب ما نمى إلى علمه.

ثالثاً: ألا ترى أن السيد الشلي لم يذكر في ترجمة الحبيب طه السقاف أعظم مأثرة ظلت خالدة تالدة الى اليوم، ألا وهي مسجده الشهير في سيون!. فإذا عتبنا على الشلي عدم ذكره كتاب المجموع، فأعظم منه أن نعتب عليه عدم ذكره بناء المسجد.

رابعاً: أن كتاب «المجموع» ثابت النسبة إلى السيد العلامة الحبيب طه بن عمر وبقية الثلاثة العلماء الأجلاء السابق ذكرهم. فقد نسبه إليه ابن عبيدالله في «إدام القوت»، والسيد القاضي علوي السقاف في «التلخيص الشافي»، وهما من كبار علماء عصرهما، ومن ثقات الثقات من مؤرخي حضرموت، وكفى بهما حجةً.

العبارة السادسة

قال الكاتب: (وقال الباحث بعد أن ذكر أن الكتابَ يعدُّ وثيقةً تاريخية من وثائق القرن الحادي عشر الهجري. قال أيضاً: (غير أن غالب ما في «المجموع»: مجموعُ كلام العلامة الفقيه أحمد محمد مؤذن باجمال، شيخ القاضي طه بن عمر، وله معه مشاركاتٌ في بعض الفتاوى. نعم قد يكون لطه بن عمر، رحمه الله، جهدٌ مشكور في الاهتمام بجَمْع كلام شيخه العلامة أحمد بن محمد مؤذن باجمال رحمه الله وهو من أخص تلاميذه إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من فتاوى وفائدة لأحمد مؤذن.

وهذا الجمعُ عادةٌ حميدةٌ لدى طلاب العلم مع شيوخِهم منذ القِدَم، ولا يعرف الفضلَ لأهل الفضل إلا أهلُه. ولو فسح الله له في العُمر وعاش إلى طباعة هذا المجموع لأطلقَ على هذا المجموع «فتاوى مؤذن باجمال» فليس له في هذا الجامع إلا الحفظ).

تعليق وتعقيب

(فليس له في هذا الجامع إلا الحفظ)!!!

اللهم إني أعوذ بكَ من بخس الناس حقوقهم. وأعوذ بالله من استحقار العلماء. وأعوذ بالله من هضم حق السادة الأشراف بني علوي الأكابر الأئمة الفحول، الكرام الأصول.

ما هذه العبارة التي تفيض استحقاراً وتقليلاً من شأن الحبيب العلامة طه بن عمر السقاف، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهكذا يوصف هذا البحر الخضم بأنه (مجرد جامع)!

أهكذا يُشكَر هذا الحبر النبيل، والشهم الفريد الأصيل، الذي لولاه، ولولا اهتمامه واهتمام أسرته النبيلة الأصيلة الباذخة المجد، العالية الشرف، الكريمة المحتد، لما وصل إلينا علم

الشيخ أحمد مؤذن ولا بقية العلماء الذين تضمن ذلك «المجموع» فتاواهم وفوائدهم!.

أهكذا يتنقص من أقدار النبلاء السادة الذين ملأوا الدنيا علماً، وسار علمهم شرقاً وغرباً.

أهكذا يكون شكر الحبيب طه بن عمر الذي قام بواجبه تجاه شيخه الفقيه أحمد مؤذن، وحفظ لنا علمه وتراثه!! أكتفي بالحوقلة، ولا أقول إلا ما قاله الصابرون (إنا لله وإنا إليه راجعون).

أبرأ إلى الله من هذا الازدراء، والتهضُّم لحق السيد العلامة طه بن عمر السقاف.

العبارة السابعة

قال الكاتب: (أما العلماء الحضارمة الذين ورد ذكرهم ونقل عنهم في المجموع هم:

١. أبوبكر بن محمد بافقيه باعلوي
٢. أبوبكر بن أحمد السبتي
٣. أحمد محمد مؤذن باجمال الاصبحي
٤. أحمد بن حسين بن عبدالرحمن علوي التريمي قاضي تريم
٥. أحمد محمد بافضل العدني
٦. أحمد بن محمد سراج
٧. أحمد بن الحسين بلفقيه
٨. أحمد بن عبدالرحمن سراج باجمال
٩. أحمد بن عبدالرحيم العمودي
١٠. أحمد بن سعد الشحري
١١. أحمد بن ابي بكر باحفص
١٢. أحمد بن عمر عيديد حاكم تريم
١٣. أحمد بن عبدالله بن عمر باشراحيل الغريب
١٤. أحمد بن علي بابحير
١٥. إسماعيل بن محمد بن عمر الحباني
١٦. زين بن عبدالرحمن الكندي
١٧. عبدالله بن أحمد بازرعة الدوعني
١٨. عبدالوهاب بن عمر بن عبدالله بن سمير
١٩. عبدالرحمن باحاتم
٢٠. عبدالله بن عبدالقادر باحاج
٢١. عبدالله بن عبدالرحمن سراج باجمال
٢٢. عبدالله بن عمر باجمال

٢٣. عبدالقادر بن أحمد الحباني
٢٤. علي بن عمر باعقبة
٢٥. عثمان بن محمد العمودي
٢٦. عبدالرحمن بن شعيب
٢٧. سالم بن عبدالله باحميد
٢٨. سالم بن عبدالرحمن باصهي
٢٩. عمر بن عبدالله الشبامي
٣٠. محمد بن أحمد باحميش
٣١. محمد بن أبي بكر عباد
٣٢. محمد بن عمر بحرق
٣٣. عبدالله بن أحمد بامزروع
٣٤. عبدالرحمن بن أحمد حنبل بارجاء
٣٥. عبدالله بن أحمد بامخرمة
٣٦. عبدالله بن عمر بامخرمة
٣٧. عبدالرحمن بن علي بن حسان
٣٨. عبدالله بن أبي بكر الخطيب
٣٩. عبدالله بن عثمان العمودي
٤٠. عبدالله بن عبسين
٤١. عمر بن محمد جبيزان [الصواب: خبيزان، بالخاء المعجمة].
٤٢. علي بن علي بايزيد
٤٣. عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل
٤٤. محمد بن سليمان باحويرث
٤٥. عبدالرحمن بن محمد العيدروس
٤٦. محمد بن سعد باشكيل
٤٧. محمد بن عمر قضام
٤٨. محمد بن علي القلعي
٤٩. محمد بن عمر معلم

وآخرون ليسوا بشهرة هؤلاء).

لقد كفانا الكاتب إدانة نفسه، وهو كمن يسير إلى حتفه بظلفه! فها هو لم يستطع أن يخفي حقيقة أن «المجموع» ليس خاصاً بفتاوى الشيخ أحمد مؤذن باجمال. بل هو قاموس فوائد، ودستور فتاوى حضرمية، لئن كان للشيخ أحمد مؤذن منها النصيب الوافر، إلا أنها اشتملت على فتاوى غرر، لعلماء أكابر كثير منهم من معاصريه. هاهي القائمة تشمل خمسين إلا واحداً من فقهاء حضرموت الأفذاذ. رحمهم الله تعالى ونفع بعلومهم. فكيف يجرؤ ويزعم أن هذا الكتاب ما هو إلا (فتاوى أحمد مؤذن) على حدّ زعمه! أليس هذا يسمَّى افتِئاتاً على الحقيقة!

العبارة الثامنة

قال الكاتب: (أما الكتب والمصادر الحضرمية التي ورد ذكرها في المجموع ونقل عنها). ثم أورد أسماء ٢١ كتاباً، وعقّبها بقوله: (إنها لكارثة بحق أن نرى كل هذه الأسماء وتلك المؤلفات عبارة عن مجرد ذكر في كتُب، وليس لها أثرٌ في الواقع الملموس)، انتهى.

تعليق وتعقيب

هذا كلام من نوع التهويل والمبالغة، وإلا فالكتبُ التي أورد أسماءها كنتُ قد فصلتُ ذكرَها، واستقصيت مواضعها، ووصفت ما وجدته منها في أطروحتي المطبوعة المسماة «جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي» والصادرة سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. وقد رجع إليها العديد من الباحثين في التراث الحضرمي. فهل يعقل أن شخصاً مهتماً مثل هذا الكاتب يجهل هذا الكتاب وقد مضى على نشره قبل أن يكتب منشوره بعشر سنوات! وهو متوفر في مكتبات حضرموت ساحلها وداخلها منذ صدوره!

فلا أدري هذا التهويل لماذا؟ الأولى أن يهول الكاتب على تقصيره في الاطلاع، وأن يعود باللوم على نفسه في عدم تتبعه للأبحاث والكتابات المعاصرة.

وسوف أسوق أسماء الكتب التي وردت في المقال، وأتبع كل كتاب بتعليقي عليه مباشرة، ليكون القارئ على بصيرة من الأمر، ولا يهوله تهويل الكاتب والباحث.

١- السمط الحاوي، لعبدالله أحمد بامزروع.

أقول: مؤلف الكتاب هو العلامة عبدالله بن أحمد بارزعه الدوعني، المتوفى حدود ١٠٤٣هـ، وليس بامزروع [باذيب، جهود فقهاء: ١/ ٦١٠ وما بعدها].

والكتاب موجود وليس مفقوداً، كما يزعم الكاتب. وقد حصرت له ست نسخ خطية، ينظر وصفها في كتابي «جهود فقهاء حضرموت»: ١/ ٦١١-٦١٢. والكتاب حقق في رسائل علمية تمت مناقشة إحداها في جامعة القرآن الكريم بالسودان.

٢- حسن النجوى، للعلامة عبدالرحمن بن عمر العمودي.

أقـول: اسـم الكتاب تاماً «حسـن النجوى فيما لأهل اليمـن من الفتوى». توفي مؤلفه الشـيخ عبدالرحمن العمودي بمكة المكرمة سنة ٩٦٧هـ. وهو موجود وليس بمفقود والحمدلله.

وقـد وصفـت الكتاب فـي «جهود فقهـاء حضرمـوت»: ١/ ٥٠٠-٥٠١. وكنـت وقفت على كراس منه يشـتمل على (باب إحياء الموات) منسـوخ في قيدون بطلب شـيخنا العلامة الشـيخ عبداللـه الناخبي رحمه الله. ثم علمت أن مركز النور بتريم قد عثر على نسـخة كاملة منه، وهي بين أحد طلبة العلم من آل العمودي يحققها في رسالة ماجستير. يسر الله ظهورها.

٣- مختصر شرح الوسيط، للعلامة أبي بكر بن أحمد السبتي.

أقول: هذا الوصف غير دقيق، واختلط الأمر على الكاتب والباحث.

فأما «شرح الوسيط» لحجة الإسلام الغزالي، فهو للعلامة القاضي محمد بن سعد باشكيل (ت حوالي ٧٦٠هـ). وقد أشـار السـيد عبدالله الحبشي إلى وجود نسخة منه في مكتبة الأمبروزيانا بإيطاليـا، ولـم أتمكـن من الوصـول إليها حتـى الآن. ينظر: باذيـب، جهود فقهـاء حضرموت: ١/ ٣٦٥-٣٦٦.

وأما مختصره المسمى «الجامع المحيط في اختصار شرح الوسيط» فهو لابن أخت المؤلف، العلامـة رضـي الدين أبي بكر السـبتي (ت ٧٦١هـ). وهـو في الأمبروزيانا أيضاً كما أشـار إليه الأستاذ الحبشـي في «جامع الشـروح والحواشـي»: ٣/ ٢١٤٠. فإما أن الكتابين موجودان، أو اشتبه أحدهما برقم الآخر .. يسر الله الوصول إليهما ونشرهما.

٣- قوارع القلوب، للعلامة عمر بن عبدالله الشبامي.

أقـول: هـذا كتاب مفقود، وهو في التصوف. ومؤلفه الشـيخ العلامة عمر بـن عبدالله باجمال الشبامي. والد الشيخ محمد بن عمر باجمال (ت ٩٦٧هـ) دفين بضة بدوعن.

٤- فتاوى باشكيل الصغرى والكبرى، للإمام محمد بن سعد باشكيل.

أقول: للقاضي باشـكيل رحمه الله عدة فتاوى، منها «الكبرى» و«الصغرى»، و«أجوبة مسائل الخلـي»، كلهـا وصفتهـا فـي «الجهـود»: ١/ ٣٦٦-٣٦٨. وقـد وقفـت على «مختصـر فتاوى باشكيل» في مكتبة المسجد النبوي. ووصفتها أيضاً. وهي قيد العمل، يسر الله ظهورها.

٥- مختصـر فتـاوى المزجد، للعلامـة أحمد بن عبدالرحمن سراج، نقل منها الجامع مسـائل ملخَّصة.

أقـول: انفـرد الحبيب طه بن عمـر بذكر هذا «المختصر» في موضع فريد (ص ٤٠). وللشـيخ أحمد سراج باجمال مؤلفات أخرى، وصفتها في ترجمته ضمن كتابي «جهود فقهاء حضرموت»: ١/ ٥٩٠-٥٩١.

٦- فتاوى باصهي، للعلامة سالم بن عبدالرحمن باصهي.

أقول: «فتاوى الشيخ سالم باصهي» موجودة ومحفوظة والحمدلله. وقفت على نسختين منها، إحداهما في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، والأخرى في بلدنا شبام حرسها الله. وهي بين يدي طلبة العلم والباحثين يحققونها في رسائل ماجستير بجامعة الأحقاف. ينظر وصفها في كتابي «الجهود»: ١/ ٥٧٥-٥٧٧.

٧- فتاوى بن عبسين.

أقول: هذه الفتاوى توجد مفرقة في مصنفات فقهاء حضرموت، ولم نجد لها نسخة تامة. وقد وصفتها وذكرت الكتب التي نقلت عنها، ينظر: «جهود فقهاء حضرموت»: ١/ ٤٣٣.

٨- فتاوى بن حسان، للإمام عبدالرحمن بن علي بن حسان.

أقول: هذه الفتاوى مفقودة، وتوجد عنها نقولات. ينظر: جهود فقهاء حضرموت: ١/ ٣٨٤.

٩- فتاوى علي بايزيد الدوعنية والشحرية.

أقول: أما الفتاوى الشحرية، فهي موجودة، ينظر وصفها في «جهود فقهاء حضرموت»: ١/ ٥٣١-٥٣٢. وقد طبعت. وأما الشحرية فلم نجد لها نسخة حتى الان.

١٠- شرح تراجم البخاري، للإمام محمد بن أحمد بافضل.

أقول: هذا الكتاب في عداد المفقودات اليوم.

١١- الروضة الأنيقة والتحفة الحقيقة للإمام عبدالوهاب بن عمر بن عبدالله بن سمير.

أقول: اسم الكتاب على الصواب «الروضة الأنيقة في الرد على من لا يعرف المدارك الدقيقة»، نقل عنه الحبيب طه بن عمر في «المجموع» في مواضع عدة: ص ٨٤، ١٩٤، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٣-٢٢٥، ٤٠٠. ومن هذه المواضع يمكن استخراج محتوى لابأس به عن الكتاب. والمؤلف فقيه من العلماء ولا يصل إلى أن يوصف بأنه (إمام)!.

١٢- نشر الرضاء في أحاديث المصطفى، عبدالله عمر باجمال.

لم أقف عليه.

١٣- نظام الدرر حاشية على الإرشاد، للعلامة علي بن علي بايزيد في ٣ مجلدات أو مجلدين كبيرين قال الجامع وعندي الجزء الأول منه.

أقول: تسمة هذا الكتاب باسم «نظام الدرر» وردت في «المجموع» (ص ٩١). لكن الفقيه المؤرخ باسنجلة، تلميذ بايزيد، وكذلك المؤرخ بافقيه في «تاريخ الشحر» سمّياه «عقد اللآلي والنكت الغوالي فيما يتعلق بإرشاد الحاوي». ينظر: «جهود فقهاء حضرموت»: ١/ ٥٣٣-٥٣٤.

والكتاب موجود بيد أحد سماسرة التراث والمخطوطات، يقع في مجلدين، ونمى إلى علمي في سنة ١٤٣٢ تقريباً أن شخصاً عرضه للبيع بمبلغ كبير (٢٠ ألف ريال سعودي!).

١٤- تحفة الحدائق والأحداق للعلامة عبدالله بن عمر بامخرمة

أقول: ورد ذكره في المجموع الفقهي لآل السقاف (ص١١٩)، أثناء كلام عن أحكام يوم الجمعة وما فيه من الأعمال المسنونة، وعبارته على لسان العلامة أحمد مؤذن باجمال (ت ١٠٧٠هـ؟): «وأطال في الواردِ في ذلك الإمامُ الطيبُ ابن عبد الله بن عمر (كذا!) مخرمة في كتابه «تحفة الحدائق والأحداق»، فلا يسع وصفه هنا»، إلخ. وأعتقد أن الناسخ (أو الناشر) شردَ ذهنُه وهو يكتب اسم الفقيه، فخلط بين الطيب بامخرمة (المترجم)، وبين ابن أخيه الإمام الفقيه، نظراً لشهرة الأخير، وكثرة تداول اسمه على الألسنة، وقد ذهب أستاذنا الحبشي إلى نسبته لعبد الله بن عمر بامخرمة، والله أعلم بالصواب»، انتهى نقلا عن كتابي «جهود فقهاء حضرموت»: ١/ ٤٨١.

١٥- تاريخ باشراحيل.

أقول: سيصدر في الأيام القريبة القادمة بإذن الله ذيل باشراحيل على «تاريخ حسان»، حققه واعتنى به الأستاذ عبدالله الحبشي. وقد فصل في مقدمة التحقيق الكلام على «تاريخ باشراحيل»، كما سبق أن تحدث عنه في مقدمة «تاريخ شنبل».

١٦- نبذة في الدرج والدقائق، للشيخ محمد بن محمد بن عبدالرحمن الخطاب.

أقول: هذا المؤلف من علماء المالكية، وهو فقيه ليبي، لا دخل له بحضرموت ولا فقهائها. ولد بمكة ومات في بلده سنة ٩٥٤هـ. وهو الحطاب (بالحاء المهملة) الرعيني، مؤلف «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل».

١٧- شرح الوسيط، للإمام محمد بن سعد باشكيل.

أقول: تقدم ذكره برقم (٢).

١٨- ذيل طبقات الأسنوي، للعلامة عبدالله بن عمر بامخرمة.

أقول: تم بحمدالله الوقوف على أجزاء متفرقة منه.

١٩- مطالع الأنوار في بروج الجمال ببيان الشجرة والمناقب لآل باجمال، لأحمد مؤذن باجمال.

أقول: هذا كتاب نادر الوجود، وقد اطلع عليه السيد الشلي رحمه الله، ونقل منه ٣ تراجم في كتابه «عقود الجواهر والدرر». ينظر: مقدمة تحقيق عقود الجواهر، طبعة مركز الملك فيصل: ١/ ١٣٥. وعنه نقل المحبي وغيره.

٢٠- نهاية التحقيق في الخبر المقترن بالتصديق، للعلامة أحمد محمد مؤذن باجمال

أقول: ذكرها السيد الحبيب طه السقاف في «المجموع» (ص ٣٧٣، و ٦١٩)، ينظر: جهود فقهاء حضرموت: ١/ ٦٥٨.

٢١- مختصر الأنوار، للإمام محمد بن أحمد بافضل.

أقول: هذا الكتاب متوفر في مكتبات حضرموت الخاصة والعامة، وقد حصرت له ست نسخ

خطية في كتابي. ينظر: جهود فقهاء حضرموت: ١/ ٤٢٣-٤٢٤. وهو بين يدي طلبة العلم يحقق في جامعة حضرموت وجامعة عدن.

الخلاصة: أن أحد عشر كتابا (١١) من هذه القائمة موجودة والحمدلله، وبعضها مطبوع، وبعض يحقق في الجامعات. وبقية الكتب لدينا وصفها، وتعرفنا بفضل الله على محتواها.

فبان بهذا أن قول الكاتب (إنها لكارثة بحق أن نرى كل هذه الأسماء وتلك المؤلفات عبارة عن مجرد ذكر في كتُب، وليس لها أثرٌ في الواقع الملموس)، كلام استهلاكي، لا يمت إلى الحقيقة بأدنى صلة. وأن كاتبه ليس له معرفة بمظان الكتب التراثية، ولا له شغل بالبحث والتنقيب كما يفهم من عباراته الفضفاضة.

العبارة التاسعة

قال الكاتب: (ثم قال الباحث في نهاية ورقته البحثية: (ضياع المصادر):

نقل الجامع في المجموع عن أكابر العلماء من أمثال الإمام القلعي، وابن حسان، وباشكيل، وابن عبسين، والسبتي، وبافضل، وباشراحيل، وبامخرمة، ومؤذن باجمال، وبن سمير، وبامزروع، وباحميش، وبازرعة، وبحرق، وحنبل بارجاء، وباقشير هؤلاء أشهر وهناك آخرون ليسوا بشهرة هؤلاء وذكرت لأكثرهم كتب في ثنايا المجموع بل أحال على بعضها.

وهناك أعداد كبيرة غير هؤلاء من العلماء على مر العصور فيصف البشاري في كتابه "احسن التقاسيم ص ٨٧ ويقول: (بأن أهل حضرموت لهم في العلم رغبة). ويقول باحنان في جواهر تاريخ الأحقاف / ٣٣١ «إن حضرموت كانت زاخرة بفطاحل العلماء من الفقهاء والمحدثين والأدباء». فأهل حضرموت أهل ثقافة وحضارة منذ كان التاريخ وهذه الصفة جعلت الوافدين إليها يرغبون في المكوث بها رغم ضنك معيشتها. فقد ذكر الشلي حلول العلويين وقال: (إنهم وجدوا بتريم من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهوم والألباب ماشغلهم عن الأهل والوطن) [أنظر المشرع الروي للشلي ١/ ١٢٨]

تعليق وتعقيب

كلام لا طائل من ورائه، ولا فائدة من سوقه. فهو من باب الذم الذي ظاهره المدح. على حد قول القائل: دع المكارم لا ترحل لبغيتها .. فمثل هذا المدح الهزيل في قطر عظيم زاخر بالعلوم والعلماء، والفقه والفقهاء، لا يستشهد له بقول البشاري!

وأما ما ذكره الشلي عن أسلافه الأشراف العظماء، فإنه يصدق على ما كان في سالف العهد والأوان، أي في حوالي القرن الرابع الهجري وما تلاه. أما بعد ذلك، فقد أشرقت شموس بني علوي على العراص الحضرمية، وبسقت أشجار علومهم فغطت بوارف ظلالها سكان ذلك

الـوادي المبارك. ولـم يحفظ جلَّ تاريخ هذه الديـار سِواهُم، ولـم يقم بواجب الدعوة في واديها وناديها إلاهُم، فالحمدلله الذي أكرم وادي حضرموت بهذه السلالة السنية الشريفة الطاهرة.

ومـا كتاب «المجموع» للحبيـب العلامة القاضي طه بن عمر الصافي السـقاف، وما حواه من علـوم ومعـارف، إلا ثمرة من ثمرات علوم أولئك السـادة الأجـلاء. ولا و «المجموع» لما راح كاتب المقال ولا جاء. ولكن: لا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه.

العبارة العاشرة

قـال الكاتب: (ثم يأتي المقدم للمجموع عبدالله الحبشـي ليقـول: «إن المجموع انفرد بذكر فقهـاء لا نعرفهـم إلا منـه وبكتب نـادرة لبعضهم لعـل أكثرها فقدت منذ عصـر المؤلف أي في القرن الحادي عشر».

وكلامـه هذا لا يقبل لدى المهتميـن بالبحث والتنقيب. لأن في عصر المؤلف المصادر كانت موجـودة لـدى الجميع ومتداولـة ـــ وإلا فما فائدة ذكرهـا والإحالة عليها إذا لـم تكن متداولة بدليل إن المحبي وهو شـامي من خارج حضرموت المتوفى ١١١١هــ في خلاصة الأثر ينقل عـن كتـاب (مطالع الأنوار) لمؤذن باجمال . وقد يعذر الحبشـي ذلك أنـه أتى في وقت متأخر جدا عن عصر الجامع وكانت هذه الكتب ومؤلفوها قد أخفيت.

تعليق وتعقيب

لا يزال الكاتب يلف ويدور، ويقلب لنا الأمور. ولا أدري ما معنى اعتراضه على كلام الأستاذ الحبشي! كلام الحبشي صحيح مائة بالمائة، وليس عليه أدنى غبار.

[١] أمـا استشـهاد الكاتـب بصنيع العلامـة المحبي الدمشـقي (ت ١١١١هــ) بكونه نقل في كتابه «خلاصة الأثر» عن كتاب الشـيخ أحمد مؤذن باجمال .. فمثل هذا لا يخفى على الباحث المبتدئ، فضلا عن (الباحث المنقب).

ولو أن الكاتب كلف نفسه عناء البحث على أصوله، لرجع إلى مقدمة كتاب المحبي «خلاصة الأثـر»، ليعرف مصادره. ولكني أريحه وأحمل عنه عناء تقليب صفحات المجلد الأول، وأنقل له قول السيد المحبي: «ثم وقفت في أثناء السنة على ذيل الجمالي محمد الشّلّي المكي، الذي ذيّل به على «النور السـافر في أخبار القرن العاشـر» للشـيخ عبد القادر ابن الشـيخ العيدروس. و«المشرع الروي في أخبار آل باعلوي» له أيضاً».

فهاهـي مصادر المحبي، إنه ناقل عن كتب السـيد الشـلي المتوفى سنـة ١٠٩٣هـ. وهو الذي نقل عن «مطالع الأنوار» لأحمد مؤذن. فاتضح أن المحبي لم يقف على الكتاب. فبطل استنتاج الكاتب، واتضح لنا أن عبارة الحبشي: « أكثرها فقدت منذ عصر المؤلف أي في القرن الحادي

عشر»، صحيحة لا غبار عليها، فليوفر الكاتب عتابه ولومه.

[٢] وأما قول الكاتب: (وقد يعذر الحبشي ذلك أنه أتى في وقت متأخر جدا عن عصر الجامع وكانت هذه الكتب ومؤلفوها قد أخفيت).

هذا كلام يقوم على تبني (نظرية المؤامرة). وهي كما يلاحظ القارئ الكريم، فكرة قد استولت على عقول كثيرين، ليس الكاتب هذا فحسب. لقد تكررت كلمة (أخفيت) في سطور هذا المنشور عدة مرات. وهي كلمة فضفاضة، ولو أن الكاتب كان يمتلك الشجاعة الكافية لصرح بالجهة التي يتهمها بالإخفاء. وإذاً لوجد من الجواب، ما يملأ الأوطاب.

لا ننكر أن هناك كتباً تعرضت للتلف، وأن هناك أشخاصاً قاموا عمداً بإتلاف بعض الكتب كما روت لنا كتب التاريخ. ولكن، أن نرمي بالتهم هكذا جزافا، ونعمم ولا نخصص، فهذا أمر غير مقبول. ويفتح للشر أبواباً لا تغلق.

العبارة الحادية عشرة

قال الكاتب: (والناظر في هذا الأمر أمام خيارين لا ثالث لهما فإما أن يكون هؤلاء العلماء وتلك المصادر والمؤلفات التي ذكرت في المجموع غير حقيقية زعمها من كتب المجموع فلماذا أتى بها؟ وما الغرض والدافع من ذكرها؟ وإما أن تكون حقيقية ولكن تعمد إخفاؤها، وهذا هو الرأي الذي نميل إليه [والكلام كله لصاحب الورقة البحثية] وهو الراجح من وجهة نظرنا وكما تؤكده النقولات الكثيرة.

منها: ما قاله المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في كتابه جني الشماريخ حيث قال: (وكان شيخنا رحمه الله يقول إن سبب ذهاب تواريخ حضرموت القديمة وانطماسها أن الأخلاف لما رأوا في سيرة الأسلاف ما ينكرونه منهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها).

وكأنه يعني كل كلمة قالها وهذا معناه أن الأخلاف رأوا ما ينكرونه وأخفوا وطمسوا وأفنوا وهنا لازال السؤال مطروحا فمن هم الأخلاف الذين أضاعوا تواريخ حضرموت وآثار علمائها في التاريخ والأنساب والفقه وعلوم العربية وغيرها من المجالات الحضارية والعلمية؟!!.

تعليق وتعقيب

[١] أما القسم الأول من هذه العبارة، التي تشتمل على لوم متكرر من الكاتب تجاه صاحب «المجموع»، فقد سبق الجواب عنه. وهو بدلاً من أن يشكر آل السقاف على حفظهم لفتاوى فقهاء حضرموت التي لولا تدوينهم وجمعهم لها في هذا الكتاب لضاعت. راح يتهمهم بشتى الاتهامات التي هم برآء منها. وأدنى عاقل سيقول: لو أراد آل السقاف إخفاء مصنفات وفتاوى أولئك الفقهاء لما أبقوا لها ذكراً، ولأعدموها أصلاً. فكيف نصدق أنهم أخفوا أصولها وهم

الذين نقلوها لنا؟! هذه مغالطات لا أكثر ولا أقل.

ومن يدري، فقد نجد في مكتبة خاصة يوما مّا ما كنا نبحث عنه. وحتى ذلك الحين، يبقى «المجموع» أعظم مصدر نستقي منه تلك النصوص. فرضي الله عمن جمعه، ومن سطره، ومن حفظه، ومن نشره، ومن استفاد منه فشكر، واستفاد واعتبر. ولا عزاء لمن لا يشكر الناس، ولمن يتهم الأبرياء، ولمن يكيل التهم جزافاً للأموات.

إن هذه الفقرة ومثيلاتها لتمثل مخالفة صارخة لقول الله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا وللذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾. فماذا نستفيد من اتهامات الكاتب إلا نشر الغل والحقد!

وسبق أن أوضحتُ أن أكثر المصادر التي ذكرها وأوردها الحبيب طه موجودة، فلتراجع الصفحات السابقة.

[٢] لقد حمل الناس عبارة السيد علوي بن طاهر الحداد التي في «جنى الشماريخ» أكثر مما تحتمل. وللجواب على تساؤل الكاتب (هم الأخلاف الذين أضاعوا تواريخ حضرموت وآثار علمائها في التاريخ والأنساب، الخ)، أوجهه أن يرجع إلى «جنى الشماريخ» مرة أخرى، ليعرف منه قصة إخفاء كتاب الشيخ الجرو في أنساب كندة. وليعلم كيف كان حرص الحبيب العلامة أحمد بن حسن العطاس على ذلك الكتاب، وأن أشخاصاً حاقدين هم الذين أخفوا الكتاب وأتلفوه. ولو أنه وقع بيد الحبيب أحمد بن حسن، لحفظ لنا، ولوصلنا كما وصلتنا نصوص نادرة عن أنساب أهل حضرموت، لم نجد لها مصدراً سوى مدونات ذلك السيد العلامة الإمام الجليل .. رحمة الله عليه.

العبارة الثانية عشرة

قال الكاتب: (ماهي الكتب التي كتب لها البقاء من تاريخ حضرموت: والغريب أن كتب «المناقب» من أكثر المصادر وجودا وبقاء في حضرموت ولم يبق لنا من مصادر تاريخ حضرموت إلا هذه الكتب المناقبية والتي منها المشرع الروي، والجوهر الشفاف، والغرر، والعقد النبوي، والنور السافر، وتذكير الناس، وصلة الاهل، والبركة والخير في مناقب آل باقشير، وكنوز السعادة، وتنوير الاغلاس، وعقود الالماس، والبنان المشير، ومن أمثالها كثير فلدينا قائمة طويلة وعريضة لسنا بصدد سردها في هذا المقام وسؤالي عن كتب هؤلاء العلماء الضائعة الفقهية والتاريخية المحال عليها في المجموع؟»

تعليق وتعقيب

قد أجبنا على سؤاله فيما مضى.

وأما استنكار الكاتب بقاء كتب المناقب! فما أجمل تلك الكتب وما أبهاها، وهل يرجى لأمة حضارة بدون تاريخ! كتب التراجم والمناقب هي مادة التاريخ ولبه. ومن أين نستقي أخبار الرجال إلا من كتب المناقب! أما ما فيها من مبالغات وكرامات، فذلك شيء لم تختص به كتب الحضارمة، بل هي ظاهرة معروفة في الشرق والغرب والهند والسند، والشمال والجنوب.

والمؤرخ الحصيف هو من يستنطق كتب المناقب، ويستخلص منها مادة تاريخية نافعة، ويعرض عن صورة الكرامة إذا لم تكن تمثّل له شيئاً ذا بال. وكتب المناقب وسواها ماهي إلا أوعية للمعلومات. مع أن لدينا من كتب التاريخ والحوادث ما لا يوجد عند غيرنا. فلدينا تاريخ شنبل، وتاريخ بافقيه، وتاريخ باسنجلة، وتاريخ بن حميد، وغيرها. تاريخ حضرموت تمت تغطيته بمصنفات كثيرة. لا أدري لم كل هذا اللوم من الكاتب وكأننا بلا تاريخ!

العبارة الثالثة عشرة

قال الكاتب: (ثم يضيف الأخ عوض حمدين في ورقته قائلاً: (وسنبقى قليلا مع السيد علوي بن طاهر الحداد حيث يظهر لنا عبثا آخر وهنا في الأنساب حيث ذكر لنا في الشامل الشامل ٢/ ٣٩٦ طبعة مركز حضرموت للدراسات والتوثيق والنشر تحقيق د/ محمد يسلم عيد النور: (وقد سألت شيخنا عن نسب بعض القبائل فأخبرني به فقلت له إنكم ذكرتم في الرسالة أنهم آل فلان فقال لي ذلك لقب وضعه لهم سلفنا تفاؤلا ونسبهم يعود إلى ما ذكرته لك). وشيخه الذي عناه هو السيد أحمد بن حسن العطاس صاحب (السفينة المجموعة) وهي رسالة في الأنساب الحضرمية فتأمل. ونحن هنا إذ نشكر السيد علوي بن طاهر الحداد على شجاعته الأدبية وأمانته في النقل وسؤاله الواضح لشيخه وجوابه إلا أننا نعتب عليه إذ لم يعلق على هذا العبث في الأنساب. أليس في هذا ظلم للعباد؟

تعليق وتعقيب

ليس في كلام العلامة الحداد، ولا جواب شيخه الإمام العطاس ما يستنكر. ولا أدري ماذا فهم الكاتب من عبارة السيدين الجليلين العالمين العلمين. فالإمام العطاسُ يصرح أنه أورد نسب أولئك الناس موثقاً في «السفينة». وأن لقبهم طارئ أطلق عليهم تفاؤلاً.

وقد احتاط العلامة الحداد في ذكر أولئك الناس. فكيف يظن الكاتب أن السيد العطاس أخفى نسبهم وقد ذكرهم في «السفينة» وهي مطبوعة منتشرة!. عن أي عبث يتكلم؟ وعن أي ظلم يتحدث!؟ عجيبٌ ليُّ الكاتب أذرعةَ النصوص إلى الجهة التي يريد، والتعسف في صرف فهمها إلى ناحية غير مقصودة!.

إنه نفس المنطق المقلوب الذي شنعناه عليه سابقاً. فبدلا من أن يشكر العلامة العطاس على

حفظه لأنساب جملة من بيوتات الفضل والقبيلة في حضرموت، راح يلومه ويتهمه. الآن فهمت المثل القائل: عنز ولو طارت!.

إذا محاسني اللاَّئي أدل بها   كانت ذنُوبي فقل لي كيف أعتذر!

العبارة الرابعة عشرة

قال الكاتب: (وفي موضع آخر يقول: (وقد ذكر شيخنا بعض التعليقات مع تناقضها. وتركها كما هي لأن قصده الجمع لا التصحيح والترجيح) [الشامل ٢/ ٣٨٩]!!

ونظن أن هذا سكوت على باطل.

تعليق وتعقيب

السكوت على الباطل هو ترك العقيب على هذا الكلام. وإني أجزم أن الكاتب لم يطلع على «سفينة الأنساب» للإمام أحمد بن حسن العطاس، وإلا لما كتب هذا الهراء.

وتوضيح ذلك:

أن السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد، يتحدث في هذه العبارة عن منهجية شيخه الإمام العطاس في «سفينة الأنساب». وهو منهج تاريخي نظيف ونزيه. وذلك: أن الإمام العطاس، عليه رضوان الله، كان يتنقل في بلدان حضرموت للصلح بين القبائل، وللدعوة إلى الله، وللتعليم والتدريس. فكان يسأل عن مدونات أهل كل بلد في الأنساب. فتحصل بعد سنين طوال، وجهد كبير، على نصوص تاريخية في غاية الندرة. فبادر إلى نسخها وجمعها في كتاب أطلق عليه «سفينة الأنساب».

ولأنه ناقل مؤتمن، وحرز مثمَّن، فقد أبقى تلك النصوص على ما هي عليه، حتى لو كان بعضها يناقض بعضاً. ومثال ذلك [من طبعة الأخ د. محمد عبدالنور]: في (ص ١١٩) نقلا عن «بعض التعاليق»: آل باعباد من موالي بني أمية. وفي (ص ١٢١) نقلا عن «نبذة كنينة» من مكتبة الشيخ العمودي: أن آل باعباد بني أمية. فهذا مثال يوضح معنى قول العلامة الحداد في «الشامل»: « وقد ذكر شيخنا بعض التعليقات مع تناقضها. وتركها كما هي لأن قصده الجمع لا التصحيح والترجيح».

فإذا تبين لك صحة هذا المثال، وعرفت معنى العبارة. فسيتضح لك أن قول الكاتب (ونظن أن هذا سكوت على باطل) من باب الظن الآثم وقد قال تعالى: (إن بعض الظن إثم). وهذا منه، لأنه اتهام باطل، يقوم على فهم خاطئ.

العبارة الخامسة عشرة

قال الكاتب: (ويقول عن أحد علماء دوعن العلامة عبدالرحمن بن أحمد بن عمر باشيخ فقال : (عنده مجموعة من الكتب القديمة عديمة النظر فيها عدد من فتاوى فقهاء حضرموت واليمن كفتاوى بامخرمة ، وباشراحيل ، وبايزيد ، والحباني وغيرهم، وقد استعارها بعضهم من ابنه الفاضل الشيخ أحمد ثم أنكره فيها وكتب إلي وأنا بجاوة يشكو لي عمله وبلغني بعد ذلك أنه وقعت بينهما دعوى عند والي دوعن ولم أدر هل ردها إليه أم لا؟! وكان من الصدف الغريبة أن ذلك المستعير أو المغير أخبرني وقد اجتمعت به في جاوة أن لديه ثمانية وعشرين مجلدا من فتاوى العلماء فعجبتُ كيف وصلت إليه. ثم لم يطل الزمن حتى وصل إلي كتاب الشيخ أحمد يشكوه ويطلب مني مراجعته والزمان أبو العجائب الشامل ٢/ ٦٥٦- ٦٥٧).

تعليق وتعقيب

لا أدري ماذا يريد الكاتب من هذه العبارة؟ والقصة التي أوردها العلامة الحداد في «الشامل» فيها من العبر ما لا مزيد عليه.

العبارة السادسة عشرة

قال الكاتب: (كانت هذه خلاصة حاولنا فيها نقل أهم ما في الورقة البحثية للأستاذ عوض حمدين ونتمنى من نشرها كاملة مع وثائق ذلك المؤتمر العلمي الذي سبق ذكره ليستفيد من هذه البحوث طلبة العلم وذوي الدراسات العليا والجمهور. والله الموفق).

تعليق وتعقيب

نحن بانتظار نشر الورقة الأصلية.

وأيا ما كانت، فهذه التعليقاتُ كفيلةٌ أن تجعلَ القارئَ الحصيفَ يتوقَّف فيما سينشر باسم الكاتب، ويعد العدة للتفحص والقراءة الناقدة الحذرة لما سيقف عليه. وليأخذ من شاءَ تعليقاتي هذه ويعرضها على مصادر الكاتب، ومن أراد أن يحكّم بين الأصل والتعقيب فأهلا به. فما أريد إلا الحق والصوابَ.

وأرجو أن لا يحاكمني أحد الى البحث الأصلي، فأنا قد بينت أني لم أقف عليه، وإنما اعتمدت في تعليقاتي على العرض المنشور على الرابط الذي أوردته في مقدمة التعليقات. وليس بيني وبين كاتب البحث أو عارضه أي معرفة سابقة، بل إني أشكرهما على إتاحة الفرصة لهذا التعقيب، وتحريك مياه البحث العلمي، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

***

وقد انتهيت من التعليق والتعقيب على هذه السطور الساعة الثانية بعد منتصف ليلة الاثنين ١٧ شعبان ١٤٤٠هـ، أرجو أن ينفع الله بها من قرأها. وما قصدت إلا الإيضاح والابتعاد بالقارئ عن التهويل وبعض المغالطات التي اشتمل عليها المنشور. والله الموفق. ونسأله تعالى أن يهدينا سواء السبيل. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مقالة المدرسة السلفية في تريم من الموسوعة اليافعية
ثم تعقيب د. محمد باذيب

http://yafeapedia.net/cat-12/175

المدارس اليافعية السلفية في حضرموت

١ - مدرسة تريم:

تزعَّم هذه المدرسة الأمير عبدالله بن عوض غرامة البُعسي اليافعي (ت ١٢٥٥هـ)، الذي تأثر بالدعوة والوهابية وقد ناصرها وناصر حملتها الشهيرة، ومن أشهر رواد هذا المدرسة من الحضارم:

- السيد أبو بكر بن عبدالله الهندوان: وقد اتهمه العلويون أنه يحرض عبدالله غرامة ويدفع به(١).
- السيد علوي بن سقّاف الجفري.
- الشيخ علي بن أحمد باصبرين.
- السيد عبدالله بن حسن بلفقيه، وغيرهم(٢).

وقد كان وصول الوهابية إلى تريم سنة ١٢٢٤هـ فعاهدوا الأمير عبدالله بن عوض غرامة والمقدم عبدالله بن أحمد بن يماني - مقدم آل تميم وطائلة بني ظنة كافة - على أن يكف الأذى عن بلاديهما (تريم وقسم) شرط أن يقوما بنشر ما يريد من الدعوة إلى التوحيد التي لاقت هوى من نفوسهم وقبولًا من خواطرهم(٣).

وكان ابن غرامة ينكر على الصوفية بعض البدع فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره الذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم العلامة السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان (ت ١٢٤٨هـ) بتريم وجعله قاضيًا للبلد، فاتهم العلويون الهندوان بأنه هو الذي يعلم عبدالله بن عوض غرامة آراء الوهابية ويحثه على الإلزام بها ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتله مرات(٤).

وكان الأمير عبدالله بن عوض يذهب إلى حلقة العلامة عبدالله بن علي بن شهاب في زاوية مسجد (الشيخ علي) وعند ذهابه يأخذ معه بعض كتب الوهابية ويعطيها السيد عبدالله ويقول له: «اقرأ لنا في هذا الكتاب، فيضعه السيد علي على فخذه ويسكت حتى يضجر غرامة ويأخذ كتابه وينصرف ولا يزيد على قوله: ما تحب أن تقرأ لنا يا شريف عبدالله في هذا الكتاب»(٥).

وكذلـك له موقف آخر مع العلامة عبدالله بن حسـين بلفقيـه بعدما قال له بعض أصحابه: «لو ذهبـت إلى عبدالله بن حسـين بلفقيه لوافقك أو صارحك بالمخالفـة، ولكنك ما تقدر إلا على ابن شهاب وما عنده إلا الملاينة، ومتى أقرك عبدالله بن حسين بلفقيه ووافقك على هذا الكتاب وافقتـك حضرموت كلها»(٦) فانطلق بكتابه إلى مسـجد السـقاف حيث يـدرس العلامة بلفقيه وأعطاه الكتاب وقال له: «اقرأ لنا فيه، فقال له: أيّ كتاب هذا؟ قال غرامة: كتاب الشيخ محمد بـن عبدالوهـاب، فرماه بقوة وقـال: نحن وهابية! من جدنا محمد بـن عبدالله لا نرى فاعلًا ولا خالقًا ولا رازقًا ولا ضارًا ولا نافعًا إلا الله سبحانه وتعالى. فنهض غرامة منكسر الخاطر يلتقط الكتاب ومضى وهو يقول: بلفقيه فيه هوى، بلفقيه فيه هوى ما يحب أن يقرأ لنا في هذا الكتاب، ولما خرج من المسـجد وجد أولئك النفر يضحكون، فزجرهم وندم على فعله، وعرف أنه من كيدهم له وتوقف بعدها من الدوران في المدارس بذلك الكتاب»(٧).

ويسـتخلص ابن عبيد اللـه من هذه الحادثة فوائد مهمة منها: تواضـع غرامة لعلماء تريم، وإذا كانـت هذه معاملته لعبدالله بن حسـين بلفقيـه، وهو من المكرمين لدى خصمـه ابن عبدالقادر فمـا بالـك بغيره. وكذلـك دعايته للنحلـة الوهابية فمنهـا أن أحمد بن محمد بن علي الحبشـي رتّـب قراءة في (صحيح البخاري) في مسجد الشيخ حسين وسار على جميع السادة ليحضروا فحضروا وقال: «وددت لو أن القراءة كانت في مسـجد باعلوي، لكن أخشـى أن يشـوش علينا عبدالله غرامة بما يورده عليهم من الأسئلة أو يأتيهم به من مثل ذلك الكتاب»(٨).

وفي رسالة من الإمام الحسـن بن صالح البحر الجفري إلى ابن غرامة ما لفظه «وقد بلغنا أنك تدعو إلى التوحيد، وأنك على سبيل الرب المجيد»(٩).

ومن رسالته الآتية نعرف قوة دعوته تلك إلى مذهب الشـيخ ابن عبدالوهاب، فقد كتب غرامة للسـيد جعفـر بن عبدالله بن أحمد السـقاف(١٠) وكان يوافق غرامة إلى مـا يدعو إليه هذا نص بعض ما جاء فيها: «من عبدالله بن عوض غرامة ليد الأخ في دين الله الشريف جعفر بن عبدالله بن أحمد السقاف حفظه الله، وأخصه بالسلام ورحمة الله وبركاته، صدرت من تريم، ولا علم الأخيـر، وقـد صدر منا كتاب لكم يعلم اللـه وصلكم أم لا، وأنتم يصلون نـاس من صنعاء ولم يصـل لنا كتاب منكم مذاكرة في الله، والكتب التـي صدرتها وذكرت نروِّيها علماء حضرموت وغيرهم، فنحن كتبنا لهم كتابًا منا وقلنا لهم قصدنا تجتمعون حيث الشـريف جعفر، أرسل إلينا كتابًا وفيه مذاكرة في الله على طريقة كتاب الله وسنة رسوله، والذين يجالسون نحن يقرؤون فيه، ولما بلغ علماء السـوء أن فيه توحيد الله وترك الأنداد شـق عليهم وأوعدونا أنهم با يجتمعون، ولا اجتمعـوا، وبعد بتّلناه إلى عند القاضي الشـريف حسـين مديحـج(١١) يرويّهم إياه، وقوله أنـه رواهّـم إياه، ونحن لنا ثلاثين سنة(١٢) ندعيهم لعبادة اللـه وحده، وترك الأنداد ويجوبون علينـا ويقولـون: إننا با نعاهدك علـى الصلاة والزكاة والحج والصوم وتـرك المحرمات، وأنت

وحّد وحدك ونحن بغينا طريقة آل باعلوي، فجوبنا عليهم ما ذكرتموه لا يصح إلا بالتوحيد والفرائض حق كمثل الصلاة، وما يسمىّ صلاة إلا بالطهارة والشرك يفسد العبادة، مثل النجس يفسد الطهارة، وآل باعلوي السابقين نقول فيهم (تلك أُمَّةٌ قد خَلَت)، وذكرت في كتابك رووهم أن ما حد روّاهم، ونحن قد روّيناهم جملة كتب توحيد وترك بيت العنكبوت، أهل علوى وأهل حدرى(١٣)، وحضرنا في مجامعهم، وذاكرناهم في لله وترك غيره، أشراف وقبائل وأهل البلد وهم شاق عليهم ذكر أحسن الخالقين وحده، والأشراف ليس بغضًا أو سبة عليهم، لحيث أننا أبغضناهم في الله الحيث هم المستكبرين، ومستضعفيننا بعينهم، إن هو على هدى أو ظلال، بغوا العابدين معبودين، ومصرّين على كلمة الكفر، وشاق عليهم كلمة الله هي العليا، فهم من الأئمة التي ذكرها الله في القرآن كانوا أئمة يدعون إلى النار، وهؤلاء يدعون إلى الشرك، وكل مخالفة منهم، وقول الله إن الشياطين يوحون إلى أوليائهم، فهم اللي يوحون، يكتبون إلى الشام والهند واليمن والجاوة يكتبون ويسيرون برجولهم، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وكل مخالفة في الدين هي من الأشراف والمستضعفين يتبعونهم... ثم قال في آخر كتابه: أأرباب متفرقون خير من الله الواحد القهار كلّ يدعي شيخه، ويحلف باسمه وفرقوا حضرموت إلى حوط، والكفار مقرّين أن الله يجير ولا يجار، وذولا ملقين مجورة لغير الله، والشيخ المقبور هو الذي ينفع ويضر ويجبر، وسلم لنا على كل من وحدّ الله ونفى غيره، بتاريخ ١ جماد آخر سنة ١٢٥١هـ»(١٤). ومع هذا فقد كان شديد الاحترام للعلويين وشديد المحافظة على الصلوات والجماعات ولا يترك الصلاة خلفهم ومن شدة محافظته للصلاة يخرج حتى في الليالي الباردة(١٥).

٢- مدرسة خشامر:

كانت خشامر القاعدة التي احتضنت الدعوة السلفية وناصرتها، وكانت بلدة خشامر ملاذًا آمنًا لطلبة العلم وحملة التغيير، وكان من أشهر روادها: الشيخ عبدالحميد بن قاسم، وابنه يحيى بن عبدالحميد، والشيخ عوض عمر الرباكي، والشيخ سعيد لحمدي، والسيد أحمد بن جعفر بن زين الحبشي وغيرهم(١٦).

ففي عام ١٢٠٥هـ اتصل الشيخ عبدالحميد بن قاسم بن علي جابر اليافعي بالإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود في الدرعية وأئمة الدعوة الوهابية، وعقد معهم حلفًا يقوم بموجبه الشيخ عبدالحميد المذكور بنشر الدعوة في حضرموت، وزوده الإمام بمجموعة من الكتب، وبايعهم على نشر هذه الدعوة، والذود عنها بكل قوة، وما إن عاد إلى بلده خشامر حتى باشر الدعوة والإصلاح والتجديد مباشرة فعلية، وقد انتشرت هذه الدعوة داخل خشامر حتى عرفوا بها.

الهوامش

(١) السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره، تحقيق علوي عبدالقادر السقاف، ط١، ٢٠٠٥م، ص٧٢؛ السقاف: إدام القوت..، ص٣٥١.

(٢) السقاف: تحقيق الفرق..، ص٧٢.

(٣) السقاف: إدام القوت..، ص٥٣٩- ٥٤٠.

(٤) السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، معجم بلدان حضرموت المسمى (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)، تحقيق محمد أبوبكر باذيب، محمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص٩٥٠.

(٥) السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، بضائع التابوت نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط، ج٢، ص١٩٦.

(٦) السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٩

(٧) السقاف: بضائ..، ج٢، ص١٩٦.

(٨) السقاف: بضائع، ج٢، ص١٧٦.

(٩) السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٩٦.

(١٠) من أهل بلدة (قسم) من مؤلفاته (بغية المريد لسبيل أهل التوحيد). ينظر: السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٧٨، ١٨٠.

(١١) حسين بن علوي بن عبدالله بن سالم بن حسين بن علوي بن عقيل مديحج، تولى قضاء تريم من سنة ١٢٢٤هـ إلى سنة ١٢٦٣هـ وهي سنة انتهاء إمارة بن غرامة فعزل نفسه من القضاء وسافر إلى جاوة ثم رجع إليها. ينظر: السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٨٠.

(١٢) تاريخ الرسالة سنة ١٢٥١هـ ومن بدء تعهدهللوهابية وحطه على الإمارة سنة ١٢٢٤هـ فتقارب ثلاثين سنة.

(١٣) تطلق لفظة علوى: على أعلى وادي حضرموت، وحدرى على أسفله وهو ما انحدر منه وهي المناطق الشرقية.

(١٤) السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٧٦- ١٧٧.

(١٥) ينظر: السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٨٧.

(١٦) مقابلة شخصية مع الوالد سالم محمد بن علي جابر، ٨٠ عامًا، خشامر.

تعقيبٌ على مقال
«المدارس اليافعية السلفية في حضرموت»

بقلم/ د. محمد أبوبكر باذيب

http://batheebcultural.blogspot.com/2019/03/blog-post_24.html?m=1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد؛ فقد طالعتُ صبيحة يوم الأربعاء، ١٣ رجب ١٤٤٠هـ، الموافق ٢١ مارس ٢٠١٩م، مقالاً منشوراً في إحدى مجموعات التواصل الاجتماعي عنوانه «المدارس اليافعية السلفية في حضرموت». وبحثتُ عن مصدره، فوجدته منشوراً على موقع الموسوعة اليافعية، على الرابط التالي:

http://yafeapedia.net/cat-12/175

فرأيت في ذلك المقال ما لا ينبغي المرور عليه دون التوقف عنده، وإعادة النظر في مصادره، لأن بعض التصورات التي أدلى بها الكاتب لا تتوفق وواقع الأعلام الذين ذكرهم، فإنني بحكم معايشتي الطويلة لمصادر تاريخ وتراجم الحضارمة، رأيت الكاتب تجاوز كثيراً، وتمحل في أمور، والتقط في مواضع عبارات لا تعطي



القارئ تصوراً كاملاً للعصر الذي كتب عنه، ولا للأعلام الذين ذكرهم. فاستعنت بالله تعالى، وفرغت من وقتي بضع ليالٍ أرهقني فيها السهر، وخرجت بهذه السطور، جعلتها تعقيباً على ذلك المقال المنشور.

ثم تأكدتُ أن المقال ما هو إلا فصل أو مدخل مستلٌ من «الموسوعة اليافعية» التي صدرت عام ١٤٣٧هـ، وموضعه: في المجلد الثامن، المختص بتاريخ (يافع في حضرموت) الجزء (١٢)، ص٣٩-٣٤. وفي الحقيقة إن «الموسوعة اليافعية» عندي منذ مدَّة، مهداة من ناشرها الأخ العزيز، الشيخ أبي أسامة، محمد بن سالم بن علي جابر، حفظه الله، ومع زحمة المشاغل

لم أتفرغ لقراءتها القراءة الفاحصة، وألقيت نظرة عجلى على بعض صفحاتها، واكتفيتُ بوضعها في صف المراجع الحديثة في تراجم الأعلام.

وتلك الموسوعة لا شك أنها عمل كبير، بذلت فيها جهود، وقام عليها باحثون، وتعبوا في تحرير موادها، وتجشموا الكثير لنشرها، ولست بالمقلل من أهميتها، أو الطاعن في شأنها، وإنما هذه ملاحظات أردت أن تكون من الناشر والباحثين على بال، ليعيدوا النظر في صياغة بعض العبارات، ويكتبوا بتصور تام، فالحقيقة بنت البحث.

ورُبَّ معلومة يجدها القارئ في كتاب مَّا، كتبت على عجَل، أو كتبت عن طريق السماع وعفو الخاطر، إذا غربلتْ وعُرضت على المصادر الأصلية، سنجدها منافية ومخالفة للتصور الذي رأيناها عليه في المرة الأولى.

إن مصادر التاريخ عبارة عن أوعية، فيها الحلو وفيها المر، وإذا تطلبنا ترجمة علم من الأعلام، فعلينا أن نأتي بما له وما عليه بحسب ما ورد في المصادر الأصلية، ولا بأس أن ندرس الوقائع التي تناولته بالذم ويتم تناولها بالتحليل والتفصيل لمعرفة صدق الخبر من عدمه، لكن أن تحجب تلك الأقوال القادحة، أو ينتقى من كلام المؤرخين ما فيه مدح فقط وتخفى الجوانب الأخرى التي قيلت فيه، دون أدنى إشارة إليها فهذا تصرفٌ غير سليم، يوجب على الناقد أن يتوقف عنده ويعرض الصورة كاملة بدون تدخل.

أخيراً، فإنني أؤكد مرةً أخرى، أن هذه الملاحظات والتعقبات إنما هي للمذاكرة التاريخية حول المعلومات التي وردت في المقال المشار إليه، ودعوة لإعادة النظر في صياغته، لا تسفيهاً لمشروع الموسوعة اليافعية، ولا تقليلاً من أهميتها، صرحتُ بهذا حتى لا يأتي من يتقوَّل عليَّ ما لم أقله. ولأسرتي رضاعٌ مع بعض البيوت اليافعية، كآل الجهْوَري سكان ساحة الجهاورة بالقطن، وآل بلاغَ الله، (إن صحّ كونهم من يافع)، وهم بيت كانوا يسكنون وادي بن علي، والله يغفر للجميع، ويتولانا بفضله ورحمته.

* * *

الملاحظة الأولى

قول الكاتب: «المدارس اليافعية السلفية في حضرموت».

التعليق

[١] تكلف كاتب المنشور، وفقه الله، في هذه التسمية، فإن الموضوع الذي كتب تحت هذا العنوان لا يحتمل أن يسمى بالمدرسة البتة. لأن مصطلح (المدرسة) بمعنى: الجماعة ذات الأفكار المشتركة، مصطلحٌ حديث. جاء في (المعجم الوسيط) [١/ ٢٨٠]: (المدرسة: مكانُ الدرس والتعليم. وجماعةٌ من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنقُ مذهباً معيناً، أو: تقولُ برأي مشتركٍ، (مج). ويقال: هو من مدرسة فلانٍ، على رأيه ومذهبِه)، انتهى. [٢] النسبة السلفية، قال بعض المعاصرين: السلفي هو من اقتدى بالسنة النبوية بوجهها العام، واقتدى بإجماعات السلف، واختار ما بان له أقرب إلى الحقّ في خلاف السلف. وهذا يقتضي أن مقلدة المذاهب الأربعة ليسوا سلفيين، بل السلفي هو من يختار العمل بالراجح من الأقوال بحسب قوة الدليل في الظاهر.

وإذا نظرنا إلى المعطيات التي في البحث، لا نجد أي مقومات لمدرسة يافعية أو مدرسة سلفية في حضرموت، البتة. وتفصيل ذلك:

١- أمير من يافع، هو عبدالله غرامة، المتوفى بتريم سنة ١٢٥٥، الذي قام بتأييد ومناصرة حركة سياسية دينية وافدة على منطقة نفوذه، هي الحركة الوهابية النجدية التي قادها ناجي ابن قملا.

٢- أشخاص من بلاد وقرى حضرمية متفرقة، صدرت منهم مواقف تعلق بها الكاتب فظن أنها صادرة عن فكر سلفي! وليس الأمر كذلك البتة.

أقول: لو كان عبدالله غرامة هو منظِّر هذه المدرسة، لصحَّ أن يقال إن له مدرسةً فكريةً تنسب إليه، ولتسمَّ مثلا، المدرسة العبدلية السلفية. ولكن الأمر ليس كذلك، فهو مجرَّد مؤيِّد لحراكٍ سياسي لا أكثر! فكيف ينسب إليه ما لا يصحُّ لا تاريخاً ولا فكراً؟ وهل مجرد تأييده يجعلُ منه سلفياً؟ هل التسلف يكون بالتأييد السياسي؟ أم التسلف بمعنى اتباع السلف منهجاً وديناً يكون عن نظر ودراسة وتلق للعلم من مصادره، فهل كان غرامة طالب علم؟ وهل تصرفاته تدل على أنه كان طالب علم، أو شيخَ علم؟! المعطيات لا تفيد عن شخصيته سوى أنه كان حاكماً سياسياً فقط.

الملاحظة الثانية

قول الكاتب: «مدرسة تريم». وتقدم معنا آنفاً تعريف المدرسة، ولننظر هنا، هل يوجد في المعطيات شيء من مقومات مصطلح (المدرسة)!

ثم يقول: «تزعَّم هذه المدرسة الأمير عبدالله بن عوض غرامة البُعسي اليافعي (ت ١٢٥٥ هـ)، الذي تأثر بالدعوة والوهابية وقد ناصرها وناصر حملتها الشهيرة، ومن أشهر رواد هذا المدرسة من الحضارم: السيد أبو بكر بن عبدالله الهندوان: وقد اتهمه العلويون أنه يحرض عبدالله غرامة ويدفع به. السيد علوي بن سقّاف الجفري. الشيخ علي بن أحمد باصبرين. السيد عبدالله بن حسن بلفقيه، وغيرهم».

التعليق

الوقفة الأولى: قول الكاتب واصفاً عبدالله غرامة، بأنه «الذي تأثر بالدعوة والوهابية وقد ناصرها وناصر حملتها الشهيرة». أما المناصرة فأمر معروف. ولكن «التأثر»، ماهو؟ قرأت سيرة عبدالله غرامة مراراً لاسيما من كتاب «بضائع التابوت» لابن عبيدالله السقاف الذي جل النصوص التي في هذا المنشور منقولة عنه. ليس هناك ما يمكن أن يسمى «تأثراً»، وما كان اقتناعه إلا من باب السياسة، وقد صرح ابن عبيدالله في مواضع متعددة من كتابه، كما سيأتي.

الوقفة الثانية: تشير المعطيات إلى وجود الأمير اليافعي غرامة، سابق الذكر. والى أربعة أشخاص من علماء حضرموت، أولهم: السيد أبوبكر الهندوان، تريمي، توفي سنة ١٢٤٨هـ. ثانيهم: السيد علوي بن سقاف الجفري، من تريس، المتوفى بها سنة ١٢٧٣هـ. ثالثهم: الشيخ علي باصبرين، من الخريبة بدوعن، المتوفى بجدة سنة ١٣٠٥هـ. رابعهم: السيد عبدالله بن حسين (وليس بن حسن) بلفقيه، من تريم، المتوفى بها سنة ١٢٦٦هـ. هؤلاء الأربعة الأعلام، كلهم شافعية المذهب، وليسوا سلفية بمعنى أنهم يجتهدون ولا يقلدون! كما أنهم جميعاً أشاعرة، وليسوا سلفية في الاعتقاد بمعنى منابذة الأشاعرة، كما قد يخيل للقارئ!

فعن أي مدرسة سلفية في تريم يتحدث الكاتب؟!

التعريف بالأعلام الحضارمة الأربعة
الموصُوفين بأنهم رموز المدرسة السلفية اليافعية التريمية

وهنـا أتوقف، لأعرفَ بهؤلاء الأعلام الأربعة، تعريفاً وجيـزاً، وأركز على النقاط التي جعلت مـن هذا الكاتب وغيره يكررون ذكرهم في مصنفاتهم ويتحججون بمواقف أو كلمات صدرت منهم، فيجعلون منهم سلفيين معادين لشيوخهم وأسلافهم سواء كانوا من السادة الأشراف بني علوي أو من سواهم من أعيان الوادي. وسوف أذكرهم مرتبين على الوفيات:

الشخصية الأولى

السيد العلامة أبوبكر بن عبدالله الهندوان (ت ١٢٤٨هـ)

هو السيد الشريف، الفقيه العلامة، أبوبكر بن العلامة السيد عبدالله (ت ١١٧١هـ) بن العلامة السيد أحمد (ت ١١٢٢هـ) بن عمر (ت ١٠٥٥هـ) بن المعلم أحمد (ت بتريم ١٠٢٩هـ) بن عقيل (ت بروغة ٩٩١هـ) بن محمد بن عبدالله (ت ببر سعد الدين ٩١٦هـ) بن عمر الهندوان (ت بتريم ٩١٦هـ)، وهو جد السادة آل الهندوان، وهو ابن السيد أحمد بن حسن الورع بن علي بن محمد مولى الدويلة، إلى آخر النسب المعروف في كتب طبقات آل باعلوي ومشجراتهم الشهيرة [ينظر: الشاطري، المعجم اللطيف: ص ١٩١].

ولد بتريم، وتوفي بها. كتب في «الشجرة العلوية» عند اسمه: «كان من العلماء العاملين، والفقهاء المحققين، أهل الزهد والكرم واليقين، المتوكلين، كثير الاطلاع والحفظ، توفي بتريم سنة ١٢٤٨، وقبر في قبر والده»، اهـ. وجاء في ترجمة في كتاب «الروض المزهر» [ورقة ٦٤/ ب]: «شيخنا وحبيبنا، الحبيب أبوبكر بن عبد الله الهندوان. كان جامعاً لجميع العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وكان أفقه أهل عصره، ويرجعون إليه في الفتاوى، ولا أحد يقدر يخالفه من علماء وقته. مع زهد في الدنيا، وتواضع، وعدم مبالاة بنفسه. يخدم أهل بيته بيده، ولا يرى نفسه في جميع الأمور، ويحب المساكين، ويرحمهم. كان قليل الدنيا وكثيرها عنده قليلٌ، ينفق ما بيده، ولا يدخر لغدٍ، والغالب عليه العزلة في بيته في عيديد»، اهـ. وفي «عقد اليواقيت» [ص ٤٦٧]: «السيد الفائق على الأقران، المشار إليه بالبنان في إيضاح البيان».

شيوخه: والده الحبيب العلامة عبدالله (ت بتريم ١١٧١هـ)، والحبيب العلامة حامد بن عمر حامد (ت ١٢٠٩هـ)، وغيرهم من أهل عصره.

تلاميذه: قال في «عقد اليواقيت»: «أخذ عنه جماعةٌ من أشياخنا»، اهـ. فمنهم:

١- السيد الشريف، العلامة الحبيب عبدالله بن أبي بكر عيديد (ت ١٢٥٥هـ)، تخرج بالسيد الهندوان، ولازمه ملازمة تامة [عقد اليواقيت: ١/ ٥٤١].

٢- السيد الشريف العلامة الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر (ت ١٢٧٢هـ)، الذي يلقبه ابن عبيدالله السقاف بجبل العبادة، قرأ عليه عدة كتب في الفقه والنحو [عقد اليواقيت: ص ٤٦٢].

٣- السيد الشريف، العلامة الحبيب عبدالله بن علي بن شهاب الدين (ت ١٢٦٥هـ)، قال عنه: «الحبيب العلامة، ذو الفهم الوقاد، الذي له العلم منقاد، الفخر أبوبكر ... قرأت عليه غالباً في شرح المنهاج «التحفة» للشيخ ابن حجر، مع فحص وبحث وتدقيق وتحقيق، وفي «شرح الحكم» لباراس، وفي «تيسير الوصول» للديبع، وأجازني فيما قرأه وقرأته عليه. وفي كتب الحبيب أحمد الهندوان من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والأوراد وغير ذلك. وحضر درسي مراراً عديدة، ولم أزل معه في مذاكرة. وقد تعرض سؤالات ويعرضها علينا،

وقد نعلم عليها ولا هناك إلا علم وحق، رحمه الله رحمة الأبرار، وجمعنا الله وإياه في مستقر رحمته»، [عقد اليواقيت: ١/ ٤٩٢-٤٩٣].

٤- السيد الشريف، العلامة الفقيه الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه (ت ١٢٦٦هـ)، أخذ عن السيد الهندوان، [عقد اليواقيت: ١/ ٥٧٠]. قال في وصفه: «الشيخ الحفيل، الشريف الجليل، العلامة فخر الدين أبوبكر ... لازمته سنيناً عديدة، واقتبست من علومه فوائد فريدة، وقرأت عليه كتباً مفيدة، من جملتها في فروع الدين: «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» للعلامة ابن حجر إلا قليلا منها، وغير ذلك من تفسير وحديث وفقه وحقائق ورقائق وآلات» [عقد اليواقيت: ١/ ٦٢٠].

٥- السيد الشريف، الحبيب العلامة أحمد بن علي الجنيد (ت ١٢٧٥هـ)، أخذ عنه، وترجم له في «الروض المزهر»، وفيها: أنه صحبه في حج سنة ١٢٣٩هـ، وأن مفتي الشافعية بمكة الشيخ محمد صالح الريس الزمزمي (ت ١٢٤٤هـ) أتى لزيارته في محل نزوله، في زاوية الإمام الحداد بمكة [الروض المزهر: ورقة ٦٥/ أ].

مستندُ من جعل السيد الهندوان سلفياً

كل من ترجم للسيد الحبيب أبي بكر الهندوان يعتمد على عبارات وردت في كتاب (إدام القوت) للعلامة ابن عبيدالله السقاف (ت ١٣٧٤هـ).

العبارة الأولى

في سياق تاريخ بلدة تريس، في أثناء ترجمة السيد علوي بن سقاف الجفري (ت ١٢٧٣هـ)، فوصفه [ص ٦٥٧] بأنه: «وهابي قح»! ومناسبة ذكره: مسألة ختم المجالس بالفاتحة التي جرى حولها بحث وخلاف بين الجفري وابن طاهر، وتأييد بلفقيه للجفري، قال ابن عبيدالله بعد كلام: «ومن هذا ومن أخذ الجماعة كلهم عن السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، وهو وهابي قح، تبينتُ ..»، إلى آخر كلامه.

التعليق: هنا وقفة عند قول السيد ابن عبيدالله: (الجماعة كلهم)، فلا أحد من الآخذين عن الهندوان، ممن ذكروا في السياق المتقدم، سوى بلفقيه، وهذا سبق ذكره في عداد تلاميذه. فهذه العبارة فيها تهويل من السيد ابن عبيدالله رحمه الله. ثم إننا إذا تأملنا القضية، وهو الخلاف في قراءة الفاتحة في ختم المجالس نجده أنها مسألة فرعيةً جداً، لا يترتب عليها كبير عمل ولا كبير فائدة، وليست بالأمر الذي يجعل منكرها يعد وهابياً أو سلفياً!. على أن السيد ابن عبيدالله ذهب إلى تأييد القول بسنية الفاتحة، وقد لخص المسألة في كتابه الكبير «بضائع التابوت» [٢/ ١٢١-١٢٢].

العبارة الثانية

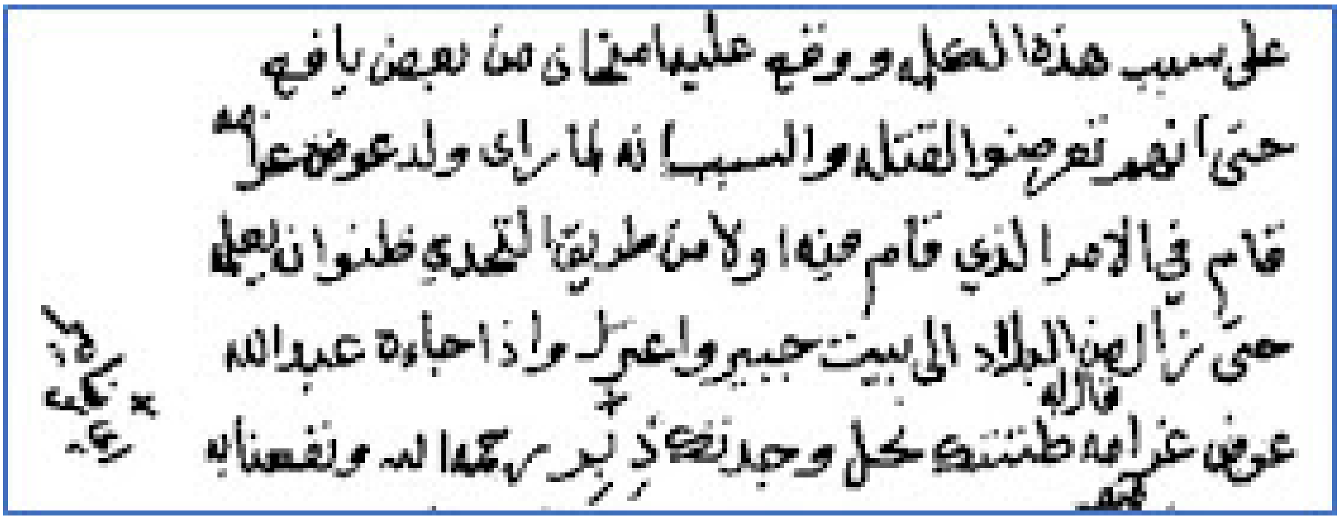
في سياق تاريخ تريم السياسي، عند ذكر عبدالله عوض غرامة (ت ١٢٥٥هـ)، قال ابن عُبيدالله [ص ٩٥٠]: «وكان ينكر بطبعِه غلوَّ القبوريّين، فوافقته آراء الوهّابيّة، وأكثر التّعلّقَ بوحيد عصره، وفريد دهره، مقدّم الجماعة، وشيخ الصّناعة، الّذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم، العلاّمة الجليل السّيّد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، المتوفّى بتريم سنة ١٢٤٨. وقد اتّهمه العلويّونَ بأنّه هو الّذي يعلّم عبدالله عوض غرامة آراءَ الوهّابيّة! ويحثّه على الإلزام بها، ومؤاخذة النّاس بمقتضاها، فتآمروا على قتله، فهربَ إلى بيت جبير، ولم يقدر عبد الله غرامة على حمايته بتريم؛ لأنّه لا يملكها كلّها»، انتهى كلامه.

التعليق

هذه العبارة احتفل بها بعض الكتاب والباحثين منهم المعلم في كتابه (القبورية في اليمن، حضرموت نموذجاً)، وقد ذكر السيد الهندوان في ٣ مواضع من كتابه، وغيره. كما لم يحدد السيد ابن عبيدالله مصدره في الموقف الذي نقله عن السيد الهندوان، وقد راجعتُ (العدة المفيدة) فلم أجد له ذكراً فيها، ولكني أتأمل أنه اعتمد على عبارة لتلميذه العلامة الجنيد في كتابه «الروض المزهر»، فإنه ذكر موقفاً لشيخه الهندوان، وهذه عبارته أنقلها بالحرف عن نسخة خطية [ورقة ٦٥/ ب، نسخة ج. الرياض]، قال: «ووقع عليه امتحانٌ من بعضِ يافع، حتى أنهم تعرضوا لقتله. والسببُ: أنه لما رأى ولدَ عوض غرامة قامَ في الأمر الذي قام فيه أولاً من طريق التحدي [النجدي!]، ظنّوا أنه يعلّمُه، حتى زال من البلادِ إلى بيت جبير، واعتزلَ. وإذا جاءَه عبدالله عوض غرامه، قال له: ظننتُكَ نحل، وجدتُك ذِبر، رحمه الله تعالى ونفعنا به»، انتهى. جاء في هامش النسخة: تعليقا على كلمة «ذِبر»: «أي: زنابير».

هذه عبارة الجنيد، فإذا كانت هي مصدر ابن عبيدالله، فإن فيها وقفات: (١) فليس في عبارة الجنيد أدنى إشارة إلى أن الهندوان خاف من العلويين البتة! وسياق كلامه يدل على أنه خاف من (بعض يافع) لتعرضهم لقتله، حيث ظنوا أن غرامة يتلقى تعاليمه من الهندوان. (٢) أن موقف الهندوان من غرامة تغير إلى النقيض، فقد اضطر بسببه إلى الخروج من تريم خوفاً على نفسه، فلم يقم غرامة بحمايته، وهو ما جعله يقرّعُه ويصفه بالذبر أي الدبابير القارصة، بعد أن كان يظن أنه نحلٌ يجنى منه العسل!.

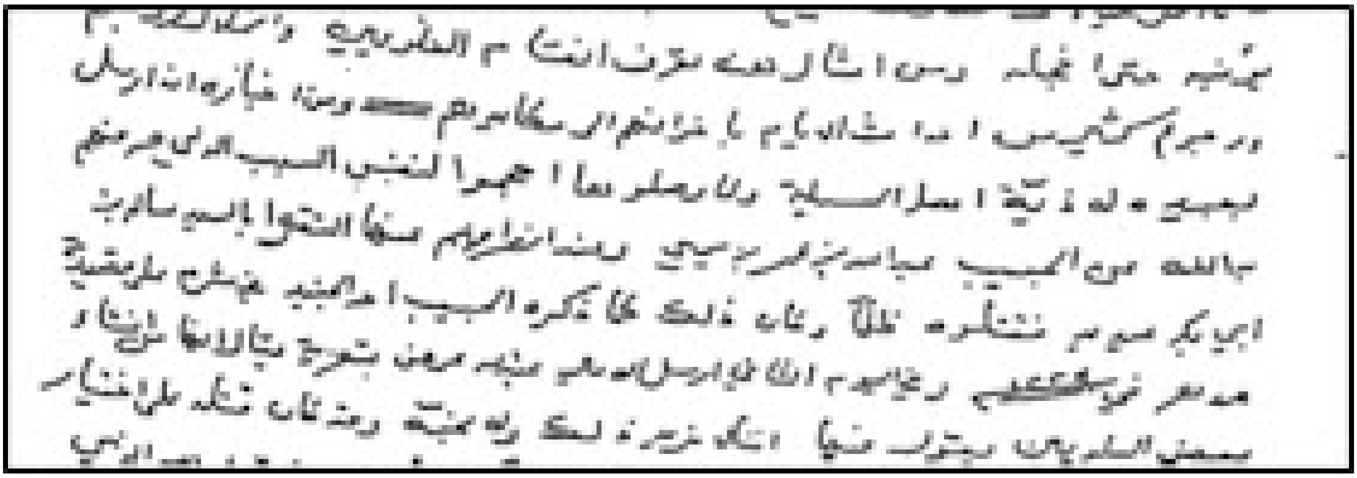
وهـذه صورة المخطوط ليتأمله القارئ ويحكم بنفسـه، ورحم الله السـيد ابـن عبيدالله فلعله تعجل القراءة من نسخة سقيمة من كتاب الجنيد، أو أنه كتبَ ما كتب من حفظه دون مراجعة الأصول، وأيا كانَ الأمر، فها هو النص بين أيدينا، وهو هذا:


على سبب هذه العلة ووقع عليها امتحان من بعض يافع
حتى أنهم تعرضوا للقتلة والسبب أنه لما رأى ولد عوض عمر
قائم في الأمر الذي قام عنه ولا من طريق التعدي ظنوا أن بعله
حتى نزل من البلاد إلى بيت جبير واعترض وإذا جاءه عبدالله
عوض غرامة ... وجدته ... رحمه الله ونفعنا به

وبعـد مراجعة «بضائع التابوت» وجدت السـيد ابن عبيداللـه [٢/ ١٢٤–١٢٥] قد أورد نص كلام الجنيد كما هو هنا بالحرف، فدل على أن ما كتبه في موضع آخر من جعل سبب هروبه غير مـا فـي هذا النـص، أنه كتبه من حفظه، لأنه لو وقف على هذا الخبـر في مصدر آخر لذكره، ولم يذكر سوى «شرح قصيدة مدهر».

العبارة الثالثة: قول السـيد ابن عبيدالله في «ادام القوت» [ص ٩٥٢]، في سياق أخبار عبدالله غرامة، وحادثة مقتل السـيد سالم عيديد سنة ١٢٢٩هـ، قال: «.. غير أنّ رصاصة أصابت السّيّد سالم عيديد، فسـقط ميّتا مع البارود، وفي اليوم الثّاني أرسل إليهم الأمير عبدالله عوض بتعزية يقولُ فيها: (إنّنا لا نريد ذلك ولا نحبّه، وإنّما كان قتله على غير اختيار منّا، لكنّ شؤم أعمالكم، والتفاتكـم إلـى غير الله، وعبادتكم للأموات والقبور، هو الّذي جـرّ عليكم المصائب، وسيجرُّ عليكم ما هو أعظم) اهـ. ويقال: إنّ هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد، المتقدّم ذكره، السّيّد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، والله أعلم»، انتهى.

ثم بعد مراجعتي لكتاب «بضائع التابوت» [٢/ ١١٦] وجدته لم ينسـب الرسالة أو المكتوب لأحد بعينه. وهذا نص كلامه: «ومن أخباره [يعني: غرامة] أنه أرسل بعبيده لأذية أهل المسيلة، ولمـا وصلوهـا أحجموا، لنفس السـبب الذي صرفهم بـه الله عن الحبيب عبداللـه بن عمر بن يحيى. وعند انصرافهم عنها التقوا بالسـيد سالم بن أبي بكر عيديد فقتلوه ظلماً. وكان ذلك كما ذكـره الحبيب أحمد الجنيد في «شـرحه علـى قصيدة مدهر» في سـنة ١٢٢٩. وفي اليوم الثاني أرسل الأمير عبدالله عوض بتعزية، يقال إنها من إنشاء بعض العلويين، يقول فيها ...»، الخ.



التعليق

مضمون عبارة «البضائع» تختلف عن عبارته في «الإدام» كثيراً. وذلك:

١- في الإدام نسب الرسالة إلى من (يقال) إنه إمام العلويين في تريم الذي لم يكن سوى السيد الهندوان. بينما نسبها في البضائع لبعض العلويين!. و(يقال) عند الفقهاء والمؤرخين: للتبرئ وإخلاء الذمة، والسيدُ ابن عبيدالله فقيهٌ، يعرف ماذا يكتُب.

٢- أفاد النص أن ابن عبيدالله اعتمد على «شرح قصيدة مدهر» للجنيد، وهذا يعزز الملاحظة التي سبقت في تفنيد القول بأن الهندوان هرب من عشيرته السادة!.

٣- عبارة «الإدام» لا تفيد إدانة غرامة وعبيده بقتل السيد سالم عيديد، بينما تثبت ذلك وتدين عبارة «البضائع».

وبهذا ينتهي الكلام على السيد الهندوان، وبيان موقفه الذي احتفل به من احتفَل، اعتماداً على عبارة (إدام القوت)، وقد كشفنا النقاب عن مصدرها، وبان الأمر على حقيقته. وإنما أطلتُ في ترجمة الحبيب أبي بكر الهندوان هنا، لأني لم أحرر ترجمته من قبل، ولم أذكره في كتابي «جهود فقهاء حضرموت» نظراً لعدم وجود تأليف فقهي له، كما هو شرطي في الكتاب.

الشخصية الثانية

السيد العلامة عبدالله بن حسين بلفقيه (ت ١٢٦٦هـ)

لـن أطيـل فـي ترجمته، فقـد ترجمتُ لـه في كتابـي «جهود فقهـاء حضرمـوت» [٢/ ٨٥٥]، وذكـرت فيه من مصـادر ترجمته، وهي: عقـد اليواقيت: ١/ ٥٦٠؛ عقود الـلآل: ص٢٥٧، و: منحة الفتاح: ص٩١، نيل الوطر: ٢/ ٧٨، تاريخ الشعراء: ٣/ ١٨٩، الأعلام: ٤/ ٨٠، مصادر الفكر: ص٢٨٤. فليرجع إليها من أراد.

وأكتفـي هنـا ببيان بعض العبارات الـواردة في ترجمته، وفي بعض مؤلفاتـه، مما يثبت تصوفه وأشعريته، وأنه لم يكن سلفياً أو وهابياً كما جاء في بعض المراجع.

١. قـال تلميـذه العلامـة عيـدروس بـن عمر الحبشـي (ت ١٣١٤هـ) في «عقـد اليواقيت» [١/ ٥٦٠]: «.. وقرأتُ عليه، وألبسني الخرقة الشريفة، ولقنني الذكر»، الخ، وكرر ذكر الإلباس وتلقين الذكر في ١/ ٥٦٢، و١/ ٥٦٣، و١/ ٥٦٦-٥٦٧.

٢. وقال [١/ ٥٦٣]: «وقال لي: أنتَ منا وفينا، صلة متصلة في الدنيا والآخرة».

٣. وقال [١/ ٥٦٤] عن حزبه المسمى «الكنز الأكبر»: «من واظبَ على قراءته أربعين يوماً متواليةً لم يخلَّ بشيء منه، لابدَّ أن يحصل له فتحٌ لا يقدَّر»!

٤. وذكر [١/ ٥٦٤] أنه كان يزور قبر النبي هود عليه السلام! وطلب من تلميذه الحبشي أن يسـلم على النبيِّ هود، وقال له: «اعتذروا لنا عنده، وادعوا لنا، وأنتم محلنا، إذ نحن مسـتمدُّون منكم».

٥. وفي [١/ ٥٦٦]: ذكر أنه تلقى الطريقة النقشبندية.

٦. وفي [١/ ٥٧٦]: توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، قائلا: «فنسأله سبحانه، مادِّين إليه أكف الضراعة، متوسلين إليه بأحب أسمائه إليه وبسيد أهل الشفاعة»، الخ.

٧. وفي [١/ ٥٨٤]: أورد سنداً عن شيوخه وفيه رجلٌ «أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة»، لأنه كان يجتمعُ به يقظةً.

٨. وفـي [١/ ٥٨٧-٥٨٨] نقـل قوله: «وما مـدَد آل باعلوي إلا من بعضهم بعضاً، فكم من مشهور في بركة مستور»، الخ.

هـذه عبـارات قليلة منتقاة، ومـن أراد المزيد فعليه بمصادر ترجمتـه، وديوانه، فهل يقول بهذه الأقوال سلفيٌ أو وهابي!؟

مستندُ من جعل العلامة بلفقيه سلفياً

أما كيف جعل الكاتبُ، وغيره من الباحثين المعاصرين، هذا السـيد العلامة الجليل من أعلام سلفية حضرموت؟ فهذا مرده أيضاً إلى ما ود عند السيد ابن عبيدالله السقاف في «إدام القوت» فعنه صدر من صدر، وعنه نقل من نقل. وفيما يلي ننقل عباراته:

[١] العبارة الأولى

قال في «إدام القوت» [ص ٦٥٧] في سياق كلامه عن مسألة الفاتحة، التي تقدم ذكرها في ترجمة السيد الهندوان، ثم عرج على ذكر العلامة السيد الحسن بن صالح البحر، ثم قال: «.. ولا يشكِلُ على هذا ما في «بغية المسترشدين» عن فتاوى الحبيب علويّ بن سقّاف الجفريّ هذا من جواز التّوسُّل؛ لأنّه إنّما يبيحُ منه ما لا يوهِم القدحَ في التّوحيد، كما لا يشكِلُ ما يوجد في بعض «مكاتبات» الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه، مع توهيبه، من الإنكار على بعضِ المتشدِّدين في ذلك؛ لأنّ ذلكَ الإنكار إنّما كان للتّهوّر وفرط الغلوّ اللّذين اشتطّ فيهما الرّجل، ..»، الخ.

التعليق

السيد ابن عبيدالله وصف العلامة بلفقيه هنا بالقول بالتوهيب، وقدمتُ قبل هذا إيراد طائفة من عباراته وأقواله مما يخالف هذا الوصفَ بتاتاً. وعلاوة على ما تقدم، فإن السيد ابن عبيدالله يثبتُ هنا أن بلفقيه يقول بالتوسل، فنسفَ بذلك كل ما يمكن أن يوصف بأنه إداناتُ توهُّبه! وأزيد: إننا لو ألقينا نظرة على «ديوانه» لوجدنا قصائد عديدة فيها توسلات بل واستغاثات. فليراجعه من أراد المزيد.

[٢] العبارة الثانية

قال في «إدام القوت» أيضاً [ص ٦٥٨]: «.. مع أنّ هؤلاء ينكرون إنكاراً شديداً على القبوريّين وجهّالهم، حسبما قاله لسانُ حالهم الشّيخ عبد الله بن أحمد باسودان، في غير موضع من كتبه، ولم يكونوا في ذلك بمقلّدين، بل كما قال سيّدي عبدالله بن حسين بلفقيه حين رمَى كتاب غرامة: (نحن وهّابيّون من أيّام محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وسلّم، الّذي جاء بتكسير الأوثان، والحنيفيّة البيضاء)».

التعليق

يريد السيد ابن عبيدالله هنا أن يقول: إن أهله وأسلافه من السادة آل باعلوي، بشهادة العلامة بلفقيه موحدون، بريئون من كل ما يصفهم به مخالفوهم، وهذه حجة على كل من ادعى أنهم على غير ذلك الوصف من التوحيد الخالص. فعلامَ إذاً ينكرون، وبماذا يحتجون؟ فإذا كان ما نقلته سابقاً من عبارات العلامة بلفقيه، تقتضي التوحيد الخالصَ عند السيد ابن عبيدالله، فما هناك إذا توهبٌ، ولا مخالفة لطريقة آل باعلوي. وعليه، فإما أن يحكم المخالف أن طريقة آل باعلوي كلها سليمة من المخالفة وهذا هو المطلوبُ. أو يحكم بتناقض أقوال السيد ابن عبيدالله، فيسقط كل احتجاج احتج به المخالفون الزاعمون توهب بلفقيه أو الهندوان. فليختر أيهما شاءَ، فالحجة واضحة، والحمدلله.

[٣] العبارة الثالثة

قال في «إدام القوت» [ص ٩٥٢]: «وقد سبقت الإشارة في تريس وغيرها إلى ميل الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه إلى بعض آراء الوهّابيّة»!

التعليق

دققنا النظر، وراجعنا العبارات، وقرأنا ما قبل وما بعد، فلم نجد شيئاً من الآراء لدى العلامة بلفقيه يستحق أن يقال إنه وافق فيه رأي الوهابية!. سوى كونه أيد معاصره العلامة الجفري في رده على الحبيب طاهر بن حسين (ت ١٢٤١هـ) المسمى «الدلائل الواضحة في الرد على رسالة الفاتحة»، وهو كتاب ضائعٌ وصفه السيدُ ابنُ عبيدالله بأنَّ مؤلفه العلامةَ الجفريَّ ترجم فيه لابن تيمية وابن القيم وللشَّيخ محمد بن عبدالوهاب، وأطنبَ في الثناء عليهم. قال في «الإدام» [ص ٦٥٧]: «ولمّا اطّلع عليها الحبيب عبد الله بن حسين كتب عليها بخطّه: (علويٌّ بن سقّافٍ يقولُ الحقَّ ولو كان مرّا)»، اهـ. فهذا هو قصارى القول في وصف ابن عبيدالله العلامةَ بلفقيه بالتوهُّب! فقط لأنه كتب تلك العبارة على ذلك الكتاب المفقود!! وأترك القارئ يحكم بنفسه، هل هذا مسوغٌ كافٍ لأن يحكم على شخصٍ بأنه وهابي!! مع ما تقدم من نقل عباراته المناقضة لأدنى المسائل التي يكفر بها المخالف لما في كتاب «التوحيد» أو «كشف الشبهات»!!

الشخصية الثالثة

السيد العلامة علوي بن سقاف الجفري (ت ١٢٧٣هـ)

لن أطيل في ترجمته، فقد ترجمتُ له في كتابي «جهود فقهاء حضرموت» [٢/ ٩١٠]، وذكرت فيه من مصادر ترجمته، وهي: عقد اليواقيت: ١/ ٦٨٨؛ و: منحة الفتاح: ص٩٩، العدة المفيدة: ٢/ ١٦٢، نيل الوطر: ٢/ ١٠٥، فهرس الفهارس: ٢/ ٧٨٩، إدام القوت: ص٦٥٦، الفرائد الجوهرية: ٣/ ٦٧٠ (ترجمة: ١١٣٠)، مصادر الفكر: ص٢٨٦. فليرجع إليها من أراد.

وأكتفي هنا ببيان بعض العبارات الواردة في ترجمته، وفي بعض مؤلفاته، مما يثبت تصوفه وأشعريته، وأنه لم يكن سلفياً أو وهابياً كما جاء في بعض المراجع.

١. جاء في «عقد اليواقيت» [١/ ٦٩٣]: ذكر مقروءات السيد الجفري على والده، قال: «.. فقرأت عليه «التعرف في الأصلين والتصوف»، وقرأت عليه «الجواهر والدرر»، وأما كتب القوم فأظن أني استوعبتُ كتب مشايخنا، كالشيخ عبدالله الحداد، و«إيضاح أسرار علوم المقربين»، و«روض الرياحين»، وغير ذلك».

٢. وفي [١/ ٦٩٣، و١/ ٦٩٦، و٦٩٧] ذكر تلقيه تلقين الذكر عن عدد من شيوخه.

٣. وفي [١/ ٦٩٧] وصف أحد شيوخه بأنه «الغارق في أبحر المكاشفة، والآخذ من العلوم اللدنية بالمشافهة!». ووصف شيخاً آخر بأنه «الجامع بين علمي الباطن والظاهر».

٤. وفي [١/ ٧٠٢] ذكر شيخه الحسن بن صالح البحر، فقال: «أجاز لي، وألبسني الخرقة مراراً، وأعطاني طاقية ملبوسة له»، إلى أن قال: «ختمت به سائر مشايخي، لأنه رضي الله عنه ختامهم باطناً وظاهراً، وقد اجتمع فيه ما تفرق فيهم»، الخ.

فهل يكون سلفياً وهابياً من يقرأ على شيوخه «روض الرياحين» لليافعي؟ ومن يعتز بالانتساب إلى عبدالله الحداد، والعيدروس! هل هذه عبارات رجل يوصف بأنه وهابي سلفي! أم سيد منتسب إلى طريق آبائه وأجداده آل باعلوي الشافعية الأشاعرة.

مستندُ من جعل العلامة الجفريَّ سلفياً

عندما نبحث عن مستند القائلين بسلفية السيد الجفري، لا نجد إلا «ادام القوت»، وها هو بين أيدينا، وتطالعنا العبارات التالية:

العبارة الأولى

قال في [ص ٦٥٦] في سياق ترجمة العلامة الجفري: «.. وكان هو وسيّدي الجدُّ محسن بن علويّ، أخصَّ تلاميذ سيّدنا الحسن بن صالح البحر، وكان الحقُّ عنده فوق كلّ عاطفة، من ذلك: أنّ بعض الوهّابيّة أنكر على آل حضرموت جعلهم ختم المجالس بالفاتحة على الكيفيّة المعلومة سنّة مطّردة، مع أنّه لا دليل على ذلك، فردّ عليه سيّدنا طاهر بن حسين بردّ خرجَ

مخرج الخطابة والوعظ، فنقضه الحبيب علويّ بن سقّاف الجفريّ هذا برسَالة سمّاها «الدّلائل الواضحة في الرّدّ على رسالة الفاتحة»، ترجَم فيها لابن تيمية، وتلميذه ابن القيّم، وللشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب صاحب الدّعوة المشهورة، وأطنب في الثّناء عليهم»، اهـ.

التعليق

هذا هو قصارى القول في سلفية العلامة الجفري! أنه أنكر على القائلين بأن ختم المجالس بالفاتحة سنة نبوية؟ وهل يقول بهذا عالم يخاف ربه! وليس هناك نص أو رائحة نص على السنية، صدرت من عالم مشهور أو مغمور من علماء حضرموت.

ورسالة الحبيب طاهر بن حسين وهي المسماة «المقالة الواضحة» بين أيدينا، منها عدة نسخ [عددتها في كتابي «جهود فقهاء حضرموت»: ٨٠٠]، ليس فيها تصريح بالسنية، غاية الأمر أنه قال: إنها عادة حسنة، وأنها من (عمل السلف) أي: سلفه من السادة العلويين، وأنها بالطريقة المعروفة ليس فيها ما يخالف ظاهر الشرع. وقد أفاض السيد ابن عبيدالله السقاف البحث في مسألة ختم المجالس بالفاتحة في «البضائع» وانتهى إلى تأييد ومناصرة القائلين بمشروعيتها.

نعم، العلامة الجفريُّ له أقوال خالف فيها بعض العادات السائدة في بعض بلاد حضرموت، كصلاة القضاء المعروفة في رمضان، وقد اشتدَّ على القائلين بمشروعيتها استناداً إلى حديث موضوع، وكلامه حق لا ريب فيه، فالحديث المزعوم فيها باطل موضوع، وقد ألف في إبطاله علماء منهم علامة الهند محمد عبدالحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) وكتابه مطبوع. ولعل القارئ يتعجبُ كثيراً إذا علم أن السيد ابن عبيدالله له رسالة يؤيد فيها القائلين بمشروعية صلاة القضاء! وأنه خرجها مخرجاً فقهياً. مخالفاً في ذلك ما ذهب إليه السيد الجفري، فهل سيصبح السقاف داعية خرافات وبدع الآن! بموجب مقاييس بعض الناس.

العبارة الثانية

قال السيد ابن عبيدالله في «الإدام» [ص ٦٥٧]: «.. فعرفت أنّ المراد بلفقيه؛ لأنّه هو الّذي لا يحبّ مؤلّف «الدّلائل الواضحة»؛ لاتّساع شقّة الخلاف بينهما في عدّة مسائل فروعيّة، تبودلت بينهما في بعضها الرّدود اللّاذعة من الطّرفين».

التعليق

عند السيد ابن عبيدالله تصوراتٌ يستغرب منها المدقق لكلامه، فهو هنا يفترض وجودَ عداوة بين عالمين متعاصرين، لمجرد وجود ردود علمية جرت بينهما. نعم، قد يكون ذلك متصوراً لو أننا لم نقف على نصوص تجعل ذلك الظن، وتلك التصورات تتبدد وتتلاشى.

لنستمع إلى كلام العلامة الجفري، وهو يذكر معاصره العلامةَ بلفقيه ويعده ضمن شيوخه، وهو الشيخ الحادي عشر في «ثبته» الذي لخصه تلميذه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في «العقد»، قال [العقد ١/ ٦٩٧-٦٩٨]: «ومنهم السيد الإمام، الجامع لمراتب أهل الكمال، الحائز لوصفي الجلال والجمال، العلم المشهور، والنور المنشور، عبدالله بن الحسين بلفقيه. كان هذا السيد من العلماء المبرزين، والمتقدمين في حلبة السباق مه المصلين. اتفقت واجتمعتُ به، وذاكرته في مسائل من الفقه والأصول، فوجدته بحراً لا تغيضه الدلاء، وبدراً لا يكسف نوره الغشاء. وطلبتُ منه الإجازةَ فأجازني كما أجازه مشايخه، بشرط أن أجيزه»، اهـ.

هل يعقل أن يكون هذا كلام رجلٍ يصف شخصاً (غير محبوبٍ) لديه!

الشخصية الرابعة

الشيخ علي بن أحمد باصبرين (ت ١٣٠٥هـ)

لن أطيل في ترجمته، فقد ترجمتُ له في كتابي «جهود فقهاء حضرموت» [٢/ ٨٥٥]، وذكرت فيه من مصادر ترجمته، وهي: نشر النور والزهر «المختصر»: عدة مواضع (حسب الفهرس)، إدام القوت: ص٣٠٧ - ٣١١، الشامل: ٥٧١؛ تراجم علماء جدة من الحضارمة: ص٣٦، الأعلام: ٤/ ٢٦٠، مصادر الفكر: ص٣٠٠؛ القلادة: ١٤٦.

وأفرده بالترجمة الباحث الأستاذ أنور علي باحميش في كتبا سماه «علامة حضرموت وجدة الإمام علي بن أحمد باصبرين، مناقشة فكر، تحديد انتماء، بيان آراء»، صدر عن مكتبة تريم الحديثة سنة ١٤٣٤هـ. فليرجع إليها من أراد.

وأكتفي هنا ببيان بعض العبارات الواردة في ترجمته، وفي بعض مؤلفاته، مما يثبت تصوفه وأشعريته، وأنه لم يكن وهابياً كما جاء في بعض الأبحاث المعاصرة.

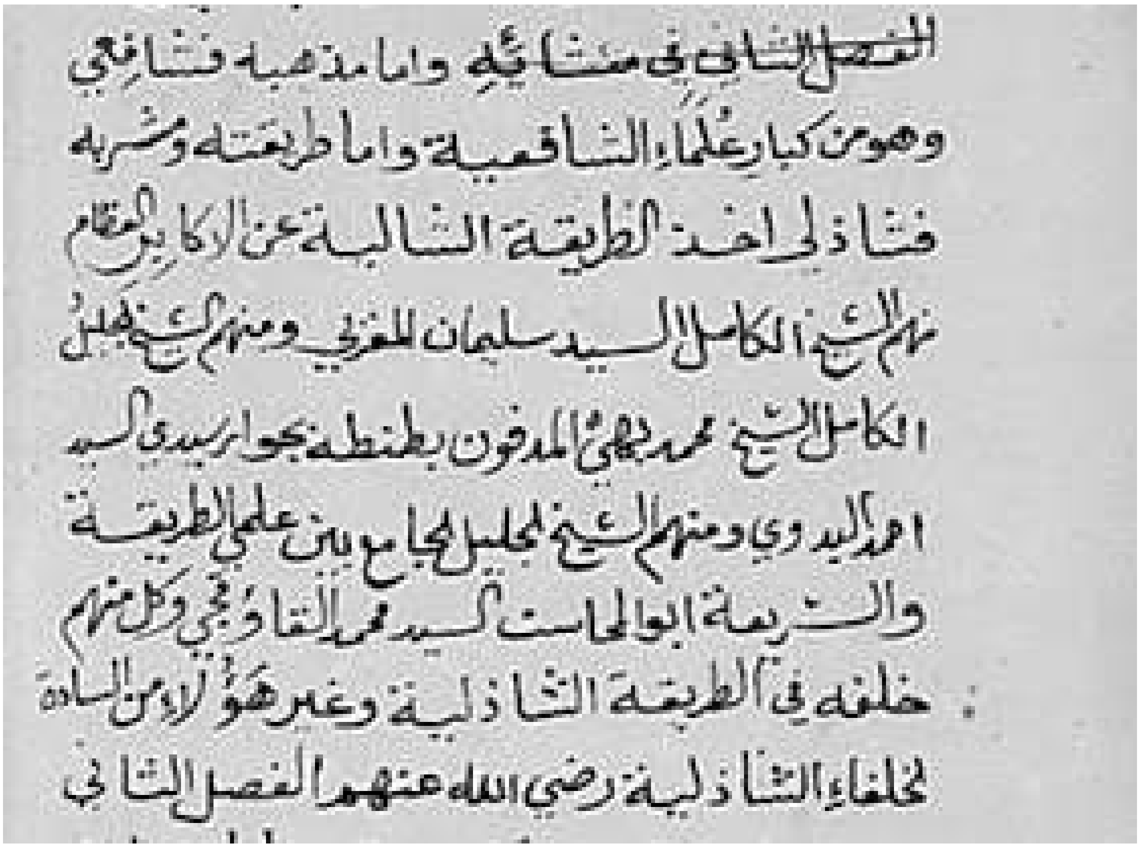
١- جاء في مناقبه التي سهل المولى تعالى لي الوقوف على نسختها الفريدة بعد سنين مضت من البحث والسؤال عنها، وهي من تأليف الشيخ الفاضل أحمد بن همام بن علي القناوي المصري، رحمه الله.


هذه مناقب فريد دهره ووحيد أوانه وعصره صاحب العلوم
الباطنة والظاهرة العلامة الشيخ علي بن أحمد باصبرين
تغمده الله بالرحمة والإحسان وأسكنه ليالي فردوس الجنان
برحمته ورضوانه لجامعه الراجي غفران الكريم الهادي
أحمد بن همام بن علي القناوي بلدا
[illegible] مذهبا

جاء في الفصل الأول منها، ذكر طريقته، قال القناوي: «وأما طريقته ومشربه، فشاذليٌّ. أخذ الطريقة الشاذلية عن الأكابر العظام. منهم الشيخ الكامل السيد سليمان المغربي. ومنهم الشيخ الجليل الكامل الشيخ محمد بهي، المدفون بطنطه، بجوار سيدي السيد أحمد البدوي. ومنهم الشيخ الجليل الجامع بين علمي الطريقة والشريعة، أبو المحاسن، السيد محمد القاوقجي. وكل منهم خلفه في الطريقة الشاذلية. وغير هؤلاء من السادلة الخلفاء الشاذلية، رضي الله

عنهم».

وهذه صورة النص مصورا عن المخطوط:



الفصل الثاني في مشايخه واما مذهبه فشافعي
وهو من كبار علماء الشافعية واما طريقته ومشربه
فشاذلي اخذ الطريقة الشاذلية عن الاكابر المقام
منهم الشيخ الكامل السيد سليمان المغربي ومنهم الشيخ الجليل
الكامل الشيخ محمد البهي المدفون بطنطه بجوار سيدي السيد
احمد البدوي ومنهم الشيخ الجليل الجامع بين علمي الطريقة
والشريعة ابو المحاسن السيد محمد القاوقجي وكل منهم
خليفة في الطريقة الشاذلية وغير هؤلاء من السادة
لخلفاء الشاذلية رضي الله عنهم الفصل الثاني

٢- كل من ترجم له من علماء حضرموت، لم يذكر عنه أنه كان سلفياً أو وهابياً، بل تتفق جميع المصادر على أنه كان شافعياً أشعرياً، مشاركاً في العلوم. وأنه كان فيه حدة في طبعه، وكان لا يخاف في الله لومة لائم. وكان شديداً على العامة في ما اعتادوه من الزيارات والمظاهر التي فيها مخالفات شرعية.

ولكن هذه الصفات لا يلزم منها أن يكون المتصف بها وهابياً، فهذا العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) أنكر في كتابه «الشامل في تاريخ حضرموت» الكثير من عادات زيارة القبور، وذكر أموراً لا يقرها الشرع ولا العرف، فهل أصبح بذلك وهابياً!. وتقدم نقل كلام السيد ابن عبيدالله السقاف على لسان العلامة المفتي عبدالله بن حسين بلفقيه: «نحن وهابيون من ..»!

٣-ذكرت في كتابي «جهود فقهاء حضرموت» [٢/ ٩٨٧] كتاباً للشيخ علي باصبرين عنوانه «كنز السعادة في أصول العبادة»، فرغ من تأليفه في ٤ جمادى الأولى ١٢٧١هـ، وقد رأيته ينقل فيه عن «حِكَم الشيخ أبي مدين شعيب التلمساني»، وعن رسالة «قواعد التحقيق لكافة الطريق» لشيخه محمد القاوقجي (ت ١٣٠٥هـ).

فلو كان الشيخ علي باصبرين وهابياً كما يقال عنه لما نقل عن هذه المؤلفات التي يرى الوهابية ضلال مؤلفيها كما هو معلوم.

مستندُ من جعل العلامة باصبرين سلفياً

سأذكر في السطور التالية أهم المسائل التي اتكأ عليها من ظن أن الشيخ علي باصبرين كان سلفيا وهابياً، وهو إنما كان فقيها شافعياً شاذلياً صوفياً أشعرياً. ولا يعني جهره بإنكار المنكرات الذي هو واجب أهل العلم في كل زمان ومكان أن يكون من الوهابية، وكأن إنكار المنكر والصدع بالحق حكر على طائفة من الناس دون أخرى.

المسألة الأولى

أعظم ما يتكئ عليه من قال بتوهيبه هو ما ورد في رسالته «الجمل من المناهي الدينية» التي ألفها سنة ١٢٩٤هـ، في بلدته القُرحة، عقب قدومه من مكة في أواخر شهر رمضان. وكان الذي أشهرها وكتب عنها لأول مرة هو الشيخ علي سالم بكير في مقالة له نشرت ضمن كتيب بعنوان «رجال وكتب» [ص ١٠٧-١٤٠]، كما ذكرت في كتابي «جهود فقهاء» [٢/ ٩٩١]، وقد نشرت مستقلة سنة ٢٠٠٧م عن مطبعة وحدين بالمكلا، بعناية أكرم عصبان. ونقل عنها قبل طبعها المعلم في كتابه «القبورية في اليمن» [ص ٥٧١ وما بعدها]، وأشاد بما ورد في كتاب «القبورية» محقق كتاب «تراجم علماء جدة من الحضارمة» للعميري [ص ٣٦ هامش].

كما للشيخ باصبرين رسالة أخرى عنوانها «إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد»، ذكرها في المسألة التاسعة من «المهمات الدينية». وأشار إليها المعلم [ص ٥٧١]، وأشاد بها محقق رسالة العميري [ص ٣٦ هامش].

بناء على ذينك الكتابين، فقد أشاد المعلم بالشيخ علي قائلاً عنه: «كان عاملاً بعلمه، داعياً إلى ماهو مقتنع به، لم يجمُد على ما كان عليه أهل مصرِه وعصره؛ بل دعَا إلى التوحيد، وحذر من الشركِ، وزيَّف الخرافاتِ، وحاربَ المنكراتِ؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت ونازعوه وحذروا منه». وقال محقق رسالة العميري: «له مؤلفات في العقيدة السنية الصحيحة، ومحاربة للبدع والخرافات والشركيات».

التعليق

في كلام الشيخ المعلم ملاحظات، أهمها:

[١] في كلام المعلم إجحافٌ شديد وغمط كبير لعلماء حضرموت، وتعريض خطير بأنهم واقعون في الشرك والعياذ بالله، وما هذا إلا لأنه يصدر عن تصور خاص به، وإلا فأهل حضرموت على علم وتوحيد وسنة والحمدلله. وقضية القبب والقبور فيها أخذ ورد وتفصيل وتطويل، وقد حذر علماء حضرموت من إفراط العوام في مظاهر التبرك وفتاواهم ومؤلفاتهم فيها نصوص كثيرة. أما رميُ الناس بالكفر والشرك فهذا مسلكٌ متشدد متشنج، حتى الشيخ

باصبرين الذي يشيد به لم يكن كذلك.

[٢] قول المعلم [ص ٥٧٠]: «ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت ونازعوه وحذروا منه». هذا قول فيه مغالطة كبيرة، وافتراءٌ على الشيخ علي وعلى معاصريه، فلم يحاربه أحد، ولم يحذر منه. كيف وكبار تلاميذه هم من أكابر وأعيان السادة آل باعلوي، كالحبيب عمر بن حسن الحداد (ت ١٣٠٧هـ) الذي وصفه بأنه «إمام في كل العلوم، حاد الطبعِ» حسب «إدام القوت» [ص ٣٠٨]. وحدة الطبع هي التي أنكرها الحبيب أحمد بن حسن العطّاس بحسب العبارة التي في «إدام القوت» [ص ٣٠٨-٣٠٩].

أما النزاع، فنعم، كان هناكَ حراكٌ علمي وأخذ ورد بينه وبين بعض فقهاء حضرموت في عصره. فمن ذلك: رد السيد العلامة سالم بن محمد الحبشي (ت ١٣٢٩هـ) المسمى «قرة العين وجلاء الرين»، رد فيه على الشيخ باصبرين في بعض مواضع من كتابه «الجمل من المهمات الدينية»، ذكرته في كتابي «جهود فقهاء حضرموت» [١/ ٩٩١؛ و: ١/ ١٠٣٧] وعرفت بمضمون هذا الرد، وقد تأدب الحبيب سالم الحبشي مع الشيخ قائلا في ديباجة الرد: «سمعت نداءك أيها الحبيب المستند، وأجبت دعاك أيها الصارخ المسترشد»، الخ. فهل هذا تحذير أو محاربة للشيخ! أم أنه سار على سنن أهل العلم في كل عصر، يردون على بعضهم البعض مع الأدب والاحترام. لماذا المغالطة؟!

كما رد عليه ونازعه أكثر من واحد في قضية الاعتماد على «شجرة الأنساب» في إثبات العصوبة، وتلك مسألة فقهية بحتة، لا تفيد إنكار الشيخ علي للشجرة العلوية البتة.

[٣] وأما قول الحبيب أحمد المحضار: «بعض الناس قوله وبوله سواء»، التي نقلها السقاف في «الإدام» [ص ٣١٠]، وقد انتهزها فرصة المعلم فقال [ص ٥٧١، هامش ٢] إنها «تدل على مبلغ العنجهية لدى هؤلاء الناس»! .. وهذا انتقاء غير محمود من الشيخ المعلم، لأن السقاف أورد في الصفحة نفسها التي نقل عنها المعلم [الإدام: ص ٣١٠] قول الحبيب أحمد المحضار في حق الشيخ علي: «.. وهو مجرب في تجربته، وحريص في أجوبته، وبالله فرض الصلاة والوضوء، ما أردته بسوء». أليس في هذا تواضع من الحبيب المحضار، وقسَمٌ منه، وهو الورع التقي، بأن عبارته السابقة لم يقصد بها الشيخ علياً .. لماذا سوءُ الطوية، والتلصص على القلوب والنفوس، والإعراض عن العبارات الواضحة إلى التحليلات النفسية الفاسدة!!

ولنقرأ العبارة التالية في «إدام القوت» [ص ٣١١] لنتعرف على أسلوب الحبيب أحمد المحضار، المعروف بترسله الأدبي، وحبه للسجع في كتاباته:

> وقال الإمامُ المحضارُ في بعضِ كتاباتِهِ بتلك المناسبةِ : (والاعتمادُ على ما قالهُ الجمهورُ ، لا ما قالهُ عبدُ الرحمنِ مشهورُ) ؛ يعني مفتيَ حضرموتَ لذلك العهدِ ، صاحبَ « بغيةِ المسترشدين » ، وهوَ لا يقصدُ خلافهُ ولا إدخالَ المساءةِ عليهِ ، ولكنهُ قامَ في طريقِ الفاصلةِ(١) وهوَ لا يُبالي بشيءٍ مِنْ أجلِها ، لأنَّهُ يمرُّ معَ خاطرِهِ بلا تكلُّفٍ ولا تطلُّعٍ .

المسألة الثانية

مسألة النذر للميت، وهي (المسألة العشرون) في «المهمات الدينية»، أوردها المعلم [ص ٥٧٢-٥٧٣]، ونقلها بنصها. ولكنها لم تعجبه، فأورد عليها ملاحظتين، ولكون الشيخ باصبرين فقيهاً محققاً، فإنه قيد تكفير الناذر للميت بوجود التعظيم. لكن المعلمَ استدرك عليه بقوله [ص ٥٧٣]: «جعل النذر شركاً إن وُجدَ الاعتقاد والتعظيمُ، هذا فيه قصورٌ. إذ النذر عبادةٌ لله تعالى وليس كما يفهمه بعض الفقهاء مجرد هبة أو عطية، ولذلك فجعله لهذا المشهد أو القبر هو في حد ذاته قربة وعبادة، وصرف ذلك لغير الله شرك، ولو لم يوجد التعظيم»، إلى آخر كلامه.

التعليق: مسألة النذر للميت تناولها فقهاء حضرموت بالذكر والتفصيل في فتاواهم، ومن راجع باب النذر في كتب الفتاوى لخرج بحصيلة طيبة. ثم إن هذه المسألة التي احتج بها المعلم على سلفية أو وهابية الشيخ علي باصبرين، لا تسعفه، لأنها خرجت مخرج الفقهاء، لا مخرج المتنطعين كالمعلم الذي حرف العبارة وصرفها عن مراد قائلها. فعجبٌ له، يستدرك على فقيه شافعي يسير وفق قواعد مذهبه! هذا لا يجوز، وهو تطاول وتسور ومصادرة لعلم ذلك العالم. فبطل بهذا احتجاجه من أصله.

ولما أن المعلم لم يجد في الشيخ علي بغيته فقد ختم ترجمته قائلا [ص ٥٧٥]: «وقد بقي لديه بعض آثار مدرسة حضرموت، لم يستطع التخلص منها، وهي قليلة في جانب ما حقق من إصابة للحق»! مشكلة احتكار الحق هذه هي معضلة عصرنا ومتطرفيه.

المسألة الثالثة

مسألة «الشجرة العلوية». جرت بين الشيخ علي باصبرين وبين بعض فقهاء عصره نزاع في الاحتجاج والاكتفاء بإثبات عصوبة وارثين بمجرد ثبوتهم في «الشجرات» المكتوبة، دون أن يعرفهم أحد من أهل بلد المورِّث. فهو لا ينكر صحة الشَّجرات، ولا ينكر أصل الشرف

والسيادة، ولا ينكر اتصال أنساب أشراف حضرموت كما توهمه بعض الناس. وقد فصلت الكلام وذكرت المصنفات التي صنفها الشيخ علي باصبرين في هذه المسألة، وأسماء العلماء الذين ناقشوه وردوا عليه، ذكرت ذلك في كتابي «جهود فقهاء حضرموت» [٢/ ٩٩٨-١٠٠١].

وأنقل هنا عبارة من كتابي المذكور لتوضح للقارئ خلاصة الكلام [٢/ ١٠٠٠-١٠٠١]: «فبان بهذا: أن الشيخ علي باصبرين بريء كل البراءة مما رماه به القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه «هجر العلم» [٣/ ١٦١٠] من أنه شكك في صحة أنساب العلويين في حضرموت. ومن أصرح القرائن في دفع هذه التهمة عن الشيخ علي باصبرين، تسميتُه لأحد مصنفاته بعنوان «الدرة اليتيمة في الشجرة العلوية الفخيمة»، كذا وجدته بخطِّه في مقدمة كتابه «إعلان نصح حكام الإسلام»، فهل يعقلُ أنَّ من يطعن في صحة النسب وثبوته (أصلاً) يصفُ شجرةَ النسب بأنها «فخيمة»!

وقد أكثر القاضي الأكوع من الطعن في أنساب كثير من الأسر ذات الشرف النبوي، حتى من سادات اليمن الأعلى المستفيضِ شرفها وانتماؤها، ولم يختص طعنه بأشراف حضرموت وتهامة فقط. وقد انبرى له وبيّن مزالقه في موسوعته العظيمة «هجر العلم ومعاقله في اليمن»: أخونا الباحث الغيور، السيد وضاح بن عبد الباري طاهر الأهدل، في كتابه «ضحايا المؤرخين» [ص ١٠٩ -١١٥].

وكتبت في هامش «الجهود» [٢/ ١٠٠٠] تعليقاً على ذكر القاضي الأكوع: «وتابعه في هذا بعض الباحثين ممن لم يقفوا على جلية الأمر، ومنهم: أخونا الباحث الشيخ طارق سكلوع العمودي، في كتابه «الخمير المفتوت، معجم المصنفات الواردة في إدام القوت» [ص ٨٩]، وقد نبهتُه على هذا في رسالة خاصّة بعثتها إليه بعد طبع كتابه الذي أهداني منه نسخة، نسأل الله العافية من الطعن في الأنساب، لأن شأنها خطير».

وقد تحدث معي الشيخ العمودي أنه سيعدل هذه العبارة في طبعة أخرى.

أخيراً، من الشواهد التاريخية على اعتراف الشيخ علي باصبرين بشرف السادة آل باعلوي، ما جاء في كتاب «تأنيس الحواس» للعلامة السيد محمد بن أحمد العطاس (ت ١٣١٨هـ) أن الشيخ علي باصبرين زار الحبيب صالح بن عبدالله العطاس (ت ١٢٧٩هـ)، قال المؤلف المذكور: «وقد زاره واتصل به منهم [يقصد: أهل القُرحة] الشيخُ الإمامُ العلامة عليُّ بن أحمد باصبرين، قصده إلى بلده عمد، وسار إلى أسفل الوادي، وادي عمد. وأرسل سيدُنا الوالد صالحٌ ابنَه محمداً معه، ووصل الشيخُ إلى حريضة، وأعجبته الجهة، جهة الوادي وحريضة، وأثنى على أهلها خصوصاً بمحبة أهل البيت، وقال: هي طريق موصلة إلى الله»، انتهى.

المسألة الرابعة

ومما يتمسك به من يقول بسلفية الشيخ علي باصبرين، رحمه الله، قصة رواها البسام في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون» [٥/ ٤٣٤] عن الشيخ محمد نصيف، أن الشيخ علياً تناول الشيخَ ابن عبدالوهاب بكلام في درسه، فقام إليه بعد الدرس طالبان نجديان كانا يحضران لديه، وتحدثا معه، ثم أحضرا له نسخاً من مؤلفاته، قال السام: «فدرسها نحو أسبوع، وهو لا يأتي للشيخ محمد بذكر لا بمدح ولا قدح»، إلى أن قال على لسانه: إنه كان مقلداً لمشايخه من غير اطلاعٍ على كتبه، قال: «وأنا أستغفر الله تعالى عما قلتُ»، إلى آخر الحكاية. وساق هذه الحكاية المعتني برسالة العميري في تراجم الحضارم بجدة [ص ٣٦-٣٧ في الهامش].

التعليق

إن اعتناق الأفكار، وتبني المنهج، لا يأتي في أسبوع ولا في شهر، وهذه القصة منقطعة السند، فالشيخ محمد نصيف ولد سنة ١٣٠٢هـ، أي أنه أدرك سنتين من حياة الشيخ علي، ولكنه أدرك ابنه أحمد وذكر في تلاميذه. والشيخ أحمد كان صوفياً قادرياً، وله رسالة مخطوطة دافع فيها عن بعض شطحات وردت في قصائد صوفية.

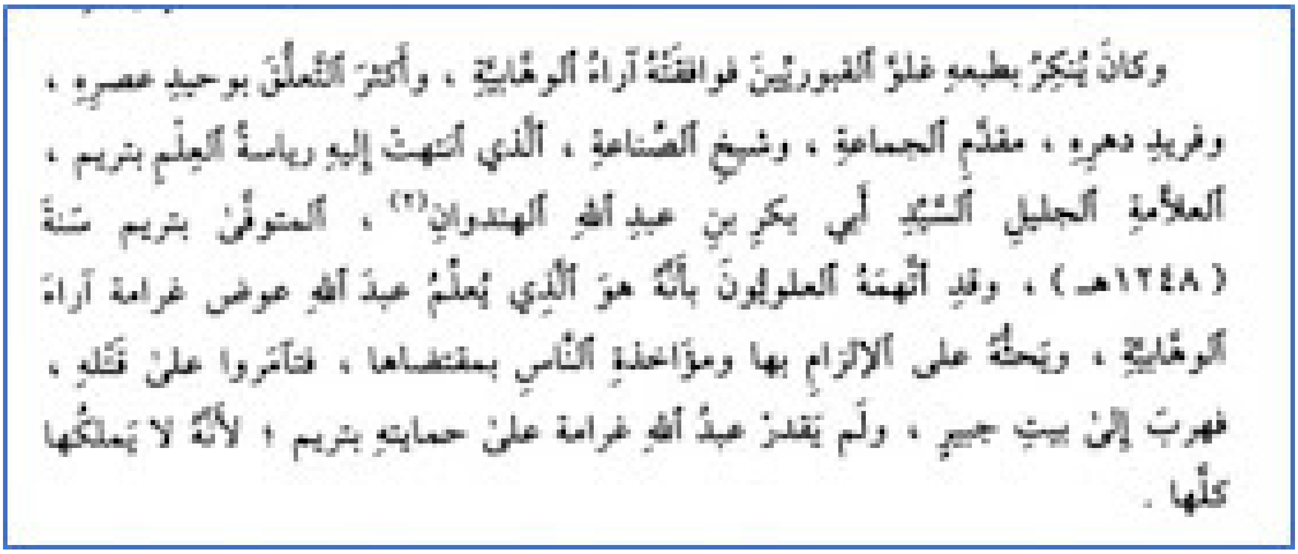
وعلى فرض صحتها، فكان ماذا! هل استغفاره من الطعن في رجل لأمر لم يتبينه يعد انخراطاً في سلك أتباعه؟ أو يخرجه عن تصوفه وأشعريته وشافعيته؟ القضية أكبر من مجرد استغفار أو تراجع عن الذم، وتسطيح الأمور واستغفال الرجال أمر لا يليق بالباحثين وأهل العلم، الشيخ علي باصبرين ليس طفلاً تذهب به كلمة وتعود به أخرى. لا هو ولا غيره، نحن نستنكر أن يلبس الناس ثياباً غير ثيابهم، وأن يكتب عنهم من زاوية واحدة، تحجب عن الناظرين رؤية سائر الجوانب المشرقة.

أكتفي بهذه السطور في توضيح شخصيات الأعلام الحضارمة الأربعة، الذين جعلهم كاتب المقال أركاناً تشيد ما سماه وأطلق عليه (المدارس السلفية اليافعية في حضرموت)، ثم خصصهم بكونهم يشكلون (مدرسة تريم)! فليس الأربعة الأعلام من السلفية، وليسوا أتباعاً ليافع، وأصلا لم توجد مدرسة يافعية سلفية على أرض الواقع، بل هي مجرد توهم وتعلق بمحال، والله الموفق والمعين.

نمضي إلى بقية الملاحظات..

الملاحظة الثالثة

قول الكاتب: «وكان ابن غرامة ينكر على الصوفية بعض البدع فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره الذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم العلامة السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان (ت ١٢٤٨ هـ) بتريم وجعله قاضيًا للبلد، فاتهم العلويون الهندوان بأنه هو الذي يعلم عبدالله بن عوض غرامة آراء الوهابية ويحثه على الإلزام بها ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتله مرات». والإحالة هنا على «إدام القوت»: ص ٥٣٩- ٥٤٠. وذلك في طبعة صنعاء، أما في طبعة دار المنهاج = ص ٩٥٠. وهذه صورة النص بفصها ونصها:


وكانَ يُنكِرُ بطبعِهِ غلوَّ القبوريِّينَ فوافقَتْهُ آراءُ الوهّابيّةِ ، وأكثرَ التّعلّقَ بوحيدِ عصرِهِ ، وفريدِ دهرِهِ ، مقدَّمِ الجماعةِ ، وشيخِ الصّناعةِ ، الّذي انتهتْ إليهِ رياسةُ العِلْمِ بتريم ، العلّامةِ الجليلِ الشّيخِ أبي بكرِ بنِ عبدِ اللهِ الهندوانِ(٢) ، المتوفّى بتريم سَنَةَ (١٢٤٨هـ) ، وقدِ اتّهمَهُ العلويّونَ بأنّهُ هوَ الّذي يُعلِّمُ عبدَ اللهِ عوضٍ غرامةَ آراءَ الوهّابيّةِ ، ويَحثُّهُ على الالتزامِ بها ومؤاخذةِ النّاسِ بمقتضاها ، فتآمروا على قتلِهِ ، فهربَ إلى بيتِ جبيرٍ ، ولَمْ يَقدِرْ عبدُ اللهِ غرامة على حمايتِهِ بتريم ؛ لأنّهُ لا يَملِكُها كلَّها .

١- وهذا النص بحرفه نقله المعلم في «القبورية» [ص ٦٣٥-٦٣٦]، ولا نجد فيه ذكراً لتولي السيد الهندوان القضاء. فمن أين أتى بها الكاتب؟.

٢- تقدم في عرضنا لترجمة السيد الهندوان عدم صحة ما قاله السيد ابن عبيدالله من أنه خرج من تريم فراراً من أهله وعشيرته السادة بني علوي، وإنما خرج بعد تهديد (بعض يافع) له وعدم استطاعة غرامة حمايته، ولا نعيد الكلام.

فبطلت بهذا هذه الفقرة من فقرات المنشور، وتبين عدم صحتها.

الملاحظة الرابعة

قـول الكاتـب: «وكان الأمير عبدالله بن عـوض يذهب إلى حلقة العلامـة عبدالله بن علي بن شهاب في زاوية مسجد (الشيخ علي) وعند ذهابه يأخذ معه بعض كتب الوهابية ويعطيها السيد عبدالله ويقول له: «اقرأ لنا في هذا الكتاب، فيضعه السيد علي على فخذه ويسكت حتى يضجر غرامة ويأخذ كتابه وينصرف ولا يزيد على قوله: ما تحب أن تقرأ لنا يا شـريف عبدالله في هذا الكتـاب». الإحالة: «بضائع التابوت»: مخطوط، ج٢، ص١٩٦ [وهو في النسـخة التي رجعت إليها: ٢/ ١١٢].

التعليق

لا أدري هـل هـي منقبة يريد الكاتب أن يثبتها، أم هـي مثلبة في حق غرامة، ففعله لا يدل على احترامه للعلامة السـيد عبدالله بن علي بن شـهاب (ت ١٢٦٥ هـ)، أحد العبادلة السـبعة فقهاء حضرموت في القرن الثالث عشـر الهجري. وهـل من احترام العالم أن يحضر عنده من يفرض عليـه قـراءة أو تدريس كتب غريبة عليه وعلى بلده وعلى المنطقـة كلها؟ ما الغرض من هذا إلا فرض وصاية سياسية على أهل العلم. عموماً، تصور الموقف لا يحتمل التعليق الكثير.

الملاحظة الخامسة

قول الكاتب: «وكذلك له موقف آخر مع العلامة عبدالله بن حسين بلفقيه بعدما قال له بعض أصحابه: «لو ذهبت إلى عبدالله بن حسين بلفقيه لوافقك أو صارحك بالمخالفة، ولكنك ما تقدر إلا على ابن شهاب وما عنده إلا الملاينة، ومتى أقرك عبدالله بن حسين بلفقيه ووافقك على هذا الكتاب وافقتك حضرموت كلها.

فانطلق بكتابه إلى مسجد السقاف حيث يدرس العلامة بلفقيه وأعطاه الكتاب وقال له: «اقرأ لنا فيه، فقال له: أيّ كتاب هذا؟ قال غرامة: كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فرماه بقوة وقال: نحن وهابية من جدنا محمد بن عبدالله، لا نرى فاعلًا ولا خالقًا ولا رازقًا ولا ضارًا ولا نافعًا إلا الله سبحانه وتعالى. فنهض غرامة منكسر الخاطر يلتقط الكتاب ومضى وهو يقول: بلفقيه فيه هوى، بلفقيه فيه هوى، ما يحب أن يقرأ لنا في هذا الكتاب. ولما خرج من المسجد وجد أولئك النفر يضحكون، فزجرهم وندم على فعله، وعرف أنه من كيدهم له وتوقف بعدها من الدَّوران في المدارِس بذلك الكتاب». أحال الكاتب هنا على: «بضائع التابوت»: مخطوط، ج٢، ص١٩٦ [وفي النسخة التي رجعت إليها: ٢/ ١١٢-١١٣].

التعليق

عبارة الكاتب توحي بأنه ينقل بالنص من «بضائع التابوت»، ولما رجعت إليه وجدت بعض اختلاف في ألفاظه، لابد من ذكرها، وهي:

١- قال الكاتب: «وكذلك له موقف آخر مع العلامة عبدالله بن حسين بلفقيه بعدما قال له بعض أصحابه: «لو ذهبت إلى عبدالله بن حسين بلفقيه لوافقك أو صارحك بالمخالفة، ..».

أقول: النص مطابق إلا في قوله (بعض أصحابه) فهي في «البضائع»: «بعض أصحابه من أنذال الحاكة»!

٢- قول الكاتب في أثناء السياق: «ولما خرج من المسجد وجد أولئك النفر يضحكون، فزجرهم». أقول: عبارة «البضائع»: «ولما خرج من المسجد ألفى أولئك الحاكة يضحكون، ..»، الخ.

٣- هناك عبارة في «البضائع» تقدم قبل سياق أخبار غرامة السابقة، في إيرادنا إياهُ توضيح مفيد، قال السيد ابن عبيدالله [٢/ ١١٦]: «وقد سبق ... أنه تعهد للنجديين بالدعاية إلى مذهبهم، والتلزم به، وحصلت منه مساعدات كبيرة لابن قمله»، الخ.

الملاحظة السادسة

قـول الكاتـب: «ويسـتخلص ابن عبيد الله مـن هذه الحادثـة فوائد مهمة منهـا: تواضع غرامة لعلماء تريم، وإذا كانت هذه معاملته لعبدالله بن حسين بلفقيه، وهو من المكرمين لدى خصمه ابن عبدالقادر فما بالك بغيره. وكذلك دعايته للنحلة الوهابية فمنها:

أن أحمـد بـن محمد بن علي الحبشـي رتّـب قراءة في (صحيح البخاري) في مسـجد الشـيخ حسين وسار على جميع السادة ليحضروا فحضروا وقال: «وددت لو أن القراءة كانت في مسجد باعلوي، لكن أخشى أن يشوش علينا عبدالله غرامة بما يورده عليهم من الأسئلة أو يأتيهم به من مثل ذلك الكتاب».

التعليق

هاهنا وقفات:

الوقفة الأولى:

أحـال الكاتب في الهامش (٨) على «بضائع التابوت» [ج٢، ص١٧٦]. بينما هو في النسـخة التـي رجعت إليهـا: [٢/ ١١٧]. ثم إن إحالة الكاتب على الصفحة ١٧٦، غريب جداً! لأن خبر القـراءة فـي مسـجد باعلوي، جاء بعد قصة غرامة مع السـيد بلفقيه بتسـعة أسطـر فقط! وكانت الإحالـةُ السـابقة إلـى [ص ١٩٦] والآن إلى [ص ١٧٦]!! كيف هذا؟ خبر في الصفحة نفسـها يحال إلى ما قبل عشرين صفحة!!

الوقفة الثانية:

قـول الكاتـب: «أن أحمد بن محمد بن علي الحبشـي رتّـب قراءة فـي (صحيح البخاري) في مسـجد الشيخ حسين وسار على جميع السـادة ليحضروا فحضروا وقال: «وددت لو أن القراءة كانـت في مسـجد باعلوي، لكن أخشـى أن يشـوش علينا عبداللـه غرامة بما يـورده عليهم من الأسئلة أو يأتيهم به من مثل ذلك الكتاب»، انتهى كلامه.

وأقول:

أولا: السـيد الحبشـي هو أحمد بن محمد بن عبدالله الحبشـي، جده عبدالله، وليس (علي) كما وقع للكاتب. وهو من الأعلام الأجلاء، توفي في مدينة جامبي بأرض جاوة سنة ١٢٣٨هـ، ترجمت له في «جهود فقهاء حضرموت» [٢/ ٧٨٨-٧٩٠]، ونقلتها عني دار المنهاج ووضعتها فـي مقدمـة كتاب «النصيحة في الصـلاة الصحيحة» تأليف الحبيب أحمد بـن محمد المذكور، والحمدلله.

ثانيـاً: كـلام الحبشـي المتعلق بخشـيته من غرامـة أورده الكاتب بهـذا النـص: «وددتُ لو أن

القراءة كانت في مسجد باعلوي، لكن أخشى أن يشوش علينا عبدالله غرامة بما يورده عليهم من الأسئلة أو يأتيهم به من مثل ذلك الكتاب».

١- بينما عبارة «بضائع التابوت» [٢/ ١١٧]: «وددت أن القراءة كانت في مسجد باعلوي، ولكن أخشى أن يشوش علينا عبدالله غرامة، اهـ. وما أظن تشويشه إلا بما لعله يورده عليهم من الأسئلة، أو ما يأتيهم به من مثل ذلك الكتاب برسالة من غرامة».

٢- وهذا نص عبارة الجنيد [ورقة ٩١/ أ]: «وددتُ قراءة «البخاري» في مسجد آل أبي علوي، لكني خاشي بن غرامة يحضُر يشوِّش علينا».

وأترك المقارنة للقارئ الحصيف، وأكتفي بالقول: إن التاريخ نقل، والنصوص التاريخية حساسة، ينبغي نقلها بنصها من مصدرها، لأن نقلها بالمعنى ينبني عليه فهم وتحليل، فلو كان النص صحيحاً لجاءت التحليلات صحيحة، والعكس بالعكس.

الملاحظة السادسة

قال الكاتب: «وفي رسالة من الإمام الحسن بن صالح البحر الجفري إلى ابن غرامة ما لفظه «وقد بلغنا أنك تدعو إلى التوحيد، وأنك على سبيل الرب المجيد»(٩).

التعليق

هاهنا وقفات:

الوقفة الأولى: أحال الكاتب في الهامش (٩) إلى «بضائع التابوت» [ج٢، ص١٩٦]، بينما الموضع في النسخة التي رجعت إليها [٢/ ١٢٩]. فهو بعد الموضع الذي فيه قصة غرامة مع بلفقيه وعبارة الحبشي في قراءة الحديث .. باثني عشر صفحة لا غير.

الوقفة الثانية: يوحي صنيعُ الكاتب بما اقتبسه من رسالة العلامة البحر أنه يثني على غرامة، وهذا غير صَحيح. فإن الرسالة شديدة اللهجة للغاية، وكلها تقريعٌ ولوم وتخويف لعبدالله غرامة على الظلم الواقع منه على الرعية، وهذا نص الرسالة نقلا عن «مجموع مكاتبات الإمام البحر» [٢/ ٨٧١-٨٧٤]، وهي بنصها وفصها في «بضائع التابوت» [٢/ ١٢٩-١٣٠].

(١٥٧) مكاتبة أخرى
[إلى حاكم تريم، عبد الله بن عوض غرامة]

بسم الله الرحمن الرحيم

«وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون».
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب عليها فيما أسرت به وأعلنت، فإن أجابت لأمره سعدت وأفلحت، وإن تأبت عليه أخذت وقصمَتْ، ولم يجزم بها ما به طغَتْ واستكبرتْ، ونفَذت وتمردت.

والصلاة والسلام على من طهّر الله به الدين القويم، وهدى به إلى الصراط المستقيم، فقال في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وعلى آله الفائزين بقربه واتباعه بالمقام الكريم، وصحابته التابعين له على النهج القويم.

من حسن بن صالح بن عيدروس البحر الجفري.

إلى عبد الله بن عوض غرامة.

السلام عليك إن كنت محباً للحق، وسامعاً للنصيحة في الدين، وإلا فلا سلامَ إلا على المؤمنين المهتدين، الذين لم يلبسوا في الدين، ولم يسلكوا سبيل المعتدين الظالمين.

٨٧٢

وبعدُ،

فهذه تذكرة وتبصرة لمن أجاب لباريه بما أمره، وحجة قائمة على من طغى ومعذرة. وقد بلغنا منك أنك تدعو إلى التوحيد، وأنك على سبيل الربّ المجيد، ولم يبلغنا من أفعالك إلا فعلُ كل جبار عنيد، وأتباع الشيطان المريد، وظلم من اصطفاهم الله من العبيد الذين طهّرهم الله في نص كتابه المجيد، إذ قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وهذه إرادته جلّ وعلا بتطهيرهم في أزل الآزال، كما أن إرادته قديمةٌ كوصفه القديم، وقد أراد تطهيرهم، ولا مانع لإرادته، ولا معقِّب لحكمه، ولا مرجِّسَ لتطهيره.

وقال جل شأنه لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، فلم يطلب الله جل وعلا من جميع عباده على ما دعاهم إليه، وما امتنَّ عليهم من نعمة الإسلام والإيمان، إلا مودةَ أهل بيته، فمن لم يودَّهم ولم يحترمهم فجديرٌ أن لا يكون له من الإسلام والإيمان نصيب.

وقال عليه الصلاة والسلام في الصحيح المروي عنه: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما». فما حال من لم يكن من حياطهم ولم يجد سبيلهم إلا سبيل الظلم والعناد، والبغي والفساد، وعظم الرزية والفرية يوم التناد، والاحتراق بنيران الأسف يوم يقومُ الأشهاد، يوم فرار الآباء والأمهات من

الأولاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم إذ حقّت عليهم الكلمة بالخسران والإبعاد.

وهذه نصيحتنا لك يا عبد الله، إن كنت من عباده المطيعين، الخائفين المشفقين من عذابه، فإن قبلتها فهنيئاً لك بغنيمة السلامة، والفوز بالكرامة، وكنت من المؤمنين الذين إذا دُعوا إلى الله، قالوا: سمعنا وأطعنا. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أيما عبد، ... الخ»[1]. فإن كانت لك يا عبد الله سابقةُ عناية، ولك من قدم الصدق نصيب، سمعت وأطعت، وإن لم يكن لك تعاظمت واستكبرت، وخالفت وتمردت.

وهذه نصيحةُ حقٍّ وكلمة صدقٍ، ممن لا يرى في الوجود غير مولاه، ولا يركن إلى أحد سواه، ولا يرفع إلى غيره سراءه ولا ضراءه، وإن لم تقبلها فقد قامتْ عليك، وبلغتك المعذرة. وسترى إن شاء الله ما في ضمن مخالفتها من العطب، وسوء المنقلب، وإن كنت مطيع، وللنصيحة سميع.

فبادر إلى إخراج هؤلاء الأشراف الذين أهنتهم، وخوّفتهم وروعتهم، وروعت أهاليهم وأطفالهم، وبذلك تسلم من عاجل العقوبة، وشر المثوبة، ونحظيك بدعوة مستجابة، يصلح بها شأنك، ويحفظ بها إيمانك، وإلا رميناك بالسهام الصائبات، بالدعوات المستجابة عند المجيب، لخاصته وأحبابه. وما أغرك وما أقلك، وما أصغرك وما أذلّك، على جبار السماء.

---

(١) لعله يقصد ما أخرجه الدارقطني من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «أيما عبد أصاب شيئاً مما نهى الله عنه، ثم أقيم عليه حده كفر ذلك الذنب عنه».

٨٧٤

والسلامُ على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وهذا لك ولمن ساعدك على الظلم، وأجرأك عليه، بل موعظة لنا ولكَ ولسائر المؤمنين والمؤمنات».

* * *

ومن باب التأكيد على موقف العلامة الحبيب حسن بن صالح البحر من غرامة، ومن عموم الطوائف اليافعية، فهذا نص آخر من «مجموع الإمام البحر» [٢/ ٨٢٣] من أثناء رسالة وجهها العلامة البحر إلى سلطان حيدرآباد، يقول فيها:

حتى خرجت الفئة الباغية اليافعية، وأوقعت بالناس كل أذية وبلية، مما لا تسع شرحه السطور، وتضيق عن بدأته الصدور، فخرّبوا الملك وممالكه، وطرد من كان فيه، وشرّدوا بهم في البعاد، وشتتوهم في البلاد، وأخربوا ديارهم، ومحوا آثارهم، وعطلوا مشاعرهم، وفعلوا بهم وفيهم ما لا يفعله الكفار، من بيع الأحرار، وهتك الأستار، وإهانة العلماء الأبرار الأخيار، وغير ذلك من المنكرات والمضارّ.

الملاحظة السابعة

قول الكاتب عن عبدالله غرامة: «ومن رسالته الآتية نعرف قوة دعوته تلك إلى مذهب الشيخ ابن عبدالوهاب، فقد كتب غرامة للسيد جعفر بن عبدالله بن أحمد السقاف(١٠) وكان يوافق غرامة إلى ما يدعو إليه». ثم أورد نص الرسالة، ولا أطيل بنقلها هنا، فتنظر في أصل المقال الموجود على الرابط.

ثم قال الكاتب: «ومع هذا فقد كان شديد الاحترام للعلويين، وشديد المحافظة على الصلوات والجماعات، ولا يترك الصلاة خلفهم، ومن شدة محافظته للصلاة يخرج حتى في الليالي الباردة»(١٥).

الهوامش: قال الكاتب في الهامش (١٠) معرفاً بالسيد جعفر السقاف: «من أهل بلدة قسم، من مؤلفاته: «بغية المريد لسبيل أهل التوحيد». ينظر: السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٧٨، ١٨٠».

وفي الهامش (١٥) ينظر: السقاف: بضائع..، ج٢، ص١٨٧.

التعليق

هنا وقفات:

الوقفة الأولى:

[١] في عزو الكاتب ترجمة جعفر السقاف إلى «البضائع»، هو كذلك، ولكنه في النسخة التي رجعت إليها [٢/ ١٢٠]. وقد تردد السيد ابن عبيدالله في نسبه أولاً، فظن أنه من السادة آل باعقيل السقاف، ذرية حسين طه (آل شبام) الذين انتقلوا إلى صنعاء، ثم انتهى إلى الجزم بأنه من قسم، بقرينة ورود اسمه في «رسالة» من العلامة عبدالله بن حسين بلفقيه إلى الشيخ رضوان بارضوان.

[٢] وعن تأليفه المذكور، قال السيد ابن عبيدالله [٢/ ١١٨]: «وأما المكتوب إليه من آل السقاف بصنعاء، وقد رأيت له رسالة فيها ما لا مزيد عليه من الإفراط والتهافت، سماها «بغية المريد لسبيل أهل التوحيد»، بعث بها إلى سيدنا علوي بن سقاف الجفري، لسابق معرفة بصنعاء أو بحضرموت»، الخ.

الوقفة الثانية: قول الكاتب «ومن رسالته الآتية نعرف قوة دعوته تلك إلى مذهب الشيخ ابن عبدالوهاب». أما الرسالة فقد أورد ابن عبيدالله نصها، ونقلها الكاتب، وهذا لا غبار عليه. ولكنه نقل النص وسكت، ولم ينقل تعليق ابن عبيدالله على الرسالة، وما قاله في وصفها.

وإليك أيها القارئ كلام السيد ابن عبيدالله من «البضائع» [٢/ ١١٨]، بعد أن أورد تاريخ الرسالة وهو فاتحة جماد آخر سنة ١٢٥١، قال: «هذا آخر ذلك الكتاب، وقد نقلناه برمته، إلا

كلمات يسير لم نفهمها، وأغلب الظن أنها مكررة، وهو كتاب عامّيٌ ضَعيفٌ، لم يشهَدهُ أحدٌ من فحُول أصحابه العلويين، وكأنه تفرَّس عدَم رضاهم، لما فيه من الإفراطِ، على ما سنبينه. وإلا فقد كان فيهم من يذهبُ إلى مثل مشَارب الوهابية، ولكن باعتدالٍ»، انتهى.

كما علق السيد ابن عبيدالله على «رسالة غرامة» للسيد جعفر السقاف، بقوله [٢/ ١٢٠]: «وأما ما رجَم به العلويِّين من الأوهَام، وسُوء الاعتقاد، وعبادةِ القبور، فأمرٌ ينكرهُ الحسُّ، بالنسبة لعلمائهم وعُقلائهم. ويكفي لتكذيبه في حقِّ أولئك: ما سبقَ عن الإمام عبدالله بن حسين بلفقيه. وإنني لمن أشدِّ الناس إنكاراً على من يفعل بعض ذلك، وكثيراً ما أستمدُّ حجَّتي في الإنكار على المغرُورينَ من أقوال السادة العلويين»، إلى آخر كلامه.

الوقفة الثالثة: على قول الكاتب واصفاً غرامة بأنه «.. كان شديد الاحترام للعلويين».

أقول: هذا قول ابن عبيدالله، لا شك فيه، ولكنه جاء بعد كلام طويل جداً، استغرق صفحة كاملة [٢/ ١٢٤] من «البضائع»، وحتى يقف القارئ على حقيقة رأي السيد ابن عبيدالله في عبدالله غرامة، فأجدني مضطراً لنقل كلامه كله بالحرف، ليعلم موقع العبارة المختارة من بين سائر الكلام.

قال السيد ابن عبيدالله [٢/ ١٢٣-١٢٤]: «ثم إن الأمير عبدالله غرامة، لم يكن رجمه العلويين بتلك الدواهي، إلا تزيينُ كلام، وتفنقٌ لدى المكتُوب إليه، وموافقته له على غلوِّه وإفراطِه،، وإن لم يكُن عن حقيقة ولا خبرة ولا معرفة.

أما **أولاً**: فلأنه عاميٌ بَسيطٌ، لا يعرفُ مدلولاتِ الألفاظ.

وأما **ثانياً**: فلأنه لا يمتزج إلا بأحد ثلاثة: (١) إما عاميٌ غالٍ في اعتقاده، فينسحِبُ عليه ما ذكره الشيخ عبدالله باسودان. وهؤلاء يشافِهون الأمير بالطّوام، ويقارعونه الحجة، وينازِعُونه الكلام، لأنه كما نقول: لين الجانبَ لرعاياه، لا يغتصِب الحجة بالقوة، ولا يصادر جلسَاءه الكلامَ. وإنما يكون معهم كأحدهم، وإذا قارعوه بالمصَائب؛ توهَّم أن ما عندهم من الغرور والجهل هو الذي عند كثير من علماء العلويين! (٢) وإما رجلٌ متعرف، غير أنه امتلأ قلبه بضبابِ الأحقاد على إخوانه، فيقارب الأمير، ويصوّرهم لديه بخلاف ما هم عليه، وهو يعِينون على أنفسِهم بتصْميمهم على الابتعاد عنه. (٣) وإما صاحبُ تقوَى ودينٍ، كمثلِ الآتي ذكرهم، وهو لا يجسُر أن يتفوَّه أمامهم بما يجرحُ به شيئاً من عواطفهم.

فتعيَّن أنه غير جادٍّ فيما يقول، وإنما يتفنّقُ به عند من لعله يبلغه ممن اقتطع لهم على نفسه العهد بنشر دعوتهم، أو يرى أن صنيعه ذلك يخرجه عن العهدة التي التزم بها، وهو من أهل الوفاء، غير مدافع، لا يخلف وعداً، ولا ينقض عهداً.

ولقد كان جلساؤه يناقشونه الحسابَ في معتقده، وينازعونه شق الأبلمة، ويسفهون رأيه، ويقابلون إفراطه بأشد منه، ولا يصبون له القهوة إلا بعد الدعوات المختومة بالفاتحة، شاء أم

أبى.

ومن المعلوم أن حججهم لن تكون إلا قصصاً مموهة، وحكايات مشوهة، من جنس ما ننكره على أتباع المتحرشين بالولاية، من عشاق الجاه المنفوخ، والصلاح الأجوف. فإنهم يدعون لمتبوعيهم ما يصلح إلا لجبار السماوات والأرض، وذلك ما يفيضُ به قلمي حسرات، ويتقطع من نظمي [كلمتين غير واضحتين] وعبرات. وهؤلاء من أكبر مصائب الدين، وأوثق مسائل الملحدين. وأنا لا أدافع عنهم:

لا نذودُ الطَّير عن شَجرٍ قد بلَونا المرَّ من ثمرِه

وإنما أدافع بالحق عن محبي العلويين وعلمائهم.

ولو أنه صدقَ فيما يقول عنهم، إن أرادهم، لما صحت له خلف أحد منهم صلاةٌ، والحالُ أنه شديدُ المحافظة على الجماعاتِ خلفَهم، حتى في البرْدَين. ولو أنه جدَّ فيما هو بصدَده لحملَ عليه بالقوة، إذ لا هوادةٍ في دين الله. لكنه لم يكُن إلا شديدَ الاحترام للعلويين، كما عرفتَ من سكُوته للحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه على رمْيه لكتابه. وفي إعظامِه سيدنا الحسن بن صالح البحر مع خشُونته له، ما لا يخفى»، انتهى.

الملاحظة الثامنة، وهي الأخيرة

قول الكاتب: «٢- مدرسة خشامر: كانت خشامر القاعدة التي احتضنت الدعوة السلفية وناصرتها، وكانت بلدة خشامر ملاذًا آمنًا لطلبة العلم وحملة التغيير، وكان من أشهر روادها: الشيخ عبدالحميد بن قاسم، وابنه يحيى بن عبدالحميد، والشيخ عوض عمر الرباكي، والشيخ سعيد لحمدي، والسيد أحمد بن جعفر بن زين الحبشي وغيرهم.

ففي عام ١٢٠٥هـ اتصل الشيخ عبدالحميد بن قاسم بن علي جابر اليافعي بالإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود في الدرعية وأئمة الدعوة الوهابية، وعقد معهم حلفًا يقوم بموجبه الشيخ عبدالحميد المذكور بنشر الدعوة في حضرموت، وزوده الإمام بمجموعة من الكتب، وبايعهم على نشر هذه الدعوة، والذود عنها بكل قوة، وما إن عاد إلى بلده خشامر حتى باشر الدعوة والإصلاح والتجديد مباشرة فعلية، وقد انتشرت هذه الدعوة داخل خشامر حتى عرفوا بها».

التعليق: هنا وقفات أيضاً، كما تقدم:

الوقفة الأولى: قدمت في الملاحظة الأولى تعريف المدرسة لغة واصطلاحا، وبينت أنه لا يصح أن يقال (مدرسة تريم اليافعية السلفية) لعدم اكتمال أركانها، فبطلت ماهيتها من الأصل، والكلام نفسه يقال عن (مدرسة خشامر). هناك حركة عسكرية أتت امتدادا لنفوذٍ مَّا تحت شعار ومسمى ديني، وجدت لها صدًى وقبولاً. فهل هناك رأس لما يسمى (مدرسة خشامر) يدور عليه أمرها، ويعد مؤسساً لتلك (المدرسة)! فإذا وجد، فمن شيوخه، ومن تلاميذه؟ وما تأثيره في المحيط.

الوقفة الثانية: قول الكاتب: «وكانت بلدة خشَامر ملاذًا آمنًا لطلبة العلم وحملة التغيير، وكان من أشهر روَّادها: الشيخ عبدالحميد بن قاسم، وابنه يحيى بن عبدالحميد، والشيخ عوض عمر الرباكي، والشيخ سعيد لحمدي، والسيد أحمد بن جعفر بن زين الحبشي وغيرهم».

التعليق: ليت الكاتب ذكر لنا أسماء المدارس التي ظهرت في خشامر، وشيوخها ومخرجاتها. فأما الأشخاص الذين ذكرهم، فليسوا من خريجي خشامر، ولم يدرسوا فيها شيئاً من العلم الشرعي كما يعلم من تراجمهم في «الموسوعة». أما الشيخ عبدالحميد وابنه، فهما زعيمان قبليان، وليسا من شيوخ العلم. وأما الشيخ سعيد، فهو من القطن، وطلب العلم في تريم والمكلا، وتولى القضاء في عمان. وأما السيد الحبشي فقد طلب العلم في بلده حوطة أحمد بن زين، ودخل خشامر لأسباب سيأتي ذكرها.

فبطل بهذا قول الكاتب: إن المذكورين «كانوا من أشهر روادها» رواد ماذا؟ هل بمجرد بسبب دخول شخص ما إلى بلد لزيارة ولقاء، نطلق عليه أنه من الرواد؟ أو نصنفه محسوباً على مدرسة لا وجود لها أصلا؟!

التعريف بالأعلام الموصوفين بأنهم من مدرسة خشامر السلفية

ذكر الكاتب خمسةً من أعلام مدرسة خشامر بحسب كلامه، وقد وجدتُ لهم ذكراً في المصادر والمراجع المتوافرة، إلا «الشيخ عوض بن عمر الرباكي»، فلم أجد له ترجمة. نعم، في «الموسوعة» [٨/ ٦٨٠] ترجمة لعلي بن عوض الرباكي، كان عسكريا شارك في بعض الأحداث، ودخل تريم سنة ١٢٦٥هـ.

الشيخ عبدالحميد بن قاسم
(كان حيا سنة ١٢٢٧هـ)

جاء في ترجمته أنه سعيدي من الموسطة، ولد في خشامر، وبها نشأ وترعرع، وتلقى تعليمه في كتاتيب القرية ومعلمة [كذا، ولعلها: عُلمَة] مسجد خشامر. وأنه سافر إلى نجد سنة ١٢٠٥هـ وأنه كان متحمساً للدعوة السلفية، إلى آخر ما جاء في الترجمة. وليس فيها ما يدل على مواصلته طلب العلم مما يخوله أن يكون (من رواد المدرسة السلفية).

الأمر الغريب في ترجمة الشيخ عبدالحميد، أن المعلومة الأهم في الترجمة الإنشائية التي استغرقت صفحتين من «الموسوعة» [٨/ ٣٠٥-٣٠٦] هو توثيق رحلته إلى ديار نجد، فليس للكاتب فيها مصدر سوى كتاب «بلاد الأحقاف»، تأليف: سالم الجرو [ص ٦٣]. هل يعقل أن معلومة مهمة كهذه لا يجد كاتب في «موسوعة» لها مصدراً سوى مؤلَّف معاصر! بينما معلومات أقل أهمية من هذه نجد لها في هوامش الموسوعة توثيقا بذكر جملة من المصادر مطبوعة ومخطوطة.

ومن باب الفائدة: فهذه المعلومة وردت في مقال شيخنا الشيخ عبدالله الناخبي (ت ١٤٢٨هـ) رحمه الله المنشور في «مجلة العرب»، العددين ٥ و٦ من السنة ٢٧، بتاريخ ذي القعدة/ ذي الحجة ١٤١٢هـ [ص ٣٨٧-٣٨٨].

الشيخ يحيى بن عبدالحميد بن قاسم
(القرن الثالث عشر الهجري)

جاء في ترجمته في «الموسوعة اليافعية» [٨/ ٧٤٩]: أنه ولد في خشامر، وأنه قام بمهمات والده بعد وفاته، ولم تؤرخ وفاة صاحب الترجمة. وليس فيها ما يدل على طلبه العلمَ أو اشتغاله به حتى يصحَّ للكاتب أن يدرجَه في (رواد المدرسة السلفية اليافعية).

وقفة: جاء في ترجمته في «الموسوعة» [٨/ ٧٥٠]: أنه «في عام ١٢٢٧هـ سافر يحيى بن عبدالحميد إلى نجد ليجدد ما قد أبرمه أبوه عام ١٢٠٥هـ، بعد اثنين وعشرين عاماً من اللقاء الأول»، الخ. وبالنظر إلى مصدر هذه المعلومة في هوامش التوثيق، لا نجد مصدراً قديماً، وكل المراجع حديثة معاصرة، سوى «إدام القوت»، على أنه لم يرد فيه ذكر للمترجم هذا أصلاً، ولا

تأريخ لرحلته تلك!

وقفة أخرى: ذكر ضمن مراجع ترجمة يحيى بن عبدالحميد بن قاسم، في الهامش (١) «إدام القوت» [ص ٤٩٤، و٥٠٠]، لكن يحيى بن عبدالحميد المذكور في هذين الموضعين من كتاب «الإدام» إنما كان «نائباً للسلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي»، وله مشاركة في حادثة جرت سنة ١٣٣٠هـ، عمر إلى سنة ١٣٦٦هـ وهي السنة التي لقيه فيها السيد ابن عبيدالله السقاف، وقال في حقه: «وشيخُ آل عليّ جابر الآن: يحيى بن عبد الحميد، قد خنقَ من عمره التّسعين، وهو من بقايا الكرام». وعلى هذا، فلا شك أن تلك الإحالة غير صحيحة، وليست في محلها، وإلا لكان عمر الرجل الذي قابله ابن عبيدالله لا يقل عن ١٦٦ سنة!!

جدير بالذكر: التنبيه على شخصية أخرى تحمل الاسم نفسه، هي شخصية: يحيى بن عبدالحميد بن صالح بن عبدالحميد بن قاسم، وهو مترجَمٌ قبل جدِّه (عم والده) يحيى الأول، المعني بالترجمة هنا. والغريب أنه ورد في ترجمة يحيى (الأخير) [٨/ ٧٤٩] التنبيه على خلط بين الترجمتين وقع فيه سالم السلفي في كتابه «معجم أعلام يافع» [ص ٤٦٩]، فوقعت «الموسوعة» في الخلط نفسه، بوضع إحالة في ترجمة يحيى الأول إلى كتاب «إدام القوت» تخص يحيى الأخير، وليس الأول. فليتنبه لذلك.

السيد أحمد بن جعفر بن زين الحبشي
(ت ١٢٨٩هـ)

هو رابع الشخصيات التي ذكرها الكاتب ضمن ما أطلق عليه (رواد المدرسة السلفية اليافعية). ولننظر في ترجمته، لنعرف سبب الاشتباه الذي وقع فيه الكاتب.

وهنا وقفة: فقد سماه كاتب المقال (أحمد بن جعفر بن زين)، بينما اسمه على الصواب: أحمد بن جعفر (ت بحيدرآباد) بن أحمد بن جعفر (ت ١١٩٠هـ بخلع راشد) بن العلامة الحبيب أحمد (ت ١١٤٤هـ بخلع راشد) بن زين أحمد الحبشي. إلى آخر نسبه المعروف.

ولد ببلدة خلع راشد التي عرفت باسم (حوطة أحمد بن زين) جدِّه الأعلى.

لم يكتبْ عنه في «الشجرة العلوية» سوى (ض = انقرض) إشارةً إلى انقطاع نسله، وكتب السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد أمام اسمِه «عالم». وأقدَمُ من ترجم له وأرخ وفاته هو الشيخ سالم بن حميد في «العدة المفيدة» [٢/ ٣٢٢، الطبعة الحديثة] قائلاً: «ولما كان ليلة الجمعة، قرب الفجر، ٢٦ شهر محرم المذكور [سنة ١٢٨٩]، انتقلت روح سيدنا الحبيب العلامة أحمد بن جعفر بن أحمد الحبشي، رحمه الله. وكان دفنه بعد صلاة الجمعة بالمصلى بقرب قبور أهله بالشقيق، وكان من العلماء، والذاكرين الله كثيراً»، الخ.

وذكر ابنُ حميد بعض الحوادث السياسية التي شارك السيد أحمد فيها، منها مؤازرته للسيد

العلامة علوي بن سقاف الجفري، في صفر سنة ١٢٦٤هـ في الطلوع إلى عسكر يافع آل الضبي، بسبب قبضهم على عدد من أعيان أهل سيون سادة وغيرهم أشهرهم الحبيب العلامة محسن بن علوي السقاف (ت ١٢٩٠هـ، وهو جَدُّ السيد ابن عبيدالله المباشِر) [تنظر أسماؤهم: ١/ ٣٤٦].

قال بن حميد [١/ ٣٤٩]: «فدخل سيدنا العلوي إلى بلد سيون يوم السبت المذكور، وصحبته سيدنا الحبيب أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، لكون هل اختلاف إلى عند القعطة إلى القطن، ويتفق بأولاد الجمعدار عمر، وأرقاه النواب عنه في ذلك المحل، مثل: الماس، وعنبر»، اهـ. وانتهى الأمر، كما في [١/ ٣٥١] أن أسقط في يد يافع: «وترجح أن تكتب خطوط من الكل لمحمد بن عمر القعيطي، وللماس وعنبر، مماليك الجمعدار عمر، ويسير بها الحبيب أحمد بن جعفر الحبشي المذكور»، الخ. وذكره أخيراً مشاركاً في اجتماع الصلح [١/ ٣٨٠].

وذكره السيد ابن عبيدالله السقاف في «إدام القوت» [ص ٥٨٣-٥٨٤] قائلاً: «وكان السّيّد أحمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشيّ أحد العلماء المحقّقين، وكان على رأي ابن تيمية يجعل الثّلاث باللّفظ الواحد طلقةً واحدة، وكان له اتّصالٌ وثيقٌ بسيّدنا الحسَن بن صالح البحر. وقد أفتى مرّةً بتوحيد الطّلاق ممّن نطق بالثّلاث في لفظ واحد، فاشتدّ النّكير عليه، حتّى انعقد لذلك مجلس بدار الحبيب البحر تقاطَر له العلماء من دوعن ومن تريم وما بينهما، ولم ينفصِل الأمر بأثر المناظرة مع السّيّد أحمد بن جعفر إلّا بتسليم ما قال، وكان ذلك حِدثانُ وصول «نيل الأوطار» للشّوكانيّ إلى حضرموت». وذكره مرة أخرى قائلاً [ص ٥٨٤]: «وكان السّيّد أحمد بن جعفر يقوم من مجالس أصحابه ومدارسهم، إذا سمع بما لا يوافق مشارب الوهّابيّة، ثمّ صار ينكر عليهم أحيانا بلسانه، ولكنّه لم يصبر حين أنشدُوا الأذكار في المسجِد على نغمات الدّفوف، ولم يتمالك أن نهضَ لتكسيرها، فلبجوه لبجاً شديداً، ذهب منه مغاضباً إلى خشامر عند آل الشّيخ عليّ جابر الوهّابيّين. ولكنّه غيظُ الأسير على القدّ، وما أدري أبقي بخشَامر إلى أن مات، أم راجعه قومه؟ وما كان ذلك ليكون في عهد سيّدنا البحر، وإلّا .. لأدّى الواجب من نصرته»، الخ.

هذا ما وجد من ترجمته، وهذه غاية ما جاء في مصادر التاريخ من علاقته بخشامر. فهل دخوله إلى خشامر يجعله في عداد (رواد المدرسة اليافعية السلفية)؟! وهل جاء في ترجمته ما يشير إلى سلفيته أو وهابيته، أو منابذته لأهله وطريقتهم؟

ولا يقال إن إنكاره ضرب الدفوف في المسجد يدل على أنه ليس على طريقة أسلافه، ومنذ متى كان ضرب الدفوف والطيران في المساجد دليلاً على طريقة من طرق التصوف؟ هذا مسجد باعلوي في تريم، وهذا مسجد طه في سيون، لا يضرب فيها طار ولا دف ولا ناي ولا يراع، كما قال ابن عبيدالله، وكما هو معلوم معروف. فهل أصبح مسجد باعلوي ومسجد طه من مساجد الوهابية والسلفية لمنع ضرب الطيران والدفوف فيها؟! وما أكثر أهل العلم من الصوفية أهل

حضرموت وغيرهم، ممن يحرم ويمنع ضرب الدفوف في المساجد أو في غيرها.

الشيخ سعيد الأحمدي
(ت ١٣٦٠هـ)

وهذه آخر الشخصيات التي وصفت بأنها من (رواد مدرسة خشامر السلفية اليافعية)، وهي شخصية الشيخ الفقيه سعيد الأحمدي اليافعي. وترجمته نادرة وعزيزة. مولده بقرية بقرب القطن تعرف بديار آل أحمد، ومن عشيرته الشاعر الشهير صلاح الأحمدي دفين حيدرآباد [إدام القوت: ص ٤٩٠]. وأغرب مؤلفا كتاب «التاج المرصع» في قولهما [ص ٩٢٦] ضمن ترجمته في (حرف السين): إنه ولد في بلاد يافع، وتعلم على بعض فقهائها، ثم رحل إلى حضرموت. ولم يذكر المؤلفان مصدرهما في هذا القول، فليحرر.

وأول من ذكره هو الشيخ عبدالخالق البطاطي في «إثبات ماليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت» [ص ٣٩] حاكياً سبب خروجه من بلدته (ديار آل أحمد)، وأنه انتقل بعدها إلى (خشامر) وأقام بها مدة. ثم ولي القضاء في شبام، ثم في الشحر مرتين: الأولى خلفاً للقاضي محمد بلحيد باوزير، والثانية خلفاً للسيد مصطفى بن حامد البار.

وقد ذكرته في «ثبت شيخنا الناخبي» رحمه الله، وكان لقيه في المكلا وجالسه واستفاد منه، قبل رحلته إلى عمان واستقراره بها. كما ذكرته في كتابي «إسهامات علماء حضرموت في نشر الإسلام وعلومه في الهند» [ص ١٨١] في ترجمة السيد العلامة عبدالله المديحج (ت ١٤٠٧هـ)، إذ كان الشيخ سعيد هو سبب توجهه لطلب العلم، حيث اصطحبه معه في أحد أسفاره إلى حيدرآباد الهند، وألحقه بالمدرسة النظامية هناك.

وكانت رحلته إلى عمان سنة ١٣٣٧هـ، وولي القضاء في ظفار خلفاً للسيد أحمد بن علوي بن حسن عيديد. وقرأ عليه في ظفار السيد سالم الذهب باعمر. وقضى فيها بقية عمره إلى أن وافته منيته في أجواء سنة ١٣٦٠هـ كما في «التاج المرصَّع».

فهذه ترجمة الشيخ سعيد، لا تربطه بخشامر سوى أنه أقام بها في فترة انتقالية بعد خروجه من مسقط رأسه، إلى أن حصل على وظيفة القضاء. فلم يذكر أنه درس في خشامر، أو تلقى عن أحد بها شيئاً من العلم .. فهل يحق بعد هذا أن نقول عنه إنه (من رواد المدرسة اليافعية السلفية بخشامر)؟!

وبعد، فهؤلاء هم الأعلام الأربعة، نجد أنهم لم يعيشوا في زمن واحد، ولا يوجد بينهم رابط فكري أو نسيج يمكن أن يندرجوا في ضمنه، سوى أن اثنين منهم من أهل خشامر والآخران وردا عليها لمدة قصيرة ولأسباب تعلم مما سبق.

ختاماً، أشكر القارئ الكريم على مروره بهذه السطور، وأرجو أن أكون قد وفيت بما وعدت به من حسن العرض، ومن تجلية الأمور كما هي عليه، لا كما تم اختزالها أو تأطيرها في أطر لا تناسبها، أو توظيفها في غير سياقها التاريخي الأصلي ..

وأعيد ما سبق أن قلته في المقدمة، إن هذه التعقبات والملاحظات إنما هي ملاحظات منهجية، لوضع الأمور في نصابها، ولتنقل نصوص التاريخ كما هي دون تعسف في الرفض أو الفرض، من قبل أي كاتب، معاصر أو قديم. نريد نريد عرض التراجم كما هي، بدون إساءة وتجريح أو إخفاءٍ وتنقيح، ومن أراد التهذيب فله ذلك، شريطة أن لا يحور في مواقف المترجم لهم، وأن يعرض الصورة الكاملة بنقلها من مصادرها الموثقة. وأما يافع، وأدوارهم التاريخية، فقد تكفلت الموسوعة بجمعه وعرضه، وكم أفادت في التعريف بأعلام مغمورين، والتاريخ نقل، وعلى الباحثين عبء كبير في جمع المصادر والوثائق التي ليست في المتناول، ولا يعرف البحث إلا من يكابده.

هذا، والحمدلله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه وحرره

محمد أبوبكر عبدالله باذيب

وتم ليلة الأحد ١٧ رجب ١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤ مارس ٢٠١٩

النتائج

- اتهام السادة اليوم على يد الكتّاب المحليين بهذه التهمة فرع من أصل ، جاء نتيجة نهج كتابات انثروبولوجية سابقة كتبت على يد الانثروبولوجيين الأجانب
- علوم الانثروبولوجيا متعدد ومفيدة ولها اثار إيجابية ولا تزال جديدة على حضرموت
- الانثروبولوجيا تنتابها نغمات عنصرية وخطاب كراهية يفجر الفتن بين فئات المجتمع خصوصا عن استهداف الشرائح الاجتماعية المختلفة وإصدار الأحكام
- تقوم الانثروبولوجيا على العلاقة بين مجتمع متحضر (غربي) في مواجهة مجتمع بدائي (عربي) ، فهي علاقة يشوبها الاستكبار ، الذي نصبوا أنفسهم لرصده
- السادة في الدراسات الاستشراقية والانثروبولوجية / عند النظام الاشتراكي السابق / عند الوهابية غزاة ، متظاهرون بالصلاح والتقوى يقومون بتسميم عقائد الشعب الحضرمي، يطمحون إلى الملك ، يؤججون الصراعات ويوقظون الفتن ،يقيمون الحوط لمصالح اقتصادية وسياسية ، يؤلفون التراجم للتمويه ، يدعون الانتساب إلى الرسول
- الصحابة الحضارمة في الدراسات الانثروبولوجية رجال سياسة أسلموا بهدف التحالفات العسكرية مع الرسول ، زعماء كندة منازعون حول ملكيات الأراضي
- المشايخ في الدراسات الانثروبولوجية يتبعون السادة في كل مشاريعهم السياسية والاقتصادية، ويروجون لأنفسهم أنهم موظفون دينيون في حضرموت من قبل الإسلام
- القبائل في الدراسات الانثروبولوجية بدائيين وغير متدينين ويحبون الحروب الدائمة
- الفكر الصوفي الحضرمي في الدراسات الانثروبولوجية ضال ، مستكبر ، متأثر بنظرية الاصطفاء اليهودية ، فكر رافضي شيعي ، يسعى للسيطرة والهيمنة والسلطة واستعباد الحضارمة
- الصوفية في حضرموت عند الوهابية (سادة + مشايخ) غلاة ، مشركون ، ضالون ، مضلون ، قبوريون ، مستعبدون لغيرهم يمارسون إذلالهم ، وقببهم مشاريع تجارية مربحة لأكل أموال الناس بالباطل
- سلاطين حضرموت (ال القعيطي ، وآل الكثيري) في الدراسات الانثروبولوجية ليس لهم في حضرموت أي أصالة ، وهم من طبقة البدو ، ونظامهم متأثر بالهندوس استزرعته السلطات البريطانية في جنوب اليمن
- يافع حضرموت في الدراسات الانثروبولوجية غزاة محتلون ليسوا من حضرموت
- منهج السلامة الحضرمي يقتضي التوقف عن اجترار الصراعات القديمة وإعادة تدويرها ،

واليمن اليوم على مفترق طرق، ولذا فإن أية نغمات عنصرية سيتم توظيفها في أحد التكتلات والتحريش والصراع .

- نظريـة (الأخلاف) و(إخفاء المصـادر) عبارة من الحبيب أحمد بن حسـن العطاس أخذت حيـزا أكبـر من حجمها ، قالها في معرض كلامه على جهل البداوة وإضاعتهم للكتب الهامة خوفا على كشف أنسابهم.
- الإسهـال الشـكي والتكلف يؤدي إلـى اختلاقات لا أساس لها من الصحـة، ومنها اعتبار ما قام به السادة من عمليات إنقاذ (إخفاءً) ، ومنها اعتبار ما قام به الحضارمة من تبني المذهب الشـافعي وتـرك الأباضية طواعية (لغزاً تشـوبه المؤامـرة) ، ومنها اعتبار بعض شـخصيات السادة ذات النقد الداخلي / المحبة للغربلة أو الاعتراض شخصياتٍ وهابية .
- الهوية الحضرمية هي (الإسلام ، المذهب الشـافعي، منهج السـلام) ، وعلى الحضارمة أن يتنبهوا لكل من يعبث بغاياتهم ويرتقوا إلى مستوى هويتهم.
- مشـروع (الغربلة للتراث الحضرمي) سبق بها مؤرخو السـادة قبل ١٠٠ عام ، ولم تقم على الاتهامات الجزاف.
- عوامـل ضيـاع التـراث الإسلامي بعمومـه والحضرمي بخصوصـه كثيرة ، منهـا الحروب ، الحملات العسكرية المذهبية مثل حملة ابن قملا الوهابية ، الجهل مثل جهل الاباضية الذي انتشر ، خوف الحضارمة من العايرة بالنسب ، الصناعة العلمية باستيعاب المؤلفات السابقة وإنقاذها وإدراجها في مؤلفات لاحقة ، التسرب ، الأمطار والسيول ، الرطوبة ، الحشرات ، الحرائق ، التلوث ، الحرارة .
- لولا اهتمام جماعة من التجار المثقفين من السادة في تكوين مكتبات تحمل اسم أسرهم في كل تلك الظروف العصيبة لما حفظت أكبر مكتبات الوادي مثل مكتبة الأحقاف ، و٩٠٪ من المكتبات التي ذكرها المؤرخ علوي بن طاهر في الشامل هي لملاك سادة.
- وجب الكلام على إنقاذ التاريخ الحضرمي ، ومناقشة وسائله ، والتفكير بإيجابية ، وفتح باب الأمل في بحوث موسعة وتوثيق ميداني. ومن ذلك حفظ الأرشـيف الرقمي الموجود اليوم بين أيدينا.
- منهجية التعامل مع النص الصوفي الحضرمي مشـروع ثقافي يحتاج إلى المزيد من الجهود والاهتمام.
- الجميـع معرض لفقدان مادته الرقمية وهادرسكاتـه ، ونحن مقبلون على مرحلة جديدة من مراحـل الضيـاع لما سيصبح يوما ما تراثا للجيل القادم ، وتحويل الملفات إلى صيغة PDF وإرسالها للثقات من أهل الفضل والعلم وسيلة لحفظها .

والخلاصة

فيما يتعلق بالجانب البحثي:

فإن الأجدى هو الاشتغال بخدمة الموجود، وهو أولى من الاشتغال بالتشوف إلى المفقود، والانتظار والتأني في الجزم بالفقدان أفضل من إطلاق العنان للتصورات وبناء الأحكام المسبقة، والكلام على إنقاذ التراث وتوسيع البحث فيه أولى، كما قال باوزير في «**معالم تاريخ الجزيرة**» ص٢٦١: ومن يدري فقد يعثر الباحثون على ما يخفف لَوْعَتَنا ويرضي مِن حِرصنا على التعرف إلـى مواطن الغموض في التاريخ الحضرمي، فنتدارك ما في هذه الكتابات من نقص، ونصلح ما يحتاج منها إلى إصلاح .

وفيما يتعلق بالجانب الاجتماعي :

فإن معالجة القضايا الاجتماعية المعقدة بين أفراد الشرائح المسلمة ومدارسها لا تكون بالنبش للمتناقضات وتعميق صراعها وإذكاء نارها، بل بتأصيل السلام الاجتماعي[1]، والبحث عما يرفع وعي الإنسان الحضرمي ويخدم النسيج المجتمعي.

قلت: **وهذه النغمة وإن كانت باسم المنهجية الأكاديمية / الانثروبولوجيا فهي مرفوضة باسم (المواطنة)**.. العقيدة الدولية القادمة على المنطقة.

ونسجل هنا كل الشكر والتقدير لمركز النور للمخطوطات بتريم الذي قام بمجهود كبير في تصوير المخطوطات وأرشفتها واهتم بترميمها بأحدث الوسائل والإمكانيات، وله تنسيق وتعاون مع مركز جمعة الماجد بدبي، المركز الثقافي المهتم بالتراث و الحفاظ عليه حول العالم والمشهود له بإنقاذ الكثير من المكتبات التراثية.

كما أسجل شكري لكل الباحثين الذين ذكرتهم في هذا البحث، ومهما اختلفنا في الرأي فإن التوثيق لكل هذا الحراك العلمي واجبنا تجاه الأجيال القادمة، وأرجو ألا يفهم من كلامي هنا أي مواقف شخصية مسبقة، فالكثير منهم لا أعرفهم شخصيا، وليس لدي أية أحكام مسبقة نحوهم.

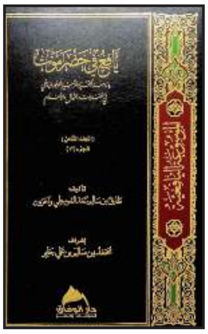
ويقابل هذا التخيل تخيل آخر عند آخرين عن وجود مدرسة فكرية **وهابية في حضرموت**، وقد بين هذا الوهم أخونا المحقق د. محمد باذيب في مقالته «**تعقيب على مقال: المدارس|**

(١) «**المستشرقون والتنويريون .. تضافر مبهم في مرحلة الغثاء نحو هدف مشترك**» للمؤرخ د.أبي بكر العدني ابن علي المشهور ص٣٠.

اليافعية السلفية في حضرموت» [١].

وقد أتممتُ هذه الورقة على عجل وما قصدتُ إلا لفت النظر لتعدد أسباب ضياع تراثنا ، وأن هذا أدى أحياناً إلى احتقان بحثي مع زكام المظلومية في نظرية المؤامرة[٢] ، مما سبّب غنوصية فكريةً وشططاً أدت إلى أن يتخيل بعضهم وجوداتٍ لا حقيقة لها ، كوجود دولة وفكر ومدرسة اعتزالية / إباضية في تريم[٣].

وأرجو ممن وجد عيبا أن يصلحه. هذا والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) نشر أصل المقال في موقع الموسوعة اليافعية ، وفي في مقدمة المجلد الثامن المطبوع، وتعقبه د.محمد باذيب في مدونته التلجرامية بهذه المقالة المنشورة في قناته التلجرامية ، وهي مفيدة جدا أنصح بالرجوع إليها ليقف القارئ على الهوس المتتابع بنظرية المؤامرة الذي قدمنا الكلام عليه .

و لا يخفى على من طالع عامة مجلداتها الثمانية أنها شغلت نفسها بمسألة الألقاب أكثر من اللازم ، حيث صدرت كل مجلد بهذا التنبيه :

(كلمة لا بد منها) قبل البدء في سرد أسماء الفخائذ والبيوت التي تسكن في هذا المكتب، ينبه إلى أننا في ترتيبها لم تراع أي اعتبار اجتماعي طبقي، والجميع في درجة واحدة باعتبارهم من سكان بلاد يافع، ولا عبرة بالقلة أو الكثرة، ولا بالطبقات الاجتماعية الجاهلية التي جاء الإسلام بهدمها وإلغائها قبل قرون طويلة.

والأمر يسير، والحديث عند أبي داود يقول: «**أنزلوا الناس منازلهم**»، وإنما قامت الدولة الإسلامية كلها على هذا، فعندما وضع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان في سنة عشرين للهجرة، أمر بأن يتم ترتيب قوائمها بحسب الأنساب والمنازل، فاستدعى ثلاثة ممن لهم معرفة بأنساب الناس هم: جبير بن مطعم، وعقيل بن أبي طالب (الأخ الأكبر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه)، ومخرمة بن نوفل؛ فوضعوا الدواوين بحسب الأنساب والمنازل. «تاريخ اليعقوبي» (٢ / ١٥٣).

وللمزيد من التفاصيل راجع موقع (الدرر السنية) لعلوي بن عبدالقادر السقاف، ففيه تفصيل تلك القبائل وتراتيبها تحت مبحث : موسوعة الفرق.

وانظر كذلك «نظام الإدارة في الإسلام دراسة مقارنة بالنظم المعاصرة» د. القطب طبلية ص٢٩، وهو أحد مصادر مشرف «الموسوعة اليافعية» الباحث محمد سالم عبدالله بن علي جابر في مقالته (التراتيب الإدارية في عهد عمر بن الخطاب) في موقعه (الألوكة) ١٢/ ٥/ ٢٠٠٩ .

(٢) يقول د. محمد باذيب في رده على ملخص ورقة الباحث عوض حمدين (تعليق وتعقيب على مقال بعنوان (حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي) : هذا كلام يقوم على تبني (نظرية المؤامرة). وهي كما يلاحظ القارئ الكريم، فكرة قد استولت على عقول كثيرين، ليس الكاتب هذا فحسب.

(٣) «حضرموت بين القرنين ٤ - ١١ للهجرة بين الإباضية والمعتزلة - مشروع رؤية» دار حضرموت للطباعة والنشر بالمكلا ١٤٢٧.

فهرس المصادر

- إباضية حضرموت وعلاقتهم بعمان ق٢ – ق٨ ، دراسة منهجية ، عبدالكريم ميزان ، دار حضرموت للدراسات والنشر ، ٢٠١٧
- إتحاف الفقيه ، فتاوى الحبيب عبدالله بن حسين بلفقيه (ت ١٢٦٦) ، دار الميراث النبوي ، ط١ عام ١٤٣٢
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي ، دار الأندلس للنشر – بيروت ١٤٠٣
- إدارة المخاطر للتراث الثقافي المركز الدولي لحفظ وترميم الممتلكات الثقافية»، نسخة مختصرة عن كتيب «منهجية العام ٢٠١٦ لإدارة المخاطر التي تواجه التراث الثقافي» وهو إصدار مشترك بين المعهد الكندي لحفظ التراث CCI وبين إيكروم ICCROM، كتبه ستيفان ميكالسكي وخوسيه جونيور .
- أدوار التاريخ الحضرمي ، محمد بن أحمد الشاطري ، ط٢ ١٩٨٣ ، دار المهاجر
- الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين» ، محمد الغزالي ، ط٦ ، ٢٠٠٥ ، شركة نهضة مصر
- الإقطاعيون كانوا هنا! ، محمد عبدالقادر بامطرف ، ط١ ١٩٨٥ دار الهمداني ، المعلا عدن
- انجرامز سلطان حضرموت غير المتوج ، صادق عمر مكنون ، مؤسسة تريم للدراسات والنشر ٢٠١٨،
- «الحياة العلمية في تريم في القرن السابع والثامن للهجرة» ، د. محمديسلم عبدالنور ، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٠
- المستشرقون وآثار اليمن قصة المستشرق السويدي كارلو لندبرج من خلال مراسلاته مع اليمنيين ١٨٩٥ – ١٩١١ ، د. محمد عبدالقادر بافقيه ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٨
- البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة ، علي بن أبي بكر السكران ، طبع بنفقة الوجيه السيد علي بن عبدالرحمن بن سهل ، مصر ١٣٤٧
- الصراع على الإسلام ، الأصولية ، الإصلاح، والسياسيات الدولية ، للكاتب اللبناني رضوان السيد ، ص ١٠٦ دارالكتاب العربي ، بيروت عام ٢٠٠٥
- بعثة معهد المخطوطات إلى تونس » مجلة معهد المخطوطات العربية ، (نوفمبر ١٩٥٦م).
- تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ،١٩٦٠ ،

بيروت

- تاريخ حضرموت السياسي ، صلاح البكري ، الطبعة الثانية ١٩٦٥ ، مكتبة الصنعاني
- تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي قبيل الإسلام وبعده ، العصور الوسيطة المبكرة ق١٢ ميلادي ، سرجيس فرانتسوزوف ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء ٢٠٠١
- تاريخ حضرموت القديم بين التحريف والتزييف» ، علي محمد بابطين ، مكتبة مدبولي -القاهرة ، ٢٠١٩
- تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة وأدوات الطلاق » للفقيه علي بن أحمد بامروان ، تحقيق د. محمد أبو بكر باذيب ، دار أروقة للدراسات والنشر، ١٤٣٩
- التراث في أتون الحروب... المخطوط العربي من القرن الخامس حتى اليوم»، للباحثة السورية بغداد عبدالمنعم
- تريم بين الإباضية والمعتزلة.. مشروع رؤية ، سالم فرج مفلح ، ط١ ٢٠٠٦م ، دار حضرموت للدراسات والنشر
- تعقيب على مقال: المدارس اليافعية السلفية في حضرموت ، مقالة منشورة في قناة د. محمد أبوبكر باذيب التلجرامية
- جني الشماريخ ، علوي بن طاهر الحداد ،تحقيق د. محمد يسلم عبدالنور ، طبعة تريم للدراسات والنشر ومركز النور للدراسات والأبحاث ٢٠١٣
- جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، د. محمدأبوبكر باذيب ، ط١ ٢٠٠٩ دار الفتح ، عمان الأردن
- جهود الإمام القلعي العلمية ، ومعها (تحرير الأيدي والعقود والطلاق) للفقيه علي بن أحمد بامروان (ت٦٢٤) ؛ رسالتان بتحقيق أكرم عصبان ، دار الصديق ، صنعاء ، بلا تاريخ
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» بيروت ، دار ابن حزم ، ١٤١٩
- حاضر العالم الإسلامي ، لوثرب ستودارد الامريكي، ترجمة عجاج نويهض ، تحقيق الأمير شكيب أرسلان ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٢ هـ
- حرق الكتب في التراث العربي» ناصر الحزيمي ، منشورات الجمل ٢٠١٥
- حرق الكتب.. تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات» خالد السعيد ، دار أثر للنشر والتوزيع- السعودية. الطبعة الأولى ٢٠١٨م
- حضرموت ١٩٣٤- ١٩٣٥ ، انجرامز ، مطبوعات جامعة عدن ٢٠٠١
- حضرموت واليمن وإشكالية الانتماء.. دراسة تاريخية حديثية، علي محمد بابطين، مطبعة وحدين

- حول مصادر التاريخ الحضرمي ، ار بي سارجنت، ترجمة سعيد عبدالخير النوبان، اصدار جامعة عدن ١٩٨٠
- الخديعة الكبرى.. رحلة الوثنية من اللات في الحجاز إلى آل البيت في اليمن ، سالم بن أحمد الحضرمي اليعربي ، منشور انترنت ، ٢٠١٨
- الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود ، فهمي بن عبيدون ، ط١ دار الفقيه للنشر والتوزيع ١٩٩٨
- دفع الاجتراء والافتراء على الإسلام ، عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف ، مخطوط
- الدلائل والآثار في تاريخ ظفار» ، عبدالله بن جعفر الكثيري ، تحقيق سعيد بن مسعود المعشني رحمه الله ، بمطابع ظفار عام ١٤٢٧
- الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر ، ط١ مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨
- سادات حضرموت ، آر بي سارجنت ١٩٤٦م ، مطبوع بالآلة الكاتبة
- السادة في التاريخ ، ألكسندر كيش ، تحدي المألوف.. اليمن دراسات انثروبولوجية وتاريخية ، ترجمة وتحرير لوسين تامينيات ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية
- سجل الأبحاث لملتقى التراث العمراني الرابع بأبها ، الهيئة العامة للسياحة والآثار بالمملكة العربية السعودية ، عسير ٩-١٢ صفر ١٤٣٦ ، الهيئة العامة للسياحة والاستثمار، مركز التراث العمراني الوطني ، مشروع الملك عبدالله للعناية بالتراث العمراني
- سير أعلام النبلاء ، ت الأرناؤوط والعرقسوسي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣
- الشتات الحضرمي تجار، علماء، ورجال دولة ١٧٥٠ - ١٩٦٠ م» تحرير : الريكي فرايتاك، وليم كلارنس سميث ، ترجمة د . عبدالله عبدالرحمن الكاف ، مركز تريم للدراسات والنشر ٢٠١٣
- شروط الاتصاف للقارئ في كتب الأسلاف كالمشرع والترياق والعقد النبوي والجوهر الشفاف ، أبوبكر العدني ابن علي المشهور ، ١٤١٥
- شيخ آل باعباد الأكبر عبدالله بن محمد بن أبي عباد (المشهور بالقديم) وأثره العلمي والدعوي والاجتماعي، الطبعة الأولى ١٤٢٧ ، بدون ناشر
- الشعر الشعبي في حضرموت بحث وتوثيق ، عبدالقادر الصبان ، دار حضرموت للدراسات والنشر ، ٢٠٠٧
- الصوفية في حضرموت نشأتها أصولها آثارها ، عرض ونقد ، أمين السعدي، دار التوحيد للنشر ٢٠٠٨
- الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة تقي الدين المقريزي ، عمر بن

أحمد صبيح التريمي، ٢٠١٧

- عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، محمد بن أبي بكر الشلي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، تحقيق: عبد الرحمن المزيني _ راشد القحطاني ، ٢٠١٤
- على طريق طرائق الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير عبدالرحمن بن عبدالله بكير ، دار حضرموت للدراسات والنشر ط١ عام ١٤٢٥
- عوالم ما وراء المادة في القرآن والسنة وكلام علماء الأمة ، د. مصطفى حسن البدوي ، دار الأصول ، نيوبوك للنشر والتوزيع ، ط١ عام ١٤٣٨
- الفكر والمجتمع في حضرموت ، كرامة بامؤمن ، ط١ ، ٢٠٠٢
- فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت - المحافظة الخامسة ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، عدن ١٩٧٥
- كتب التراجم والتاريخ الحضرمي.. بين الفجوات الزمنية وروايات المجهولين ، مصطفى بن عبدالرحمن العطاس ، مركز بن علوي للدراسات والبحوث ، المكلا ٢٠١٢
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، دار الفكر، ١٤٠٢.
- الكشف المبين عن حقيقة القبوريين زيارة هود عليه السلام وما فيها من ضلالات ومنكرات، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الأفق لخدمات الطباعة والنشر
- مجلة الأزهر ، المكتبة الأزهرية خاص (٤٢٩٧) عام (٥٥٢٩٩) ، ٧ ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ ،الناسخ عبدالعال عبدالقادر القاضي
- المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب : مجلة علمية فصلية. يصدرها مركز الأمير نايف للدراسات الاستيراتيجية بالرياض ، مج ٢٢ ، ع ٤٣ (محرم ١٤٢٨ ، يناير / فبراير ٢٠٠٧)، ص ١٥٩-١٩٧
- مجلة حضرموت الثقافية ، السنة الثالثة ، العدد ١١ ، شعبان ١٤٤٠ ، مركز حضرموت للدراسات التاريخية
- مجلة المسار ص٥٤ السنة ٩ عدد ١ عام ٢٠٠٨ ، د. أبوبكر باقادر (بعض إسهامات الحضارمة في الثقافة العربية ١٧٠٠ - ٢٠٠٠)
- مجلة نزوى ، عمان ، العدد ٩١ ، ٢٠١٧
- مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت، تأليف المؤرخ عبداللاه بن حسن بلفقيه ، بعناية علي سالم بكير ، دار تريم للدراسات والنشر ٢٠٠٩
- محمد عيسى صالحية (تغريب التراث العربي) في كتابه: «تغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة: الحقبة اليمانية»، دار الحداثة، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٥م

- مختارات من رسائل ومحاضرات للعلامة الفقيه المؤرخ الأديب الفلكي المصلح الاجتماعي الحبيب محمد بن أحمد بن عمر الشاطري» ، طاهر بن أحمد بن شهاب ط١ دار المنهاج ٢٠١٩ .
- المستشرقون والتنويريون .. تضافر مبهم في مرحلة الغثاء نحو هدف مشترك، أبوبكر العدني ابن علي المشهور ،عام ٢٠٠٢
- مصادر تاريخ حضرموت في العصر الوسيط ، د. حسن صالح غلام العمودي ، عام ٢٠٠٣ ، أطروحة الدكتوراة مقدمة لجامعة الآداب والفنون ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، إشراف د. راضي دغفوس ، تونس
- معالم تاريخ الجزيرة العربية ، سعيد بن عوض باوزير ، منشورات موسسة الصبان وشركاه ، عدن ، ط٢ ١٩٦٦
- المعتمد عند الشافعية ، د. محمد عمر الكاف ، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت في كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية ٢٠٠٨
- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٩
- من مفكرتي: حضرموت في عيون باحثين أجانب ، الملاحي، عبد الرحمن عبد الكريم ، مجلة آفاق ع ١٦ (١٩٩٦م) .
- موسوعة المؤرخين والآثاريين اليمنيين المعاصرين» تأليف د. عبدالمناف النداوي ودة. أمل عبدالمعز الحميري، الطبعة الأولى ١٤٣٦ الجزء الأول
- الموسوعة اليافعية ، مجموعة من الباحثين ، اشراف محمد سالم عبدالله بن علي جابر، دار الوفاق للدراسات والنشر، ٢٠١٥
- النفحة السنية من البلاد الحضرمية في فعالية تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ، ٢٠١٠ دارحضرموت للدراسات والنشر.
- النزر اليسير من أعمال الشيوعية الخبيثة ، محمد علوي العيدروس ، مسودة غير منشورة
- الهاجريون ، باتريشيا كرون ومايكل كوك ، ترجمة نبيل فياض ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٢
- هدية الأحباب في الرحلة إلى تريم الغناء ونصاب ، محمد بن حسن بن علوي الحداد ، مسودة غير منشورة ، ١٤٢٩
- اليمن كما يراه الآخر.. دراسات انثروبولوجية مترجمة ، مراجعة وتحرير لوسين تامينيان ، ساهم بالمراجعة عبدالكريم العوج ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، ١٩٩٧

المصادر الأجنبية

- Historians and Historiography of Hadramawt ، R. B. Serjeant ، london 1956 ،digital archive in cambridge.org
- • Histoire - REVUE HISTORIQUE , fondée en 1876 par Gabriel Monod. 1955 - 1972. Nous proposons 18 années
- • Quranic Studies; Sources And Methods Of Scriptural Interpretation Wansbrough. , prometheus books 2004
- • The Graves of Tarim: Genealogy and Mobility across the Indian Ocean ، Engseng Ho
- University of California Press, November 2006.
- Plausible Prejudice, Research Professor Marianne Gullestad , Publisher: Universitetsforlaget; UK ed. edition (March 1, 2006)

فهرس المواقع في شبكة الانترنت

- مقالة الانثروبولوجي لورينز Lorenz Khazaleh في موقع اخبار الانثروبولوجيا antropologi.info بعنوان (التحديات الخمسة للانثروبولوجيا) The Five Major Challenges for Anthropology
https://www.antropologi.info/blog/anthropology/2006/the_five_major_challenges_for_anthropolo
- بيان مؤتمر حضرموت الجامع 22 ابريل 2017 ، صفحة الفيسبوك الخاصة بالمؤتمر
/https://www.facebook.com/hadhramoutich
- الموقع الرسمي لبوابة وزارة الإدارة المحلية ، محافظة حضرموت ، موقع مديرية تريم
http://www.had-tareem.info/view/1170.aspx
http://www.had-tareem.info/view/1053.aspx
- صفحة الفيسبوك : تراث وتاريخ حضرموت ، مقال الباحث عوض حمدين بعنوان «**حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي** » قدمها للمؤتمر العلمي الثالث للتاريخ والمؤرخين الحضارم في ق١١ – ١٢ الذي دعا له (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)
https://www.facebook.com/255490814484213/posts/2416827588350514/
- مدونة د. محمد أبوبكر باذيب الثقافية : تعليق وتعقيب على مقال بعنوان (حول ضياع مصادر التاريخ الحضرمي)
http://batheebcultural.blogspot.com/2019/04/blog-post.html?m=1

- مقالة : المدارس اليافعية السلفية في حضرموت ، موقع الموسوعة اليافعية
http://yafeapedia.net/cat-12/175
- تعقيبٌ على مقال «المدارس اليافعية السلفية في حضرموت» بقلم د. محمد أبوبكر باذيب
http://batheebcultural.blogspot.com/2019/03/blog-post_24.html?m=1

الفهرس



هل تذكرون الجدالات الفيسبوكية..
وهل تذكرون التي قبلها: الجدالات المنتدياتية..
ذهبت.. وذهبت الآراء.. والشخوص.. والصور..
وهٰذا البحث يأتي في مرحلة الجدالات الوتسبية.. وفيه وجهات نظر كثيرة.. وستذهب هٰذه المرحلة كما ذهبت سابقاتها..
وضعتُ في هٰذا البحث صور أغلفة الكتب.. والمؤلفين .. من أصحابنا وغيرهم..
واتفقتُ معهم واختلفتُ.. وكتبته حتى يكون ذاكرة مفيدة لي في قابل الأزمان..
نختلف.. نتفق.. وتمر الأيام..
تصبح آراؤنا مجرد ذكرى.. ما بين ضائع وموثَّق..
ثم تمر الأيام..
فتصبح شخوصنا وصورنا مجرد ذكرى.. ما بين ضائع وموثَّق..
ثم تمر الأيام..
وتصبح حتى الكتب التي كتبناها.. مجرد ذكرى.. ما بين ضائع وموثَّق..
فحري بها أن تُوثَّق.. وآهٍ على ما ضاع..
لأجلكِ سيدتي.. أيتها الذاكرة الحضرمية..
أهدي هٰذا البحث..

المؤلف